

مكتبة الثقافة الشعبية

٥

تأليف

الرئيس تيتو

ترجمة

عبد المنعم حسن

نظرات على عالم اليوم

مكتبة الثقافة الشعبيّة — ٥

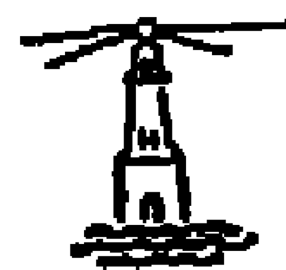
نظرات على عالم اليوم

تأليف

الرئيس تيتو

ترجمة

عبد المنعم حسن



دار المعارف بمصر



يوسيب بروز تيتو

دعوة إلى الحياة

... قبول الحياة هو قبول الكفاح من العقل الواعى ، وعندما قبل العقل الصراع ، نزل الى ميدان العالم . والكون فى حركة دائمة ، والعقل فى حركة دائمة كذلك ، وهذه الحركة تدور بين قطبين هما القوتان الابديتان فى هذا العالم ، القوة الموجبة وهى الحياة ، والقوة السالبة وهى الموت .

وفى عالم اليوم دعوتان : دعوة الى الموت ، ودعوة الى الحياة .

أما الدعوة الى الموت ، فتجىء من المعسكرات ، والتكتلات ، التى تعمل بطريق مباشر ، أو غير مباشر ، الى اثارة الحرب، واشاعة الموت والدمار بين الشعوب .

وتجىء الدعوة الى الحياة من الدول المحايدة ، التى تدعو الى فض الكتل ، والمعسكرات ، والى التعاون القائم على المساواة بين الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة ، والتعايش السلمى ، وفض الخلافات عن طريق التفاهم ، لا عن طريق الحروب .

والحرب ليست قانونا عاما من قوانين الحياة ، وليست ضرورة للكيان القومى ، كما يقول غلاة العسكريين الفاشيين ، وليس من الضرورى ان ينتهى دائما التنافس الداخلى للنوع الى اضرار بالنوع عن طريق الحرب، التى تصبح عائقا لتقدم الانسانية فى سبيل التطور، فتصرف جهود الشعب عن التعمير الى التخريب .

فالحرب لا تبدو شيئا لا يمكن تجنبه ، ولا تدل حضارة الهند القديمة التى ترجع الى ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد على أى أثر للحرب ، وهناك

عصور فى تاريخ الصين المبكر ، وكذلك فى حضارة « الادكا » فى بيرو، لم تظهر فيها الحرب •

وليس فى الطبيعة الانسانية غريزة للحرب ، كما هى الحال فى نمل الحصاد • وصحيح أن فى تكوين الانسان ميلا عاما للعدوان ، ولكن هذا الميل كغيره من الدوافع الانسانية ، ليس نوعيا ، وليس غريزة ثابتة ، اذ فى الامكان صياغته فى أشكال مختلفة ، قد يوجه هذا الميل الى المنافسة الرياضية ، ويمكن السمو بالقتال الى الوان النشاط الرياضى ، والاجتماعى •

وقد حلل علماء النفس دوافع التسلط السائدة عند الطفل ، وحب نفسه ، وكيف يقف المجتمع حائلا دون ظهورها ، فيكبتها الطفل ويدفعها الى اللاشعور ، حيث تعيش فى صورة بواعث أولية للعدوان والقسوة ، وخطورتها ناشئة عن عدم الشعور بها •

ولذلك كان من الخطوات الأولى للحيلولة دون وقوع الحرب ، أن نقلل من الفيض المخزون من العدوان ، ذلك الفيض الموجود الآن فى كل دولة عظمى قوية •

والطريق لمنع تجمد هذا الحشد من « الديناميت النفسانى » ، ولايجاد الطرق التى تظهر منها دوافع تقدير النفس ، يعتبر عملا كبيرا ، وهذا يعنى بناء المجتمع والأسرة بناء أفضل مما هو موجود الآن ، بحيث يلغى هذه القيود التى تحد من نمو شخصية الانسان •

والكتاب الذى أقدمه اليوم ، هو دعوة الى الحياة •• حياة أفضل ، وأسعد ، عن طريق الغاء الحروب ، والتعايش السلمى ، كتبه رجل فذ ، من عباقرة الجيل ، وقف حياته على نشر أفكاره السلمية ، لخير الانسانية جمعاء ، بعد حياة طويلة من الكفاح ، والقتال المرير •

وفى هذا الكتاب يشرح الرئيس تيتو نظرياته السياسية ، والاجتماعية ، ويوضح أوجه الخلاف المذهبى بينه ، وبين الآخرين ، ملقيا نظرة محايدة ، على عالم اليوم ، ومشاكله •

عبد المنعم حسن

سفير السلام المتجول

فى حيـاة الشعب اليوغوسلافى ألف عام من الكفاح المتواصل فى سبيل الحرية ، والدفاع عن الوطن من الغزاة ، والطامعين ٠

وقد هبط اليوغوسلافيون شبه جزيرة البلقان فى القرن السابع ، وقامت دولهم الاقطاعية فى القرن التاسع ، وعانت شعوبهم اقدارا مختلفة ، فخضعت سلوفينيا وكرواتيا لحكم النمسا ، وظلتا كذلك حتى القرن الثانى عشر ، ووصلت دولة الصرب الى أوجها فى القرن الرابع عشر ، ثم سقطت تحت الحـكم العثمانى الذى دام الى القرن التاسع عشر ٠

وظلت الثورات تندلع خلال هذه القرون الطويلة ، ولم تفتر هذه الشعوب عن المقاومة والثورة ٠

وبدأ تكوين دولة يوغوسلافيا الجديدة فى القرن التاسع عشر ، عقب الثورتين اللتين قام بهما الصرب على التعاقب فى عامى ١٨٠٤ و١٨١٥ ، فقامت دولة صربيا ، والجبل الاسود الحرة ، وحاربت الى جانب الحلفاء خلال الحرب العالمية الاولى التى انتهت بمعاهدة فرسای ، وقامت بموجب هذه المعاهـدة دولة يوغوسلافيا شـاملة لصربيـا ، ومقدونيا ، والجبل الاسود ، وكرواتيا ، وسلوفينيا ، والبوسـنة ، والهرسك ، وفويفودينا ، وهى المناطق التى كانت خاضعة للنمسا والمجر ، فتحققت بذلك أمانى الشعب فى الوحـدة ٠ ولكن هـذه الوحدة لم تشمل بعض المناطق اليوغوسلافية التى كانت خاضـعة

لايطاليا والنمسا • كما أن مبادىء المساواة القومية والسياسية لم تكن مطبقة فى الدولة الجديدة ، ولم تكن الحقوق القومية لشعبى مقدونيا والجبل الاسود معترف بها ، بل ان البورجوازية الصربية وضعت يدها على السلطة فى البلاد ، فى الوقت الذى كانت كتل العمال والفلاحين تعانى الاضطهاد ، وشظف العيش فى البلاد كلها • وأتاحت كل هذه المشاكل الظروف المناسبة لقيام الديكتاتورية ، والفاشستية ، وانتشرت الخيانة فى الدوائر الحكومية ، مما أدى الى انهيار يوغوسلافيا عسكريا ، انهيارا خاطفا سنة ١٩٤١ •

وفى خضم هذه الاحداث ولدت شخصيات فذة ، قادت حركات قوية أدت الى قيام يوغوسلافيا الجديدة ، التى يرتبط تاريخها بكفاح الحزب الشيوعى ، وسكرتيره العام جوزيب بروز تيتو •

وعندما قام « يوفان فيسيلينوف » الذى يشغل الآن منصب رئيس المجلس النيابى فى صربيا ، ليقترح انتخاب الماريشال تيتو أول رئيس لجمهورية يوغوسلافيا الاشتراكية ، فى ١٤ يناير سنة ١٩٥٣ ، قال :

« فى تاريخ المجتمعات والأمم شخصيات توفر لها بعد النظر عن أى انسان آخر ، وامتازت بقدرة خارقة على ارساء طريق النهوض والتقدم ، وطريق الكفاح نحو النصر • وكانت تلك الشخصيات هى الدعامات التى قاتلت من حولها الملايين ، وكان ليوغوسلافيا أيضا مثل هذه الشخصية ، الا وهى « جوزيب بروز تيتو » ، وانى اقترح بالنيابة عن نواب الشعب الذين وقعوا هذا الاقتراح ، ترشيح الرفيق تيتو رئيسا للجمهورية » •

وكان ذلك اليوم مشهودا فى تاريخ يوغوسلافيا ، اذ وضعت

ثقتها فى رجل ، هو البطل المقدام ، والجندى الباسل ، ورجل الدولة، لقوة معنويته ، وخصائصه الذهنية ، التى دلل عليها فى القضية الوطنية الكبرى • قضية بناء يوغوسلافيا الجديدة •

تيتو فى شبابه

لم يكن تيتو ، رئيس الجمهورية ، وماريشال يوغوسلافيا ، من ذؤابة ارستقراطية ، فقد ولد لاسرة قروية فقيرة فى قرية « كومروفتس » الكرواتية ، يوم ٢٥ مايو عام ١٨٩٢ • وأتم دراسته الاعدادية فى مهبط رأسه • ودرب ليكون صانعا للاقفال فى «سيزاك» بين عامى ١٩٠٧ و ١٩١٠ • وتلقى خلال ذلك أول تعاليم الحركة العمالية • ووظف فى عامى ١٩١٠ و ١٩١١ فى مدينة زغرب ، وأقام لمدة قصيرة فى لوبليانا وتريستا • وأصبح عضوا فى اتحاد المعدنين، وفى الحزب الديموقراطى الاشتراكى فى كرواتيا وسلوفينيا، وبوهيميا، والمانيا ، والنمسا عامى ١٩١١ و ١٩١٢ وجند فى الجيش عامى ١٩١٣ و ١٩١٤ وسجن بعد اشتعال الحرب العالمية الاولى فى قلعة «بتروفارادان» بالقرب من مدينة « نوفى ساد » بتهمة الدعاية ضد العسكرية • وأرسل فى يناير سنة ١٩١٥ الى جبهة كرباتيا • وأصيب فى ربيع ذلك العام بجرح خطير ، ورقد فى المستشفى فى « سفيزهاسك » ثلاثة عشر شهرا ، ولما عوفى ، سيق للعمل ـ كأسير حرب ـ فى ارداتوف وكونجور فى الاورال ، وما لبث أن زج فى السجن لانه طالب بتحسين معاملة المسجونين ، وأطلق العمال سراحه فى ثورة فبراير سنة ١٩١٧ ومن هناك اتصل بجماعة من العمال البولشفيك ، واطلع على نظريات لينين المعروفة باسم « اطروحة ابريل » ، ومقالاته ، وخطبه ، وفى يونيو سنة ١٩١٧ ، ذهب الى بتروغراد ، حيث اشترك فى مظاهرات يوليو ، ولما حاول العودة الى وطنه ، وقع فى أيدى بوليس «كيرينسكى» الذى أعاده الى سيبريا ، ولكنه استطاع الهرب فى الطريق ، وقصد

الى « أومسك » حيث انضم الى الحرس الاحمر فى أكتوبر عام ١٩١٧ ٠ ولما وقعت « أومسك » بعد عام فى أيدى الادميرال كولشاك ، الذى كان يقاوم الثورة ، اختفى بروز تيتو فى ضواحى « أومسك » حتى انهزام « كولشاك » عام ١٩٢٠ ٠ وفى سبتمبر من ذلك العام ، عاد الى وطنه ، وانضم فى الحال الى صفوف المحاربين من أعضاء الحزب الشيوعى اليوغوسلافى فى زغرب ٠

بطل عمالى لا يتقهقر

لعب الحزب الشيوعى دورا هاما فى الحياة السياسية ليوغوسلافيا بعد الحرب العالمية الاولى ، وكان له أثره القوى بين الشعب الذى كن له كل تقدير ، فحاز نجاحا كبيرا فى الانتخابات العامة التى جرت سنة ١٩٢٠ ، وأصبح الحزب الثالث القوى فى الجمعية التأسيسية ، وبلغت مقاعده سبعة وخمسين ٠ الامر الذى أغضب السلطات الحاكمة ، وغالبية الاحزاب البورجوازية ، فلم يكن من مصلحتهم أن تبلغ ثقة الشعب بالحزب الشيوعى هذا الحد ، اذ كان للشيوعيين برنامج واقعى ، تقدمى ، أرادوا أن يجعلوه أساسا لحل كثير من المشاكل الاجتماعية ، والسياسية ، التى كانت البلاد تنوء بها اذ ذاك ، وكان رد الفعل للثقة المتزايدة التى غرسها الشعب فى الشيوعيين ، أن أصدرت السلطات أمرا فى ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٢٠ سمى «أوبزنانا» ـ حرمت به نشاط الحزب الشيوعى ، وصادرت ممتلكاته ٠ وفى ٢ أغسطس سنة ١٩٢١ ، صدر قانون لحماية الدولة ، وشكلت محاكم خاصة لنظر القضايا التى تقع تحت هذا القانون المنافى للديموقراطية ، وأولها قضايا النشاط الشيوعى ٠

وكان « يوسيب بروز » قد بدأ نشاطا سياسيا كبيرا فى الحركة العمالية منذ عودته من روسيا فى سبتمبر سنة ١٩٢٠ ٠ واشتغل

أولا فى زغرب ، حيث نظم النشاط السياسى بين العمال والفلاحين ، ولقنهم الاهداف التى كان الحزب الشيوعى يكافح من أجلها • ثم عين مندوبا لاتحاد النقابات فى أحواض السفن « كراليبيفيتسا » حيث تزعم اضرابا للاحتجاج على حجز أجور العمال • وفى مصنع عربات السكك الحديدية ، فى سميدير يفسكا بالانكا ، تزعم العمال فى مطالبتهم برفع مستوى المعيشة ، وفى زغرب تزعم عدة حركات عمالية ضد السلطات المتنكرة للديموقراطية ، كمندوب للحزب السرى ، وضد الاستغلال المشين للعمال • وعرف بمقاومته الشديدة لهؤلاء الذين يقفون عقبة فى سبيل الافكار التقدمية ، وفى سبيل نهوض العمال ورفع مستواهم • وحاز شهرة كبيرة بين العمال بسبب مبادئه وصلابته ، واستقامته ، وحزمه فى محاربة الاعداء •

وعمل فى زغرب عامى ١٩٢٧ و ١٩٢٨ ، كعضو أولا فى لجنة المدينة للحزب الشيوعى ، ثم كسكرتير لها ، وللمجلس الاقليمى لاتحاد عمال التعدين • واعتقل فى زغرب ، فى يونيو سنة ١٩٢٧ ، بتهمة قيامه بنشاط حزبى غير مشروع أثناء اقامته فى « كراليبيفيتسا » وحكم عليه فى نوفمبر بالسجن سبعة شهور ، مع وقف التنفيذ ، ثم بالسجن خمسة شهور بسبب نشره الدعاية الشيوعية •

وأخذت السلطات تترقب نشاط « بروز » بين العمال ، فاعتقلته فى زغرب مرة أخرى فى أغسطس سنة ١٩٢٨ ، وقدمته للمحاكمة أمام «محكمة حماية الدولة» •• وفى قاعة المحكمة وقف البطل الذى لايتقهقر يقول على مسمع من الصحفيين وغيرهم :

« اننى مدان فى عرف الدفاع ، ولكننى لست كذلك فى الحقيقة • فأنا أعترف بنشرى للافكار الشيوعية ، وكشفى للمظالم الواقعة على

العمال • ولكننى لا أعترف بمحكمة البورجوازية ، لاننى مسئول فقط أمام حزبى الشيوعى » •

وظل مصرا على موقفه خلال المحاكمة ، متمسكا بكفاح الحركة التقدمية فى يوغوسلافيا القديمة ، غير عابىء باتهامات البوليس ، ومزاعمه التى أريد بها تسوىء مركزه • وطبق عليه قانون حماية أمن الدولة ، فحكم عليه بالسجن خمس سنين مع الاشغال الشاقة •

وقضى « جوزيب بروز » مدة العقوبة فى أقبح سجون يوغوسلافيا وأشدها قسوة واظلاما فى « لوبوجلافا » وفى « ماريبور » ـ ثم مدة السجن مع وقف التنفيذ فى « أوجلين » • على أن هذه العقوبات الشاقة التى فرضتها الديكتاتورية الملكية الفاشستية ، لم تؤثر على عقليته المكافحة ، وايمانه بالكفاح فى سبيل قضية عادلة • فراح يهرب ـ كمعظم الثوار فى السجون ـ المطبوعات الماركسية الى السجن ، بعد دراستها سرا ، وزيادة معلوماته عن التطبيق الثورى •

المنظم السياسى والمذهبى للحركة العمالية فى يوغوسلافيا

قصد « جوزيب بروز » الى زغرب فى سنة ١٩٣٤ ، بعد أن قضى مدة العقوبة ، ليعاود كفاحه ، ويباشر مهامه الجديدة ، ولكنه ما لبث أن اعتقل ثانية لنشاطه بين العمال الذى أقلق سلطات الامن ، وأرسل الى مسقط رأسه ـ قرية كومروفيتسا ـ وفرضت عليه الاقامة جبريا هناك ، وأقام هناك لمدة قصيرة ، ثم ذهب الى « ساموبور » بالقرب من « زغرب » ، حيث عاود نشاطه السرى ، وبدأ منذ ذلك يضيف الى أسمائه اسما جديدا هو تيتو • ـ وكان يتسمى بعدة أسماء ، كما هى عادة أعضاء الحزب الذين يعملون فى السر ، مثل جورجوفيتش ، وزاجوراتش ، ورودى ، ونوفال ، وفالتر • وكان يحمل عدة جوازات

للسفر ، منها جواز باسم « جون الكسندر كارلسون » من السويد ، وآخر باسم سيبردون ميكاس من كندا ، وثالث باسم المهندس كولار من تشيكوسلوفاكيا ، ورابع باسم المهندس جوزيب تومانيك من تشيكوسلوفاكيا .

وبدأ جوزيب بروز يوقع مقالاته فى الصحيفة الناطقة بلسان الحزب بالحروف الاولى من اسم تيتو «TT» أو «T.T.» . وعندما اندلعت الثورة فى ٧ يوليو سنة ١٩٤١ ، أخذ يوقع نشرة القيادة العليا باسم « تيتو » ، كرئيس للقيادة العليا لجيش التحرير الشعبى ، وقائد كتائب الانصار فى يوغوسلافيا . ومنذ ذلك الوقت تداول الشعب هذا الاسم ، وأصبح علما على جوزيب بروز .

وعين « جوزيب بروز تيتو » سكرتيرا عاما للجنة المركزية للحزب الشيوعى اليوغوسلافى .

وكان تزعم تيتو للحزب الشيوعى هو بداية عهد جديد فى ازدهار الحركة العمالية فى يوغوسلافيا . وتضمن التقرير السياسى للجنة المركزية للمؤتمر الخامس للحزب النقط التالية :

« تضلعت القيادة الجديدة للحزب الشيوعى ـ التى بدأت عملها فى نهاية سنة ١٩٣٧ ـ بالواجبات الاربعة التالية :

١ ـ تطهير الحزب من الانتهازيين .

٢ ـ بذل كل الجهود لتوطيد مركز الحزب وتنظيمه .

٣ ـ العمل على ازدهار المبادىء المذهبية والسياسية للحزب .

٤ ـ العمل بغير ملل على ربط كل القوى التقدمية فى الجبهة

الشعبية ، والقضاء على النظم المعادية للقومية ، والخطر الفاشستى ، والدفاع عن البلاد ضد هذا الخطر الخارجى ..

ولم يكن ذلك الكفاح لتطهير الحزب بالامر السهل ، بل ان ذلك استغرق وقتا طويلا ، حتى رست جذوره فى بناء الحزب » .

وبالرغم من الاخطار التى كانت تحيق بزعماء الحزب ، فقد قام تيتو فى المدة من ١٩٣٦ ــ ١٩٤٠ بالاشراف على تنظيم فروع الحزب ، وزيارة منظماته السرية ، فزاد نشاطها ، وامتد الى ميادين كثيرة ، فأرسل ١٢٠٠ متطوع الى جمهورية أسبانيا ، وقامت مظاهرات واضرابات كثيرة . وكان الخطر النازى الالمانى بدأ يخيم على يوغوسلافيا ، بعد ضم جارتها النمسا . فنظمت طرق المساعدة ، والتأييد لتشيكوسلوفاكيا بعد ميونيخ ، وعبئت الجهود فى الداخل لمكافحة ارتفاع الاسعار . وما أن أعلنت الحرب العالمية حتى هب الحزب الشيوعى اليوغوسلافى لتنظيم الدفاع عن البلاد .

وكان لكل هذه الجهود أثرها فى الشعب اليوغوسلافى ، فآمن بوجود الحزب الشيوعى ، واخلاصه ، وقوته ، وقدرته على القيادة الشعبية ، فزاد عدد أعضائه ، وزادت قوته ، وأصبح مستعدا تمام الاستعداد للقيام بدوره فى الاحداث القادمة .

وفى كل هذه المراحل التنظيمية التى سبقت الحرب ، أظهر تيتو مقدرة سياسية خارقة ، وقوة ثورية ، وحسن تجربة ، مما كان له أثره البعيد المدى على تاريخ يوغوسلافيا .

الحزب ينبه الى خطر الغزو قبل وقوعه

فى الوقت الذى عقد فيه المؤتمر الخامس للحزب الشيوعى

اليوغوسلافى ، كانت المانيا النازية وحليفاتها قد غزت بلادا كثيرة فى أوربا • ولم ينبه الى الخطر الذى يهدد يوغوسلافيا من عدة أنحاء الا الحزب الشيوعى اليوغوسلافى ، فى الوقت الذى لم تتخذ فيه الحكومات المعادية للشعب والقومية ، أى خطوة للدفاع عن البلاد ، بل انها مهدت للخيانة بالتقرب من المانيا وايطاليا •

وفى المؤتمر القومى الخامس للحزب الشيوعى اليوغوسلافى الذى عقد فى أكتوبر سنة ١٩٤٠ ، شكلت لجنة عسكرية ، تحت اشراف اللجنة المركزية للحزب ، ومهمتها اعلاء روح المقاومة فى صفوف الجيش فى حالة وقوع هجوم على يوغوسلافيا ، والتضلع بالقيادة العسكرية ، ومواصلة الكفاح ضد المعتدين فى حالة وقوع خيانة من جانب القيادة العسكرية ، وزعماء الدولة خلال الحرب • وشكلت لجان فرعية لتلك اللجنة فى كل المدن الرئيسية •

وبلغ من تنبه الحزب واعداده الرأى العام لمقاومة الغزو قبل وقوعه ، أنه ـ حتى قبل انعقاد المؤتمر القومى الخامس للحزب الشيوعى ، أرسلت التعليمات ـ فى عام ١٩٣٨ ـ الى كل أعضاء الحزب ، ولرابطة الشباب اليوغوسلافى ، لدراسة العمليات الحربية • فما أن شكلت اللجنة العسكرية للحزب ، حتى كانت الاذهان مهيأة للكفاح ، وكانت المعلومات وافية عن التاكتيك العسكرى ، فأثبت ذلك بعد نظر تيتو ، وصحة نظريته فى أن الاستراتيجية ستلعب دورا هاما فى الاحداث القادمة ، كجزء لا ينفصل من السياسة •

وفى ٢٥ مارس ١٩٤١ ، وبدون علم الشعب اليوغوسلافى ، وقعت حكومة شفيتكوفيتش ـ ماتشك الرجعية معاهدة فى فيينا بالانضمام الى ميثاق المحور الثلاثى • وكان ذلك حافزا للشعب ليوحد جهاده ، وكفاحه خلف قيادة الحزب الشيوعى اليوغوسلافى غير المشروع ،

وتحولت موجة الاشمئزاز الى ثورة عارمة ضد الحكام الخونة ، فهب المواطنون فى كل المدن والقرى يطالبون بخلع الحكومة ، وعمت المظاهرات البلاد مدة يومين ، وكان للحزب الشيوعى الدور الاول فى تنظيمها ، واضطرت حكومة شفيتكوفتش ــ ماتشك الخائنة الى السقوط • وشكلت حكومة جديدة برياسة الجنرال « سيموفتش » وبالرغم من أنها لم تحدث تغييرا جوهريا فى النظام ، الا أنها كانت كبيرة المغزى ، لدلالتها على مدى تأثير الحزب الشيوعى بين الشعب ، وقت المحنة ، ووقت الحاجة الى النهوض للدفاع عن الاستقلال ، وعن المصالح الحيوية للشعب • واستتبع حوادث ٢٧ مارس ١٩٤١ ، هجوم قوات المحور على يوغوسلافيا فى ٦ ابريل ١٩٤١ • وكانت حربا قصيرة ، اذ خانت الشعب القيادة السياسية ، والعسكرية ، فتوقف الجيش النظامى ليوغوسلافيا بعد اثنى عشر يوما • ووقعت الحكومة صك التسليم بغير قيد ، وطار الملك وحكومته الى الخارج • وقسمت يوغوسلافيا بين الغزاة الالمان ، والايطاليين ، والبلغار ، والمجر • وتابعت أجهزة الدولة عملها فى خدمة حكومة الاحتلال ، وحلت الاحزاب البورجوازية ، وتعاون زعماؤها مع قوات الاحتلال تعاونا وثيقا •

وكان الحزب الشيوعى اليوغوسلافى هو القوة السياسية الوحيدة فى البلاد التى يتبعها الشعب اليوغوسلافى فى أحلك أيامه • وفى الخامس عشر من شهر أبريل ، وبعد أن دخلت القوات الالمانية الى يوغوسلافيا ، اجتمعت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى يوغوسلافيا بقيادة السكرتير العام الجنرال تيتو ، لاعلان الكفاح المسلح • وفى مايو من ذلك العام عقدت القيادة العليا للحزب الشيوعى جلسة للمشاورة فى زغرب ، حلل فيها الموقف السياسى

الذى نجم عن احتلال البلاد • واتخذت قرارات بتنظيم الكفاح المسلح ضد الغزاة • واقتضى الموقف الجديد اعادة تنظيم اللجنة العسكرية ، واتخذت العدة لبدء ثورة الشعب اليوغوسلافى •

وفى اللحظة التى شن فيها هتلر هجومه على يوغوسلافيا ، كان تيتو فى زغرب مع الاعضاء الآخرين للجنة المركزية •• وقد كتب تيتو فى تقريره الى المؤتمر الخامس عن هذه الفترة يقول : « فى اليوم الذى دخل فيه الالمان الى زغرب قررت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى اليوغوسلافى فى اجتماعها أن يرحل أغلب أعضاء اللجنة على أقدامهم الى البوسنة ، والجبل الاسود ، وصربيا ، وسلوفينيا ، لاعداد أعضاء الحزب ، وأفراد الشعب للثورة ، وتقرر تشكيل لجنة عسكرية برياسة سكرتير اللجنة العسكرية •• وقد سلم الجيش اليوغوسلافى بعد مقاومة ضعيفة لم تستغرق أكثر من اثنى عشر يوما • وهربت حكومة سيموفتش مع الملك الى الخارج بطريق الجو ولم يبق فى البلاد الا الشعب الاعزل من السلاح ، والحزب الشيوعى اليوغوسلافى » •

وخضعت أوروبا تحت أقدام الفاشست • ولم يكن هناك من يحارب هتلر ، مما جعل فكرة الثورة مقامرة كبيرة •

وفى الاجتماع التخطيطى ، قدم تيتو تقريرا مفصلا عن الموقف فى البلاد ، تقرر على ضوئه أن القيام بثورة ضد الغزاة هى مسألة وقت حتى تتهيأ الظروف • وأكد تيتو فى خطاب له ، ألقاه فى هذا الاجتماع أن الثورة على الغزاة ستجىء مع الوقت ، وستكون نتيجة الظروف ، وبخاصة الصدام الذى لا بد من وقوعه بين هتلر والاتحاد السوفيتى، وسيكون طابع الثورة نفور الشعب واشمئزازه من الملكية ، والحكومة السابقة ، لخيانتهما البلاد ، ولانهما لم يعداه للدفاع ضد العدوان ، وشعور العداء ضد الطابور الخامس الذى كان يخدم هتلر وموسولينى

وعلى ذلك فان الثورة القادمة ضد الغزاة ستتحد مع الكفاح ضد الطابور الخامس ، وهذا معناه القضاء على أجهزة السلطات المدنية القديمة ، وقيام حكومة شعبية جديدة ، وعلى الحزب الشيوعى اليوغوسلافى أن يزيد من نشاطه للاعداد للثورة ، وتنظيمها ، وأن يكون محور قوتها ٠٠ ولا بد أن تكون الثورة على أكبر نطاق ممكن ، لاعداد أعضاء الحزب ، وأفراد الشعب للثورة ٠ وتقرر تشكيل لجنة تشمل كل هؤلاء الذين كانوا على استعداد لمحاربة النازى والفاشست ٠ ونظرا لكل هذه العوامل ، ينبغى تجنب احداث أى عمل يلفت نظر العدو الآن ، لان الظروف لم تهيأ ، ولم تنضج بعد للقيام بالثورة ٠ وستحدد اللجنة المركزية الوقت لبدء الثورة العامة، وعلى الشيوعيين الاشتراك فيها ، وتنظيم أى نوع من المقاومة الشعبية ضد الغزاة والمتعاونين معهم ٠

وأعقب ذلك اعداد الحزب الشيوعى اليوغوسلافى للقيام بهذه المهمة ، فيبدأ بجمع الاسلحة على نطاق واسع شمل أنحاء البلاد ، ولهذا الغرض تقرر اقامة شبكة واسعة من اللجان العسكرية فى كل البلاد ، منفصلة عن لجان الحزب ، لتشكيل جماعات ، وتنظيم التدريب العسكرى ، والاسعاف الاولى ، وجمع المواد الطبية ٠

وحانت الفرصة للقيام بالثورة فى يوغوسلافيا **عندما هاجم هتلر الاتحاد السوفييتى ، فى ٢٢ يونيو ١٩٤١** ، والتحم السوفييت فى الحرب معه ، وبخاصة أن الاستعدادات كانت قد بدأت منذ الاجتماع التخطيطى للحزب فى ابريل ، والتحم الاهالى فى بعض المناطق مع الغزاة ، وجماعة « **الاوستاشي** » المتعاونة معهم ٠

وفى نفس اليوم الذى بدأ هتلر هجومه على الاتحاد السوفييتى ، عقد المكتب السياسى للجنة المركزية للحزب الشيوعى اليوغوسلافى



صورة تذكارية للرئيس تيتو عندما أصيب فى ذراعه خلال حرب التحرير . ويرى خلفه صديقه وزميله فى الكفاح الدكتور ريبار

اجتماعا فى بيوغراد تقرر فيه أن تقوم اللجان المركزية ، والاقليمية للحزب باصدار نداءات الى الشعب بالثورة .. وجاء فى هذا النداء :

« **الى العمال ، والفلاحين ، وأهالى المدن :**

« لقد دقت الساعة .. وبدأت المعركة الحاسمة ضد أكبر أعداء الطبقة العمالية ، بعد أن قام المجرمون الفاشستيون بهجوم رئيسى على الاتحاد السوفييتى ، أمل كل الكادحين فى العالم .. اتخذوا أماكنكم يا عمال يوغوسلافيا فى الصفوف للقتال . والتفوا حول قائدكم ، الحزب الشيوعى اليوغوسلافى .. ياشيوعيو يوغوسلافيا ! لقد حانت الساعة العصيبة التى كنا نترقبها فى كفاحنا .. لقد أعلن الحكام الفاشست المتعطشون للدماء ، الذين يذلون البلاد الخاضعة لهم حرب الابادة علينا .. ونحن نقبل التحدى فقد أعددنا أنفسنا لذلك .. واذا كان القتلة الفاشست قد أعلنوا أنه لا هوادة ولا رحمة لاى شيوعى ، فى هذا الصراع . فاننا نجيب بأنه لا هوادة ولا رحمة للقادة الفاشست المجرمين ، وتوابعهم الامناء لهم..فالى الامام الى المعركة النهائية ، الحاسمة ، فى سبيل الحرية ،وفى سبيل سعادة الانسان ! »

وتقرر فى اجتماع اللجنة المركزية الذى عقد يوم ٢٧ يونيو أن يذهب بعض أعضائها فورا الى الميدان لتنظيم وقيادة كتائب الانصار . وعينت قيادة عليا لكتائب التحرير . وفى ٤ يوليو تقرر أن تبدأ الجماعات العسكرية التى تم تشكيلها فى نسف الكبارى ، وخطوط السكك الحديدية ، وتعطيل المصانع ، ومهاجمة الموظفين التابعين للاعداء .

وبدأت الثورة فى صربيا يوم ٧ يوليو ، ثم فى الجبل الاسود يوم ١٣ يوليو ، وعمت ــ بعد وقت قصير ــ أرجاء البلاد . وكان تيتو

يدير الثورة فى كل البلاد وعلى اتصال بها من بيوغراد ــ من يوليو الى سبتمبر ١٩٤١ ٠

ولما تقدمت الثورة ، ورست قواعدها ، وتم تحرير جزء من صربيا ، تهيأت الظروف للقيادة العليا لكى تنتقل الى الاراضى المحررة ٠ فانتقل اليها تيتو فى منتصف شهر سبتمبر ٠ وأصبح فى وضع يمكنه من أداء العمليات السياسية ، والعسكرية عن قرب ٠ فرأس اجتماعا للمشاورة من قادة ، وممثلى قيادات كتائب الانصار من كل أنحاء يوغوسلافيا فى قرية « ستوليتش » فى ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٤١ ، حيث اتخذت قرارات هامة لاحراز تقدم جديد ــ كما قدم تيتو فى هذا الاجتماع تقريرا عن محادثاته مع الكولونل (١) «دراجا

(١) كان « دراجو ميخالوفيتش » كولونيل اركان حرب فى الجيش اليوغوسلافى السابق ، قد فر الى رافناجورا ــ بين جبال سوفوبور وماليين فى غرب صربيا ــ مع جماعة من الضباط لتفادى الوقوع فى أيدى الالمان ٠ ولم يقم بأى عملية حربية مع كتيبته الصغيرة حتى بدأت الكتائب الاولى للانصار عملياتها الحربية ضد الغزو ، فشن هو حملة سياسية مدبرة ، ومهد لعمليات الخيانة ضد كتائب الانصار ، وتضليل العناصر الوطنية التى كانت متأهبة للاشتراك فى حرب التحرير ٠ وفى نهاية ١٩٤١ ، أى فى الوقت الذى بدأ فيه عمليات الخيانة ضد وحدات الانصار ، أصبح ميخالوفيتش وزيرا للجيش والبحرية فى الحكومة الملكية التى كانت تقيم فى المنفى فى لندن ، ورقى من كولونل الى جنرال ، وقائد أعلى للجيش الملكى فى البلاد ، وتعاون علانية مع العدو ، والسلطات الخائنة المتعاونة مع الغزاة طوال مدة الحرب ، ضد حركة التحرر القومى ، وارتكب مع جنوده «الشتنيك» أقسى الجرائم ضد شعوب يوغوسلافيا ، وعاش بعد الحرب طريدا للقانون ، ثم اعتقل وحوكم بتهمة الخيانة ، وارتكاب جرائم الحرب القاسية ، وحكم عليه بالاعدام رميا بالرصاص عام ١٩٤٦ ٠

ميخايلوفتش » وخلاصته أن الاخير رفض الالتحام مع العدو بجنوده من « الشتنيك » • وتقرر بذل كل مجهود للاتفاق مع «ميخايلفوتش» على القيام بعمليات مشتركة ، ولكنه أصر على موقفه •

ونظمت الوحدات التى انسحبت من صربيا والجبل الاسود يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٤١ وشكل أول فيلق للعمال فى الجيش النظامى الشعبى الجديد •

وكان تشكيل جيش التحرير الشعبى من أبرز فصول حرب التحرير الشعبية ، فقد عاون ذلك كثيرا على تزويد كتائب الانصار بالتكتيك الحربى ، وساعد على اتساع رقعة العمليات التى كانوا يقومون بها فى جبهات عديدة • **وكتب تيتو عن ذلك يقول :** « يجب أن نحترس من الجبهات الجامدة ، ونحذر من أن يجرنا تاكتيك العدو الى الدفاع عن جبهات طويلة ، مكتنزة ، والى الوقوع فى مهاوى سحيقة • بل على النقيض ، يجب على جيشنا الشعبى أن يتشرب بروح الهجوم •• حتى فى حالات الدفاع •• وروح الهجوم أثناء هجوم العدو ، تنبع من تاكتيك قوى لرجالنا المتسلل بين صفوف الاعداء ونسف مواصلاته ومنشآته ، وضرب مراكز تموينه،وقواعده، التى ضعفت أو أخليت تماما من الجنود خلال هجوم العدو • يجب ألا نخاف من الحصار ، كما كنا لا نخاف فى الماضى القريب عندما كانت وحداتنا صغيرة ، ان فقدنا بعض المناطق يجب أن يقابله أيضا الاستيلاء على مناطق جديدة أكبر وأهم » •

وفى نهاية ١٩٤٢ بدأت الفرق اليوغوسلافية عمليات حربية على نطاق واسع ضد قوات الغزو الكبيرة • فما أن اقترب عام ١٩٤٤ من نهايته حتى كان للجيش اليوغوسلافى جبهة استراتيجية أعجزت العدو عن اختراقها وكان هذا القطاع المستقل يزيد حصار الحلفاء

ضيقا حول المانيا ، وما لبث الجيش الشعبى اليوغوسلافى الذى تكون خلال الحرب ، أن شن هجوما حاسما ، تحررت به البلاد ، أو حررت يوغوسلافيا نفسها بنفسها ٠

وجدير بنا أن نقف قليلا لنستعرض مراحل هذه الحرب التى شنها اليوغوسلافيون وحدهم على الغزاة ، فهى من روائع الاستراتيجية الحربية الحديثة ، وقصص البطولة والوطنية التى لا غنى عن دراستها ، بل وتدريسها للنشء ، وبخاصة فى البلاد العربية ، التى ما زالت تعانى الوصاية الاجنبية ، أو هى تعيش فى ظل التهديد الاستعمارى ٠

وفى كل هذه المراحل يبدو أثر تيتو فى التوجيه ، ورسم الخطط ، ومواجهة استراتيجية الغزاة باستراتيجية تغلبت على قوى العدو المتفوقة عددا ، وعدة ، دون الاستعانة بجندى أجنبى واحد ، فلم ينزل الحلفاء جنودهم فى يوغوسلافيا المحتلة ، كما فعلوا فى بلاد أخرى للمساهمة فى تحريرها ، بل تم تحرير يوغوسلافيا من الداخل ، وبسواعد أبنائها ، وجيشها الذى تشكل خلال الحرب ، وبمواردها الخاصة ٠

وقد بدأت المرحلة الاولى بعمليات صغيرة لكتائب الوطنيين الذين أطلق عليهم الانصار ٠ وبالرغم من أن هذه العمليات كانت مفككة ، مبعثرة الجهات ، فقد كان لاستراتيجيتها قيمة كبيرة ، كجزء منطقى من الحرب العالمية الثانية ، فقد شغلت ، وابتلعت عددا كبيرا من قوات الاحتلال ، ونجحت هجماتها على خطوط مواصلات العدو ، وحالت دون تموين العدو لوحداته فى أهم ملتقى للطرق فى جنوبى شرق أوربا ٠٠ **وكان ذلك مساهمة كبيرة من جانب اليوغوسلافيين لقضية الحلفاء ٠**

ولما نجحت الثورة ، وعمت البلاد ، تحول مسرح العمليات فى يوغوسلافيا الى جبهة هامة فى الاستراتيجية الاوربية ، وأصبحت من الاعمدة الهامة فى انهيار المحور ، وبخاصة بعد أن قلبت معارك ستالينجراد والعلمين الدفة ضد المحور • فقد ركز تيتو جهوده اذ ذاك لتنسيق عمليات جيش التحرير الشعبى مع عمليات الحلفاء • وكان القرار الذى اتخذه فى نهاية ١٩٤٢ بنقل مركز العمليات من البوسنة الى صربيا ومقدونيا ، فى اللحظة التى آنزل فيها الحلفاء جنودهم فى شمال افريقيا ، ضربة قاسية للالمان ، اذ جعل هذا الجزء من شبه جزيرة البلقان من الجبهات الاولى ذات الاهمية الاستراتيجية البالغة الاهمية ، واضطرهم الى اعداد الهجوم الخامس للحيلولة دون ذلك • وعندما زحف الجيش الاحمر الى مقربة من حدود الرايخ ، تقدمت القوات الاساسية لجيش التحرير الشعبى ، بقيادة تيتو ، الى صربيا ، واتصلت بالكتائب والآلايات المحاربة فى صربيا ، وسهلت عمليات الجناح الايسر للجيش الاحمر ، وقطعت القوات الالمانية القوية التى كانت فى اليونان بقيادة الجنرال ليهر ، واضطرتها للانسحاب فى ظروف عصيبة• وأدى الزحف اليوغوسلافى فى اتجاه تريستا فى ربيع ١٩٤٥ ، قبل البدء بالهجوم اليوغوسلافى العام ، والاخير ، الى وضع الجيش الرابع فى موقف دقيق ، أمام القوات الاحتياطية الكبيرة ، ولكنه سهل الى حد كبير عملية هجوم القوات الانجليزية ــ الامريكية فى ايطاليا •

المحور يهاجم يوغوسلافيا سبع مرات

ونستطرد قليلا لبيان الهجوم الذى شنه المحور على يوغوسلافيا• فمنذ اندلاع ثورة التحرير الى نهاية الحرب ، شنت قوات المحور سبع هجمات كبيرة على القوات الرئيسية لجيش التحرير الشعبى • ففى نهاية ١٩٤١ ، قام المحور بالهجوم الاول فى جبهتين ، وفشل ،

كما فشل كل هجوم تلاه • وبدأ الهجوم الثانى فى ١٩٤٢ ، وتبعه الهجوم الثالث بعد قليل • وكان أقسى هجوم للمحور هو الهجوم الرابع ، ثم الهجوم الخامس ، فى ١٩٤٣ • وفى نهاية ذلك العام وبداية ١٩٤٤ ، قامت القيادة الالمانية العليا بالهجوم السادس ، و فى ٢٥ مايو ، شن الهجوم السابع وقد خرج جيش التحرير الشعبى اليوغوسلافى من كل هذه الهجمات منتصرا ، بل أكثر قوة ، وعددا •

وتفتحت عبقرية تيتو العسكرية الى ألمع حدودها مع سير العمليات الحربية ، فكان يلاحق هزائم العدو بهجمات أخرى ، ويتابع انتصاراته بنقل العمليات الى ميادين أخرى ، فما أن نجح زحف الثوار من الجبل الاسود الى « يوسانسكا كرايينا » فى ١٩٤٢ ، حتى وجه اهتمامه الى تقدم الثورة فى كرواتيا ، ودالماشيا ، وسلوفينيا ، على نطاق واسع ، فانهار النظام الذى أسسه الالمان فى كرواتيا واطلقوا عليه « دولة كرواتيا المستقلة » ، وأجبر الالمان والايطاليين على شن الهجوم الكبير الرابع فى وقت محنتهم فى ستالينجراد وشمال افريقيا • وفى خلال هذا الهجوم اتخذ قرار حاسم فى الوقت المناسب ، ونفذ بارادة حديدية ، وهو الزحف الى جنوب شرق يوغوسلافيا بالقوى الرئيسية للعمليات الحربية ، وكل الجرحى ، وتجلت العبقرية العسكرية فى معركة نهر نيريتفا الدامية •

الهجوم الرابع ومعركة نهر نيريتفا

بدأ الهجوم الرابع يوم ٢٢ يناير واستمر الى منتصف مايو ١٩٤٣ ووجه الى القوى الرئيسية لجيش التحرير الشعبى فى يوغوسلافيا ، واشتركت فيه قوات الالمان والايطاليين، وجيش الخونة «الاوستاشي» بأسره ، وجيش المتعاونين « الشتنيك » بقيادة «دراجا ميخايلوفتش» الذى انضم الى جيوش الاعداء عند نهر « نيريتفا » وكان تفوق العدو فى العدد ، والاستعداد الفنى ، هائلا ، فبدأ يرجع وحدات التحرير

الى الداخل • ونشب القتال فى عدة جهات •• فى كوردون ، ونيمًا ، وبانيبا ، والبوسنة ، حتى استقرت القوات الرئيسية لجيش التحرير الشعبى ، بزعامة القيادات العليا عند نهر نيريتفا ، فى الهرسك ، وبدأت معركة « نيريتفا » معركة حياة أو موت •• لانقاذ أربعة آلاف جريح ، واستمرت أكثر من شهر • وانتهت بفوز جيش التحــرير الشعبى ، ولحقت فرقه المنهكة بجيش « الشتنيــك » الذى يقوده « دراجا ميهايلوفتش » ، وتعقبته فى أعالى الجبال ، وأعماق الغابات، فى أراضى الهرسك والجبل الاسود حتى أبادته •

الهجوم الخامس •• معركة نهرسوتيسكا

وكان لفشل الهجوم الرابع ، وهزيمة جيوش المحور ، وأتباعه ، دويا كبيرا ، فسارع الالمــان الى جمع قواتهم المشتتة ، وأتوا بقوات أخرى جديدة ، وامدادات كبيرة ، وشنوا هجومهم الخــامس ، الذى كان أقسى هجوم ، خاضت فيه قوات التحرير الشعبية معارك مريرة رهيبة ، بل أقسى وأهول معــارك حرب التحرير فى يوغوســلافيا ، وأحسمها • ومن أبرز معارك هذا الهجوم معركة جبل « زيلنجورا » ومعركة نهر « سوتيسكا » •

وأدرك تيتو فى بداية هذا الهجوم الخامس استحالة استمرار السير الى الشرق ، فغير اتجاهه فجأة ، وضرب بقواته وســط الحصــار الحديدى ، المضروب حول قواته الرئيسية ، وقياداته العليــا ، ولم يكن العدو يترقب منه ذلك ، فحطمت قوات التحرير هذا الحصــار القوى ، ببطولة لا نظير لها ، وتضحيات غاليــة ، بلغت فى الانفس نحو ثمانية آلاف يوغوسلافى ، وتكبد العدو خسارات فادحــة • وجرح تيتو فى هذه المعركة من انفجار قنبلة جوية • وتابع جيش التحرير بعد ذلك هجومه المضاد على العدو ، نحو شرق البوسنة •

وكان لثقة الجنود والضباط فى قيادة تيتو أكبر الاثر فى هـذه الانتصارات البطولية اذ كانوا يحسون اهتمامه الذى لاينقطع بحالتهم المادية ، والنفسية ، وتقدمهم الثقافى ، والسياسى ، والعسكرى • ولذلك كانوا على استعداد دائما للقيام بأشق الواجبات ، مع علمهم بما تتطلبه منهم من جهود ، وتضحيات ، ودماء عذبة ، وكذلك كانت ثقة تيتو فى جنوده لا حد لها •

وكانت طريقة تيتو فى القيادة تتطلب قوة مبادرة كبيرة من جانب مساعديه لتنفيذ خطط الحرب السريعة ، وتاكتيك العمليات • ولكن تيتو كان يتدخل فى اللحظات الحرجة ، فيؤثر بعبقريته ، وخططـه الحاسمة على سير العمليات •

أضافت حرب التحرير اليوغوسلافية، من حيث طبيعتها .وخططها وسير عملياتها ، ونتائجها العسكرية ، فصولا جديدة لعلم الحرب • فقد كشفت عن أشكال الكفاح لأمة غزيت ، ضد أقوى وأعند الغزاة، وأعلاهم فنا ، فى تاريخها الحافل بالغزو ومعارك التحـرير ، فى أقسى الظروف • بل ان ذلك قد فتح آفاقا جديدة فى نظريات علم الحرب ، التى تناقش اليوم مشكلة معالجة الفروق فى العتاد الحربى بين الدول الصغيرة والكبيرة ، وسوف تساهم تجارب حرب التحرير القومية بقسط وفير فى هذه الابحاث النظرية ، والعلميـة ، ولن تكون أقل مساهمة فيها نظريات تيتو الحربية ، التى تفيض بهـا شرحا وتطبيقا •

مولد دولة جديدة ، وحكومة شعبية

كان لحركة التحرير الشعبية اليوغوسلافية برنامج موحد ، منذ بداية الكفاح المسلح • ولم يكن ذلك البرنامج نتيجة اتفاق بين جبهة

مؤتلفة من الاحزاب ، لان قادة أغلب الاحزاب البورجـوازية رفضت التعاون مع الحزب الشيوعي في يوغوسلافيا • ومن المعروف أن تلك الاحزاب قد حلت مع تسليم البلاد ، ووضع زعماء معظم هذه الاحزاب، وكذلك كل أجهزة الدولة في يوغوسلافيا القديمة ، خدمـاتهم تحت تصرف الغزاة • وكان من العبث التفاوض مع المتعاونين مع الغزاة تعاونا وثيقا ، في الوقت الذي كانت تعد فيه العدة للثورة ضد هؤلاء الغزاة •

وفي هـذه الظروف التي كان الحزب الشيوعي اليوغوسـلافي ، بقيادة جوزيب بروز تيتو ، ينظم فيها حرب التحرير، كان يضع أيضا الأسس السياسية لمنظمة « جبهة التحرير الشعبية المتحدة » وكان لهذه المنظمة الوطنية برنامج سياسي كبير ، هو تعبير عن آمال كل المواطنين اليوغوسلافيين • وضمت الجبهة المتحدة الاعضاء الذين وافقوا على برنامج حركة التحـرير ، والذين حاربوا بالسـلاح ، وقوبلت بحماس من جموع العمال ، والفلاحين ، والمثقفين ، وكل الطبقات ، بصرف النظر عن جنسيتهم السياسية ، وعقائدهم الدينية ، انمـا يضمهم شعار واحد : «نحن جميعا للميدان ، وسنعمل جميعا للنصر» •

وأحس أعضاء « جبهة التحرير الشعبية المتحدة » خلال الكفـاح المسلح ، بالحاجة الى دولة جديدة •• وحكومة جديدة •• لتكون في خدمة الشعب،وليست بآلة للضغط السياسي،والقومي،والاقتصادي، كما كان طابع الحكومات في يوغوسلافيا القديمة • ولم يكن هذا الوعي السياسي ، خـلال الكفاح المسـلح ، الا نتيجـة المجهود السـياسي للشيوعيين ، الذين كانوا أشد أعضاء هذه المنظمة السياسية وعيا ، وكانوا يمتازون دائما عن غيرهم بأعمال بطولية في المعارك ، ويوالون شرح أهداف الكفاح ، وهم يصـهرون أنفسهم في مدرسـة الحرب القاسية ، ويبينون ضرورة قيام دولة جديدة ، لا في الشكل فحسب،

بل فى المضمون أيضا • وكانت قوة الاقناع كافية لان يتطوع كثير من المواطنين للكفاح ، والقتال ، ولان يحتملوا أفدح التضحيات • ولذلك كان تيتو دائب العناية بالنهوض بمنظمة الحزب الشيوعى فى يوغوسلافيا ، كالقوة القيادية السياسية الرئيسية ، وكان دائم العمل لتوطيد عقيدته المذهبية ، وتوثيق صلاته مع الجماهير •

وما أن حررت بعض المناطق عقب العمليات الاولى ، عام ١٩٤١ ، حتى قضى على كل أجهزة الدولة التى كانت تتعاون مع العدو • ومارست وحدات التحرير « الانصار » أول سلطة سياسية ، وادارية ، وقضائية فى البلاد • وكان ذلك سببا لان يتقرر فى الاجتماع الذى عقده ممثلوا قيادات وحدات التحرير « الانصار » للتشاور فى « ستوليتشى » يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٤١ ، انشاء لجان التحرير الشعبية وتم انتخاب هذه اللجان فورا فى المناطق التى حررت • ووضع الاساس لحكومة شعبية جديدة بدلا من النظام القديم ، الذى كان يتعاون مع العدو • وأتاح تشكيل لجان التحرير الشعبية الفرصة لمتابعة الكفاح خلال سنى الحرب الاربع •• وفى ذلك الوقت كتبت صحيفة « بوربا » لسان حال الحزب الشيوعى فى يوغوسلافيا تقول:

« •• لاقت لجان التحرير الشعبية ترحيبا ، وقبولا من الشعب فى كل مكان ، فانهم يرون فيها حكومتهم الشعبية ، ورمز تحريرهم • وليست هذه اللجان أجهزة لاى حزب ، أو منظمة منفصلة ، ولكنها تمثل كل هذه الجماعات السياسية ، والمنظمات الشعبية •• تمثل جموع الشعب التى خاضت معارك القتال ضد الغزاة ••• فلجان التحرير الشعبية تمثل مع قواتنا المسلحة الاعمدة الرئيسية لنصرة قضية شعبنا العادلة ••• » •

وكانت لهذه البداية الهامة لشكل الحكومة المستقبلة أكبر الاثر فى

رسم الاشكال الاولى للحكومة الذاتية للشعب وتطورها ، تمشيا مع العمليات العامة لكتائب التحرير « الانصار » ، وجيش التحرير الشعبى •

وكانت الظروف قد تهيأت لرسم شكل الدولة المستقبلة ، بعد أن تطورت كتائب التحرير الشعبية خلال ثمانية عشر شهرا من القتال المرير ضد العدو المشترك ، الى جيش نظامى ، عسكر فى مناطق شاسعة بعد تحريرها • وبادر القائد الأعلى لجيش التحرير الشعبى، وكتائب الانصار ـ جوزيب بروز تيتو ـ الى دعوة ممثلى المنظمات الديموقراطية والوطنية التى انضمت الى جبهة التحرير الشعبية ، واشتركت فى الكفاح الشعبى للتحرير ، الى اجتماع مشترك فىمدينة « بيهاتش » الصغيرة فى البوسنة ، فى ٢٦ نوفمبر ١٩٤٢ ، وتقرر فى هذا الاجتماع انشاء «مجلس التحرير الشعبى المعادى للفاشستية» الذى يرمز له بالحروف Avnoj

وانتخبت فى هذا الاجتماع لجنة تنفيذية ، مهمتها تقوية الجبهة ، واعادة بناء المؤسسات والمصانع التى خربت ، وتوفير الغذاء للشعب، وتموين القوات المسلحة للتحرير ، وايجاد حل لمشكلة يتامى الحرب المعقدة ، وايواء اللاجئين ، واعادة بناء المدارس •• الخ •

وهكذا كان هذا المجلس يؤدى واجبات الجهاز التمثيلى ،والسياسى الأعلى لشعوب يوغوسلافيا •

واعقب اجتماع الدورة الاولى لمجلس التحرير ، الهجوم المشترك الرابع ـ أو أكبر هجوم للالمانيين والايطاليين ، واعوانهم ـ ثم أعقبه الهجوم الخامس الكبير ، وفشل كلاهما، وخرجت قوات التحرير منهما أكثر قوة ، وأقوى معنوية ، وكانت قوات « الشتنيك » بقيادة «دراجا

ميخايلوفتش » قد اشتركت عسكريا فى الهجوم الرابع للعدو ، وأعلن على الشعب ، وفى الخارج ، ان هذه القوات وقائدها ، والحكومة التى تساندهم من المنفى ، هم خونة ٠

ولم تلبث ايطاليا أن سلمت ، ونزعت كتائب التحرير ، وجيش التحرير الشعبى اليوغوسلافى ، معظم سلاح الجيش الايطالى فى يوغوسلافيا ، وكان مكونا من اثنى عشر فرقة ٠ وأقيمت علاقات أكثر مباشرة مع الحلفاء ، وأمكن تنسيق العمليات الحربية فى يوغوسلافيا مع العمليات العامة لجيوش الحلفاء ٠ وكان ذلك ثمرة الجهود العامة لشعوب يوغوسلافيا ، والجهود السياسية والعسكرية لحركة التحرير الشعبية ، التى جعلت من نفسها القوة الوحيدة فى البلاد لشن حرب لا هوادة فيها ضد الغزاة ، والخونة ٠

من هم الاوستاشى

ونستطرد قليلا لنبين من هم جماعة الاوستاشى الذين جاء ذكرهم أكثر من مرة فى هذا الحديث ٠ ويطلق اسمهم على جماعة شكلت قبل الحرب العالمية الثانية من الكرواتيين المتعصبين ، وأنصار الانفصال ٠ وكان الاوستاشى ضد فكرة اقامة دولة يوغوسلافيا عام ١٩١٨ ٠ وكانت لها منظمات شبه عسكرية ، فى النمسا، وايطاليا، هدفها قلب الحكومة اليوغوسلافية بالقوة ٠ وعند ما احتلت يوغوسلافيا فى عام ١٩٤١، أسس الاوستاشى دولة كرواتيا المستقلة، المتعاونة مع المحور، وضموا اليها البوسنة ، والهرسك ، وسريم ، وقاموا بحملة ابادة للصرب ، واليهود ، والغجر ٠ ويقدر عدد المواطنين الصرب الذين قتلهم الاوستاشى أكثر من مليون صربى ٠ ورأس دولة كرواتيا المستقلة مجرم الحرب « انتى بافليتش » ، وتولى وزارة الداخلية مجرم الحرب « اندريا ارتوكوفيتش » ٠٠ وكلاهما يعيش الآن فى الخارج ٠

وفى سلوفينيا ـ التى ضمت الى المانيا خلال الحرب ـ قامت منظمة عسكرية متعاونة مع العدو بقيادة « ليو روبنيك » ، وحاربت ضد حركة التحرير اليوغوسلافية ٠

قرار تاريخى

أدى التحسن العام فى الموقف الحربى للحلفاء ، بعد نجاح عملياتهم ضد قوات المحور ، وتحسن الموقف العسكرى والسياسى فى يوغوسلافيا ، الى تهيئة الظروف لاتخاذ قرار لوضع أسس دولة يوغوسلافيا الجديدة ٠ فدعى مجلس التحرير الى عقد دورته الثانية فى مدينة « يايتسى » فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٣ ، وحضره ممثلون عن كل شعوب يوغوسلافيا ، وقدم تيتو تقريرا عن مراحل التقدم فى حركة التحرير الشعبية ، ثم اتخذت القرارات التالية :

١ ـ جعل مجلس التحرير الشعبى المعادى للفاشستية Avnoj أعلا هيئة تشريعية ، والجهاز التمثيلى ليوغوسلافيا ٠

٢ ـ تأليف لجنة شعبية لتحرير يوغوسلافيا ، لتمارس عن طريقها هيئة Avnoj السلطة التنفيذية ٠

٣ ـ تنظيم يوغوسلافيا على أسس ديموقراطية اتحادية ، كدولة مكونة من جماعات شعبية State Community متساوية فى الحقوق ٠

٤ ـ تجريد الحكومة اليوغوسلافية فى المنفى من كل سلطات الحكومة الشرعية ليوغوسلافيا ، وبخاصة فى العلاقات الدولية ٠ وعدم نيابتها عن الشعب فى التزامات المستقبل ٠

٥ ـ انشاء لقب مارشال فى جيش التحرير الشعبى اليوغوسلافى ٠

٦ ـ الموافقة على القرارات ، والاوامر ، والتصريحات ، التى صدرت

عن « افنوى » والقائد الاعلا ، خلال الفترة بين الدورتين الاولى والثانية لمجلس التحرير المعادى للفاشستية •

وقررت اللجنة التنفيذية الجديدة، بعد عقدها، اعطاء لقب ماريشال يوغوسلافيا لجوزيب بروز تيتو ، وانتخبته رئيسا للجنة التحرير الشعبية ليوغوسلافيا ، التى كان لها كل مظاهر الحكومة المؤقتة ـ وذلك بعد أن استعرض الاعضاء جهود تيتو ، ونجاح قيادته العسكرية والسياسية •

واعطت قرارات الدورة الثانية الحق الشرعى للجان التحرير الشعبية ، لتكون الاجهزة الرئيسية للحكومة ، وأساس مجالس الشعب المعادية للفاشستية فى كرواتيا ، وسلوفينيا ، كما جعلت من مجلس التحرير الشعبى المعادى للفاشستية « افنوى » الجهاز التمثيلى الاعلا • ويكون كلاهما الحكومة المؤقتة ، التى تربط كل اجهزة الحكومة فى يوغوسلافيا فى اتجاه عامودى • وعلى ذلك تطور النظام الجديد للحكومة ، خلال الحرب ، الى دولة موحدة ، من القاع الى القمة •

وقد قال الماريشال تيتو عن هذا الاجتماع التاريخى : « بين الاعمال الناجحة التى حققها الشعب اليوغوسلافى ، خلال حرب التحرير الشعبية ، القرارات التى اتخذتها هيئة « افنوى » فى دورتها الثانية • اذ كانت نقطة تحول فى سير كفاح التحرير •• فقد أرست الاسس الاولى لبناء يوغوسلافيا جديدة ، أسعد حالا ، تضمن لشعوبنا التى تألمت كثيرا ، مستقبلا أسعد ، وأحسن ، ونظاما قائما على المساواة ، والوحدة الأخوية ، والعدالة الاجتماعية » •

المساواة القومية

كانت شعوب يوغوسلافيا التى طال بها الاستعمار والهوان، تتطلع بعد نهاية الحرب العالمية الاولى الى دولة موحدة ، تقوم على الأخاء ، والمساواة للجميع ، فى نطاق الدولة الجديدة التى أطلق عليها فى ذلك الوقت « مملكة الصرب ، والكروات ، والسلوفين » • ولكن سرعان ما أصابهم اليأس ، عند ما استولت على كل السلطات فى البلاد ، فئة قليلة من تجار الحرب الصرب ، برياسة الملك ، ومساندة القوات المسلحة ، والبوليس ، والنواب المرتشين • فساموا الناس ألوانا من الضغط السياسى ، والاضطهاد •• وبلغ الامر أن ألغى وجود بعض القوميات بالقوة ، فاعتبر المقدونيون من صرب الجنوب ، وأهل الجبل الاسود من الصرب •

وكان من أول أهداف الحزب الشيوعى اعطاء كل أمة حق تقرير مصيرها ، ومن أول واجباته فى الكفاح المذهبى والسياسى الشيوعى، نشر نقد ماركس للتعصب القومى ، والوطنية المحلية ، والانفصال•

وفى نطاق هذا الخط العام ، اتخذت القرارات الهامة التالية فى المؤتمر الخامس للحزب الشيوعى اليوغوسلافى ، الذى عقد فىزغرب عام ١٩٤٠ :

١ ــ الكفاح فى سبيل مساواة الشعب المقدونى ، وتقريره مصيره، وتحريره من ضغط البورجوازية الصربية •

٢ ــ الكفاح فى سبيل مساواة شعب الجبل الاسود ، وتقرير مصيره •

٣ ــ الكفاح فى سبيل ايجاد حل للمشكلة القومية للكروات ، والسلوفين ، والقضاء على تنافس البورجوازية فى صربيا ،

وكرواتيا ، وسلوفينيا ، على حساب الطبقات العاملة فى تلك المناطق • »

وقرر المؤتمر حق المقدونيين ، وأهالى الجبل الاسود ، والبوسنة والهرسك ، فى الاستقلال الذاتى •

وقد بدأ كفاح الشعب اليوغوسلافى للتحرير — الذى نظمه وتولى قيادته الحزب الشيوعى اليوغوسلافى، فى أدق الظروف••حيث كانت الاقطاعية تسيطر على البلاد ، والتفكك يسودها ، والعدو يحتل أراضيها ، ويذل أهلها • وأرخ تيتو هذه الفترة فى تقريره للمؤتمر الثانى للجبهة الشعبية •• قال : « كان الحقد القومى ، الذى ورث منذ قبل الحرب ، والذى دفعه الالمانيون والايطاليون الى القمة •• الى حد تبادل الابادة بين أهل الوطن الواحد •• كان ذلك من العقبات الكؤود فى سبيل توحيد شعوب يوغوسلافيا فى كفاح قاس ، طويل ضد الغزاة » •

اعتراف العالم بيوغوسلافيا الجديدة

كانت الظروف التى بدأ فيها الشعب اليوغوسلافى حرب التحرير فى قلب قلعة هتلر ، مثلا فريدا فى نوعه فى تاريخ الحروب ، وبخاصة بالنسبة لظروف الحرب العالمية الثانية ، التى وصلت فيها معدات الحرب الذروة • فقد قوبلت حركة التحرير الشعبية بعتاد هائل ، وسلاح جوى حديث ، وفنون عسكرية عالية ، وقوات ساحقة ، متعددة ، من الالمان ، والايطاليين ، والبلغاريين ، والمجريين ، والخونة الشتنيك ، والاوستاشى ، والدوموبرانى ، والحرس الابيض ، والحرس الازرق ، وجماعات الباليستا (الالبانيين) •• وكانت موارد أسلحتهم وتموينهم

لا تنقطع ، بينما دخلت قوات التحرير الشعبية الصراع وهى فقيرة فى كل شىء ولا سند لها ولا معين من الخارج ، وكان جل اعتمادها على أفراد الشعب ، الذين كانوا يمدونها سرا بالطعام ، والثياب ، ولم تكن تحمل فى البداية الا أسلحة خفيفة ، ثم أخذت تتزود بالسلاح الذى تستولى عليه من الخارج • وكان من الطبيعى أن نستسلم الكتائب فى مثل هذه الظروف ، ولكن الجيش الشعبى اليوغوسلافى بقيادة تيتو لم يكن يعرف مثل هذه الكلمة •• وبعد عامين من القتال ضد الغزاة الاجانب ، والخونة المسلحين ، نجحت كتائب التحرير فى أن تصبح عاملا عسكريا ، وسياسيا فعالا فى هذه البقعة من أوربا •

ويكفى أن تعرف بأن كتائب التحرير اليوغوسلافية التى بدأت صغيرة ، خفيفة السلاح قد شلت منذ بداية عملياتها الحربية نحو ٥١٠ الف جندى من جنود الاعداء فى نهاية ١٩٤١ ، ثم ٠٠٠ر٦٦٠ فى نهاية ١٩٤٢ ، و٠٠٠ر٧٠٠ فى سبتمبر ١٩٤٣ ، و٠٠٠ر٤٠٠ المانى فى نهاية ١٩٤٤ ، ويضاف الى هذا العدد بين ١٢ و ١٨ فرقة من جنود المتعاونين مع المحور ، الذين اشتركوا فى القتال ضد جيش التحرير الشعبى ، وكتائب التحرير اليوغوسلافية طيلة مدة الحرب • وتغيرت علاقات القوات فى يوغوسلافيا بعد الهجوم الخامس •• فسلمت ايطاليا ، وهزم « الشتنيك » بقيادة « دراجا ميخايلوفيتش » وقويت حركة التحرير ، عسكريا ، وسياسيا ، وفنيا • وزاد عددها • واعترف العالم بجيش تيتو من الابطال •• كالقوة الوحيدة المناوئة لهتلر فى يوغوسلافيا • وبدأ الجيش اليوغوسلافى الشعبى ــ الذى أصبح جيشا نظاميا كاملا ، يتلقى المساعدات من الحلفاء ، الذين أرسلوا بعثاتهم العسكرية لتمثل لدى القيادة العليا للجيش اليوغوسلافى • ولم يعد العدو يستطيع المضى فى عمليات حربية واسعة النطاق ، بل اضطر الى ملازمة الدفاع عن نفسه •

وفي خلال عام ١٩٤٤ ، كانت العمليات الحربية ضد المانيا الهتلرية وحليفاتها تتقدم بنجاح تام ، وفقا للخطط المرسومة • اذ صمم الحلفاء ، وأجمعوا كلمتهم على تدمير أقسى معتد عرفه تاريخ العالم الى الآن ، وبناء السلم فيما بعد الحرب •• ولهذا الغرض اجتمع زعماء دول الحلفاء الكبرى فى يالتا ، ثم فى القرم ، لترسم عالم ما بعد الحرب •

وفى ٢٥ مايو ١٩٤٤ ـ وهو يوم عيد ميلاد تيتو ـ شنت القيادة الالمانية العليا هجومها السابع والاخير ، الذى استغرق اعداده وقتا طويلا ، وصاحبه هجوم جوى مفزع على قرية « درفار » الصغيرة فى البوسنة • وكان هذا الهجوم يختلف عن الهجمات الاخرى من حيث الهدف ، اذ كان يهدف الى تدمير القيادات العليا لجيش التحرير الشعبى، وكتائب الانصار ، بأى ثمن • ولكن هذا الهجوم فشل كسابقيه •

وفى صيف ١٩٤٤ ، بدأ هجوم الجيش الشعبى لتحرير البلاد بأسرها ، وبعد معارك مريرة مع قوات العدو فى صربيا انتهت مقاومة الالمانية ، والقوات الخائنة المتعاونة ، بعد أن كسرت تماما • وفى العشرين من أكتوبر ١٩٤٤ حررت بيوغراد فى عملية تعاونت فيها وحدات من الجيش الاحمر •

ولما تم تحرير بيوغراد ، وزغرب ، وشمال ، وشرق صربيا ، وكل اقليم « فويفودينا » ، انتقلت رياسة المجلس الاعلى المعادى للفاشست، ولجنة تحرير يوغوسلافيا والقيادات العليا لجيش الشعب ، وكتائب الانصار ، الى بيوغراد ، التى أصبحت أكثر صلاحية لاستكمال العمليات الحربية ، واعلان الدولة الجديدة ، التى تكونت خلال المعارك • وعاد تيتو ، بعد غياب ثلاثة أعوام ، يدير الكفاح من العاصمة ، لاستكمال الاستقلال ، وسرعان ما وجه اهتمامه السريع ليحصل على اعتراف العالم بيوغوسلافيا الديموقراطية الاتحادية •فانتهت المحادثات

التى دارت فى المناطق المحررة يوم ١٦ يونيو ١٩٤٤ ، بين لجنة التحرير الشعبية اليوغوسلافية ، وممثلى حكومة المنفى فى لندن بتوقيع وثيقة من الماريشال تيتو ، والدكتور « ايفان شوباشيتش » • وفى ٨ مارس ١٩٤٥ ، شكلت حكومة مشتركة برياسة الماريشال تيتو ، خلال فترة الانتقال ، لاجراء انتخابات برلمانية لقيام المجلس الدستورى •

وأعقب تشكيل حكومة « تيتو ــ شوباشيتش » ، اعتراف كل البلاد الحليفة بيوغوسلافيا الجديدة ، كحقيقة لا يمكن تجاهلها ، واشترك وفد يوغوسلافى فى مجلس المؤسسين لهيئة الامم فى سان فرانسيسكو منذ أبريل الى يونيو ١٩٤٥ •

مشاكل ما بعد الحرب

جاء تعيين الماريشال تيتو رئيسا للحكومة ــ فى ٨ مارس ١٩٤٥ ــ فى الوقت الذى شغل ٨٠٠ر٠٠٠ محارب يوغوسلافى فى الاجهاز على الجيش الالمانى فى يوغوسلافيا • وانتهت العمليات الحربية فى يوغوسلافيا فى ١٥ مايو ١٩٤٥ ــ وكانت قد انتهت فى أوربا فى ٩ مايو ١٩٤٥ ــ وفى خلال هذه العمليات الاخيرة أبيد كل جيش « فون لير » ، بعد مقاومة يائسة عقب توقيع قوات هتلر للتسليم غير المشروط • وبذلك ساهمت يوغوسلافيا مساهمة أخرى جدية فى كفاح الامم المحبة للحرية ضد المانيا الهتلرية ، ومحور حلفائها •

وما أن انتهت الحرب حتى واجهت يوغوسلافيا ، حكومة وشعبا مشاكل جديدة • اذ كان من الضرورى الانتقال من حياة الحرب ، الى حياة السلم ، واعادة بناء البلاد ، بعد الدمار الشامل الذى خلفته حرب أربعة أعوام • فقد دمر الجانب الاكبر من صناعة البلاد ــ على

صغرها وتخلفها في ذلك الوقت ـ وعطلت المناجم من العمل ـ وخربت المواصلات البرية ، والبحرية ، والنهرية ، تخريبا تاما • وخوت المدن والقرى ، وعمها الخراب ، وأصبح الموقف معقدا • ومن جهة أخرى كان لابد من اعطاء الصفة الشرعية للدولة التي تكونت أثناء الحرب ، واجراء انتخابات على أسس ديمقراطية سليمة ، واصدار التشريعات الاساسية للدولة ، وحل المشاكل العديدة التي نجمت عن الحرب ـ مثل مشكلة مشوهي الحرب ، وأيتامها ، واعادة بناء المستشفيات ، واعانة المحتاجين •• الخ ، واصدار تشريعات تضمن حقوق المواطنين ، واستكمال ثورة الشعب •

وواجهت حكومة الماريشال تيتو مصاعب جديدة ، بالرغم من ارساء القواعد ـ خلال الحرب ـ التي سيقوم عليها بناء يوغوسلافيا الجديدة • وقد دفع اليوغوسلافيون ثمنا غاليا لحريتهم •• أكثر من ٠٠٠ر٧٠٠ر١ شخص فقدوا في الحرب ، وأكثر من ٠٠٠ر٣٠٠ أعجزتهم الحرب عن العمل ، وكسب قوتهم • وبلغت قيمة الخسائر المادية للدخل القومي بين تخريب ونهب ٠٠٠ر٠٠٠ر١٤٥ر٩ دولار أمريكي بسعر الدولار عام ١٩٣٩ ، ويمثل هذا الرقم ١٧ ٠/٠ من مجموع خسائر الحرب بالنسبة للبلاد الثمانية عشرة التي اشتركت في مؤتمر باريس لتعويض الخسائر • وقدر الخبراء انه لابد من وقت طويل ، وأموال طائلة ، لاعادة بناء البلاد •

وفي يوم النصر ١٥ مايو ـ وجه الماريشال تيتو خطابا الى الشعب قال فيه ان النصر يتطلب جهودا كبيرة لاعادة بناء البلاد ، وتقوية وحدتها ، وروح الاخوة فيها ، حتى لا تستطيع أي قوة أن تدمرها مرة ثانية •

وهكذا جند كل رجال الثورة ، من عمال ، وقرويين ، ومثقفين ،

وشباب ، فى صفوف العمل لاعادة بناء الوطن • وتحولت البلاد كلها فى ليلة واحدة الى ميدان عمل ، ولم يعرف المواطنون طعم الراحة ، أو النوم ، تدفعهم روح الثورة لبناء وطن قوى ، وتحويل البلاد الى مراكز صناعية هامة •

وما أن انقضى عامان ـ ١٩٤٥ ـ ١٩٤٧ ـ وهما مدة اعادة البناء ، حتى انتهت المرحلة الاولى من التعمير ، فأصلحت آلاف الكيلو مترات من الطرق ، وبنيت مئات الكيلومترات من السكك الحديدية الجديدة ، وأعيد بناء مئات من الطرق والكبارى الصغيرة والكبيرة ، وأعدت عشرات المصانع والمناجم للعمل ، بعد أن كانت مخربة ، وبنيت مئات المدارس وفتحت أبوابها للطلبة ، وأصلحت المستشفيات القديمة ، وبنيت أخرى جديدة ، وأعيد تعمير واسكان القرى والمدن •

ووسط معركة البناء العظيمة هذه ، حاول ممثلو الحكومة القائمة فى المنفى برياسة « شوباشيتش » اعاقة تعمير البلاد عام ١٩٤٥ ، بتقديم استقالتهم •

وجرت الانتخابات العامة للمجلس الدستورى ليوغوسلافيا الاتحادية الديمقراطية • وأعلن قيام جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية الشعبية فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٥ ، وانتخب الماريشال تيتو رئيسا للحكومة الاتحادية •

وبعد نقاش شعبى عام ، صدر دستور جمهورية يوغوسلافيا الشعبية الاتحادية ووزعت الاراضى على الفلاحين الفقراء ، وملكت لهم ملكية دائمة ، وأحضر أصحاب المصانع الذين تعاونوا مع الاعداء أمام محاكم الشعب ، وصودرت مصانعهم ، ووضعت الحراسة على بنوكهم واحتكاراتهم ، وأعلن عن انها أصبحت ملكية عامة ، وفى يوم ٥ ديسمبر

١٩٤٦،أصدر المجلسان النيابيان قانونا لتأميم المؤسسات الاقتصادية كما صدرت تشريعات هامة أخرى، تناسب المجتمع الجديد الذى قام فى أعقاب الحرب ٠

وقال تيتو فى وصف هذه المرحلة :

« لقد حققنا هذه النتائج ، بفضل وعى شعوبنا ، وتجردهم من الانانية ، وبفضل شبابنا المجيد الذى ينبغى أن نفخر بهم ، فهو نموذج للتضحية ، وانكار الذات ، والعمل على اعادة البناء ، والنهوض بالبلاد ٠٠ وهذا المستوى العالى من الوعى القومى ، والتجرد من الذات ، عند مواطنينا هو رأس المال القومى الذى مكننا من اعادة البناء » ٠

نهضة يوغوسلافيا الجديدة

أعقب الثورة تأميم وسائل الانتاج ، وتقوية حكومة الشعب ٠ وتملك يوغوسلافيا موارد طبيعية كبيرة ، وهى ثانى دولة فى أوربا من حيث القوى المائية،ومحصولها السنوى منها يبلغ ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٦٦ كيلووات ، وبها مناجم غنية بالحديد ، والمعادن : كالبوكسيت ، والنحاس ، والقصدير الخام ، والمواد غير المعدنية ، والزيت٠٠ الخ٠ وبالرغم من ذلك فقد كانت يوغوسلافيا قبل الحرب فى مقدمة الدول المتخلفة فى أوربا ، اذ كان جل ثرواتها المعدنية غير مستغل ، أو كان حكرا على الاستغلال الاجنبى ٠ وكانت رؤوس الاموال الاجنبية تلعب دورا حاسما فى اقتصاديات يوغوسلافيا قبل الحرب ٠ وتدل الاحصائيات على أن أكثر من خمسين فى المائة من رؤوس الاموال كان مملوكا للاجانب ٠ وكانت المدفوعات لرأس المال الاجنبى ، والفوائد وغيرها تبلغ ٣٥ ٠/٠ من كل الصادرات اليوغوسلافية ٠

ولا حاجة الى المقارنة هنا بين أرقام الانتاج الصناعى قبل الحرب، وبينها الآن ، فالفرق واضح ، ومركز يوغوسلافيا الصناعى معروف للعالم ، وبواخرها تشق البحار الكبيرة حاملة انتاجها ، وخبراءها ، الى زوايا العالم • فقد حملت الطبقات العاملة فى يوغوسلافيا لواء العمل ، وقامت بتنفيذ مشروعات التصنيع ، وتوليد المياه ، بالرغم من الحصار الاقتصادى ، والضغط السياسى ، والحربى ، من الشرق والغرب ، والتوتر فى العلاقات الدولية ، ونفقات الدفاع الباهظة•

نحو ديموقراطية اشتراكية

لم تكن هناك « روشتة » للديموقراطية الاشتراكية ، فقد كان لا بد للاقتصاد الاشتراكى من مسايرة التقدم الديموقراطى• وفى ٢٥ يونيو ١٩٥٠ قدم الماريشال تيتو مشروع قانون ليناقشه المجلس النيابى عن ادارة مؤسسات الدولة الاقتصادية بواسطة العمال • وقال الماريشال تيتو فى تحليل الحقائق التاريخية لهذا القانون :

« ••• سيكون اصدار هذا القانون هو أهم عمل يقوم به المجلس النيابى بعد اصدار قانون تأميم وسائل الانتاج • فان استيلاء الدولة على وسائل الانتاج لم يحقق مبدأ « المصانع للعمال » •• فان عبارات « المصانع للعمال ، والارض للفلاحين » ليست مجرد دعاية سطحية ، ولكنها عبارات ذات مغزى عميق ، فهى تشمل كل برنامج العلاقات الاشتراكية فى الانتاج ، بالنسبة للملكية الاشتراكية ، وبالنسبة لحقوق وواجبات الطبقة العاملة ، وعلى ذلك ينبغى ان تصبح موضع التطبيق ، اذا أردنا حقا بناء الاشتراكية » •

« وهذا القانون يعطى العمال ادارة المصانع والمؤسسات ، وهذه هى النتيجة المنطقية لتقدم البناء الاشتراكى فى بلادنا • والتى تعمل حكومتنا الشعبية على تطبيقها فى طريقها الصلب الى الاشتراكية •

« فالقرويون فى التعاونيات ، والعمال فى المصانع ، الذين سيديرون شؤونهم بأنفسهم منذ الآن ، يقررون مصيرهم بأنفسهم» يقررون مصيرهم بأنفسهم » .

ونفذ هذا القانون فى الوقت الذى كانت تجرى فيه نزع المركزية عاموديا ، وافقيا ، من المصالح الحكومية ، والمنظمات السياسية ، والاجتماعية ، التى حلت مسألة الملكية الاشتراكية ، كشرط أساسى لتحقيق الديموقراطية الاشتراكية ، فأصبحت وسائل الانتاج ، التى كانت الى ذلك الوقت ملكا للدولة ، ملكية اشتراكية ، وأعطيت الادارة للمنتجين فى مؤسسات الانتاج ، والنقل ، والتجارة . وتغير الدور المطلق لجهاز الدولة المركزى، ولكنها ظلت تؤدى واجبها فى التخطيط.

ونتج عن اصدار قانون ادارة المنظمات الاقتصادية ، قيام نظام الحكومة الذاتية فى كل حقل ، سياسى ، أو اجتماعى ، فى حياة الدولة .

وفى سنة ١٩٥٢ صدر قانون اللجان الشعبية ، ويقوم على مبادىء الحكومة الذاتية المحلية الديموقراطية ، كأساس لنظام الدولة الشامل للحكم الذاتى العمالى . وخول القانون الدستورى المجلس النيابى السلطة التنفيذية ، بالاضافة الى السلطة التشريعية، عن طريق المجلس الاتحادى التنفيذى ، برياسة رئيس الجمهورية، الذى هو أيضا رئيس الدولة . وفى ١٤ يناير ١٩٥٣ ، انتخب المجلس الوطنى الاتحادى « جوزيب بروز تيتو » أول رئيس للجمهورية .

ويشمل نظام الحكومة الذاتية الاشتراكية فى يوغوسلافيا اليوم كل فروع الحياة .. من انتاج ، وتجارة ، ونقل ، وتعليم ، وثقافة ، وتأمين اجتماعى ، ومجالس الاسكان فى الجماعات .

الكفاح من أجل السلام والتعايش السلمي

تعرضت الدولةالجديدة بعد الحرب ـ وبخاصة فى أعوامها الاولى ـ لضغط شديد من الغرب ، ثم تعرضت منذ عام ١٩٤٨ لصعاب شديدة بسبب اضطراب العلاقات مع الاتحاد السوفييتي، وبلاد شرق أوربا. وكان لهذا النزاع دورا هاما فى تقوية وضع يوغوسلافيا الدولى . ودلل تيتو فى هذا الموقف ، مرة أخرى ، على انه زعيم شعبى عظيم، ورجل دولة من الطراز الاول ، فاستطاع أن يقلب الصعاب الى نجاح جديد ، معتمدا على الروح القوية ، والوحدة السياسية للشعب ... وأبرز هذا الموقف أهم مشاكل العصر : ما هى العلاقات بين الامم ، وكيف ينبغى أن تكون بين الدول التى تبنى مجتمعا اشتراكيا فى بلادها المستقلة وفقا للظروف التاريخية الخاصة بكل منها .

ومن الظواهر الهامة فى هذه المرحلة ، أن سياسة يوغوسلافيا كانت أنشط منها فى أى وقت مضى لتوطيد السلم ، واقامة العلاقات الدولية على أسس المساواة بين كل الدول ، والأمم ، واقرار حق كل أمة فى الاستقلال ، وتدعيم استقلالها . وكانت سياسة يوغوسلافيا الخارجية دائبة النشاط فى الدفاع عن التعاون الاقتصادى بين الدول على أوسع نطاق ، ومد المعونة للبلاد المتخلفة ، والقضاء على نتائج « الحرب الباردة » ، وتهدئة الخلافات بين الكتل ، ونبذ السياسات الحربية والمذهبية للكتل ، وعدم الانضمام لأى منها . ووطدت علاقاتها مع اليونان ، وتركيا ، والهند ، وبورما ، ومصر ، واعادت العلاقات الى حالتها الطبيعية مع الاتحاد السوفييتى ، والبلاد الاشتراكية الاخرى ، بل وتقدمت هذه العلاقات . وكان طابع يوغوسلافيا الدائم هو الدفاع المتواصل عن السياسة التى اعتنقتها. وهى سياسة التعايش السلمى الايجابى ، وتقدم التعاون الدولى ، وكان ذلك أيضا هو طابع سياستها فى هيئة الامم .. واكسب ذلك يوغوسلافيا ، وجوزيب بروز تيتو ، شخصية دولية غير عادية .

وقام الرئيس تيتو فى سبيل تدعيم مبادىء السياسة الخارجية ليوغوسلافيا، ونشر مبادئها بزيارات عديدة، حتى لقب بسفير السلام المتجول .. فزار الاتحاد السوفييتى ١٩٤٤ و و١٩٤٥ ، وبولونيا ١٩٤٦ ، وتشيكوسلوفاكيا ١٩٤٦ ، والمجر ١٩٤٧ ، وبلغاريا ١٩٤٧، ورومانيا ١٩٤٧ ، وبريطانيا ١٩٥٣ ، وتركيا ١٩٥٤ ، واليونان ١٩٥٤ ، والهند نهاية ١٩٥٤ وبداية ١٩٥٥ ، وبورما ١٩٥٥ ١٩٥٥، واثيوبيا ١٩٥٥ ، ومصر ١٩٥٦، وفرنسا ١٩٥٦، والاتحاد السوفييتى ورومانيا ١٩٥٦ .

وكان فى كل رحلاته هذه رسولا للسلام ، وصديقا لشعوب هذه البلاد ، التى تربطها بشعوب يوغوسلافيا رباط الكفاح فى سبيل السلام .

وتلقى الرئيس تيتو دعوات رسمية من رؤساء الدول التالية :

بولونيا ١٩٤٦، وتشيكوسلوفيا ١٩٤٧، والمجر ١٩٤٧ ، ورومانيا ١٩٤٧ ، وبلغاريا ١٩٤٧ ، والبانيا ١٩٤٧ ، وتركيا ١٩٥٤، واثيوبيا ١٩٥٤ ، وبورما ١٩٥٥ ، والاتحاد السوفييتى ١٩٥٥ ، ومصر ١٩٥٦، والهند ١٩٥٦ ، وكامبوديا ١٩٥٦ ، واندونيسيا ١٩٥٦ ، ورومانيا ١٩٥٦ ، وفيتنام ١٩٥٧ ، وبولونيا ١٩٥٧ ، ومنغوليا ١٩٥٧ ، واليمن ١٩٥٧ .

وبجانب المهام التى يتضلع بها الرئيس تيتو، كرئيس للجمهورية، والقائد الاعلا للقوات المسلحة فى يوغوسلافيا ، فانه يقوم أيضا بأخطر المهام السياسية والاجتماعية .. فهو السكرتير العام لعصبة الشيوعيين فى يوغوسلافيا ، منذ عام ١٩٣٧ ، ورئيس الاتحاد الاشتراكى للعمال فى يوغوسلافيا ـ وكان من قبل الجبهة الشعبية

المتحدة للتحرير ، ثم الجبهة الشعبية ليوغوسلافيا ـ والرئيس الشرفى لاتحاد قدماء المحاربين ، والعضو الشرفى لاكاديمية العلوم الصربية فى بيوغراد ، واكاديمية العلوم والفنون السلوفينية فى لوبليانا • ونال أرفع الأوسمة اليوغوسلافية والاجنبية ، وقلد الدكتوراه الفخرية من جامعة رانجون أثناء وجوده فى بورما •

ويتمتع الرئيس تيتو بتقدير لا حد له من شعوب يوغوسلافيا ، ويعد من ألمع الشخصيات فى تاريخ يوغوسلافيا، الطويل، المضطرب، ومن أهم الشخصيات فى عالم الحركات العمالية •



مصادر هذا البحث :

١ ـ كفاح شعوب يوغوسلافيا المستعبدة : بقلم تيتو •
٢ ـ الكفاح للنهوض بيوغوسلافيا الجديدة : بقلم تيتو •
٣ ـ فى سبيل السلام والديموقراطية الاشتراكية : بقلم تيتو •
٤ ـ صحيفة كومونيست الاعداد ١ و٢ و٣ (١٩٤٦ ـ ١٩٤٧) •
٥ ـ أعمال المؤتمر الخامس للحزب الشيوعى اليوغوسلافى •
٦ ـ عمال المؤتمر السادس لعصبة الشيوعيين اليوغوسلافيين •
٧ ـ بروز جوزيب تيتو : بقلم موسى بيادى •
٨ ـ يوغوسلافيا الجديدة بعد عشرة أعوام •

نظرات على عالم اليوم

بقلم الرئيس تيتو

العالم يدور فى حلقة مفرغة

عناصر الموقف الدولى

أرانى مضطرا أن أقول ـ ونحن فى عام ١٩٥٨ ـ أن العالم لا يزال يدوُر فى حلقة مفرغة من الاضطراب ، وعدم الاستقرار ، دون أن يهدف الى حل المشاكل الدولية التى طال الجدال حولها ، وبغير أن يعمل على ارساء قواعد السلام الدائم الذى يتطلع اليه الجنس البشرى فى عزيمة واصرار • ويؤسفنى أن أقول أن السنوات الخمس الماضية لم تشهد أى تقدم فى هذا الصدد •

لقد مضت ثلاثة عشر عاما منذ أن وضعت الحرب الأخيرة أوزارها، تلك المجزرة التى لطخت تاريخ البشرية بما سببته من ضحايا فى الأرواح والممتلكات ، وعلى الرغم من ذلك فلا توجد أية دلائل على أن المسئولين قد تلقوا أقل درس ، أو أيسر عظة ، عن تلك المأساة الفظيعة • اذ أنه قبل أن يتم اغلاق ملايين القبور ، وقبل أن تجف الدماء المسفوحة فى هذه الحرب ، رأينا قبورا أخرى تحفر ، ودماء أخرى تسفك • ولم تكد نار الحرب تخمد فى فتنام وكوريا ، حتى اندلعت من جديد فى مصر ، ولم يكد اوارها يخبو فى بور سعيد حتى ألفيناها لا تزال ناشبة فى اندونيسيا ، والجزائر •

وكل هذا يدل على أن فريقا من الناس ما زالوا مصرين على انتهاج

سياسة العنف والتدمير ضد شعوب لا تطالب بأكثر من حقها الطبيعى فى أن تحكم نفسها بنفسها • ولا تزال بعض العقول تسيطر عليهـا الفكرة القائلة بأن القضايا الجدلية لا تحـل الا بالقوة ، والقهر ، والتفوق فى التسلح ، وانهم لن يستطيعوا تحقيق أغراضهم الا عن هذا الطريق • ولقد أدت وجهات نظرهم هذه الى سباق التسلح الذى لم يسبق له نظير ، والى ابتكار أسلحة الدمار الشامل ، وبخاصـة الاسلحة الذرية والهيدروجينية • وهنالك اتجاه الى استخدام أعظم ما حققه النبوغ الانسانى من اختراع وابتكار فى اغراق الجنس البشرى فى خضم أفظع نكبة يمكن تصورها بدلا من استخدامه فى توفير الرخاء والسعادة له •

اذن فما هى خلاصة ما تم من تطور فى العلاقات الدولية فى أعقاب الحرب الكبرى الثانية ؟

أول ما حدث ، هو وقوع صدام بين المعسكر المضاد للنازية ، وهو معسكر الدول الغربية المؤتلفة وبين الاتحاد السوفيتى • ثم كانت محاولات لتخفيف حدة التباين ، والتنافر ، بين المصالح المختلفة لكل من هذه الدول ، وكان ذلك فى مؤتمرات طهران ، وبالتا ، وبرلين • وأمكن حل بعض المشاكل التى تمس بعض الدول التى لم تكن تملك لنفسها نفعا ولا ضرا • بينما أخفقت هذه المؤتمرات فى حل المشاكل الخاصة بالدول المستقلة ، والتى تملك لنفسها حق تقرير المصير • ثم اتسعت هوة الخلاف والشقاق عند ما قامت قوى الرجعية المنبثة فى الدول التى تتزعم العالم الغربى بنضال زعمت انه مقاومة للشيوعية •

ومضت هذه الرجعية تصور الشيوعية بصورة شبح لا يكفى أن تفزع منه الشعوب التى تنتمى اليها الرجعية فحسب ، بل ويجب أن تخشاه كافة شعوب الأرض • كما أنهم نسبوا الشيوعية الى كل حركة تقدمية ، ووصموا بها كل شعب يناضل فى سبيل الاستقلال والحرية • وأصبحت فكرة « الحرب الصليبية » ضد الشيوعية أساسا

ايديولوجيا لكل الاعمال التى ترمى الى تحقيق الأهداف الاستعمارية، وبخاصة الأساليب الجديدة للقهر ، والارغام الاستعمارية .

وهذا النضال لا يكتفى بأن يعرقل سبيل حل الخلافات الدولية ، وان يقف حائلا دون التعاون الدولى ، والتعايش السلمى ، بل انه يزيد من حدة التوتر الدائم الذى قد يؤدى فى أية لحظة الى اندلاع حرب على نطاق عالمى .

هذه هى العناصر الأساسية التى زجت بالموقف الدولى الحاضر فى متاهة لا مخرج له منها الا على أيدى المسئولين فى الدول التى توجه سياسة العالم الحاضرة ، والمستقبلة . وذلك بأن ينظروا الى الأمور بعين التعقل ، والروية . وأن يغيروا أفكارهم القديمة البالية المتعلقة بأساليب العلاقات الدولية . ويدركوا أن ثمة أشياء كثيرة فى العالم قد تغيرت ، وانه يتعين عليهم أن يأخذوا هذه العلاقات أخذا واقعيا ، ينطوى على الجرأة والاقدام ، ويتآلف مع ما تتطلع اليه البشرية من مثل عليا ، ويتجاوب مع المصالح الحقيقية لشعوبهم ، ويتمشى مع ما بلغه العالم اليوم من مستويات اقتصادية ، وعلمية ، وثقافية.

سياسة فاشلة

وتسعى الدول الغربية لتبرير مناهج سياستها الراهنة بالتمسح فى بعض مظاهر السياسة التى كان الاتحاد السوفييتى ينتهجها ابان عهد ستالين .

ومن الحقائق التاريخية الثابتة ان ستالين كان من الشخصيات الرئيسية فى المؤتمرات التى اتخذت فيها قرارات ضد مصالح بعض الدول المستقلة دون موافقتها وبغير علم منها . وكانت القاعدة الاساسية فى هذه القرارات ، هى مراعاة مصالح الدول الكبيرة ،

واغفال حق كل شعب فى تقرير مصيره بنفسه • كما انه حدث فى أعقاب الحرب أن بعض الدول لم تقف عند حد فى سبيل توطيد دعائم سيطرتها على الشعوب الأخرى، بل وفى العالم أجمع • ولسوء الحظ، كان من أمثلة هذا التصرف ماحاوله ستالين من ضغط على يوغوسلافيا • ولم تكن هنالك مبادىء ايديولوجية ينطوى عليها هذا التصرف ، اللهم الا بعض المحاولات لتبرير السياسة السوفيتية المتبعة نحو يوغوسلافيا •

ولقد كان مقضيا على مثل هذه السياسة بالفشل ، لانها أسقطت من اعتبارها أنه لا جدوى من الارهاب ، واستخدام القوة • بل وكانت نتيجتها عكسية ، اذ استطاع الجانب الآخر استغلال رد الفعل المضاد لها فى صالحه ، وكانت الفرصة لا تزال مهيأة أمامه فى ذلك الحين للسيطرة على بعض الأمم بل وعلى العالم أجمع • يضاف الى ذلك أن سياسة ستالين أدت الى عزلة الاتحاد السوفيتى عند ما فقدت الشعوب الصغيرة ثقتها فى تلك الدولة الاشتراكية الكبرى التى كانت تتوقع منها أكبر التأييد لاستقلالها وأعظم العون لاقرار حقها فى المساواة •

ونظرا لما كانت تنطوى عليه سياسة ستالين الخارجية مما لا داعى له من صلابة وعناد وتهديد ، رأت الدول الغربية أن القوة تجدى فى تحقيق أهدافها التى عجزت الوسائل الدبلوماسية عن انجازها • وكان ذلك هو السبب الأساسى لتكوين حلف الاطلنطى وتشكيل كتلة عسكرية تستخدم فى السيطرة على العالم وتحقيق الأغراض عن طريق العنف • ولا تزال هذه المبادىء الى الآن هى الهدف الذى ترمى اليه الدول المشتركة فى حلف الاطلنطى والتى لا تدخر وسعا فى سباق التسلح والتفوق العسكرى •

وكان الرد على انشاء حلف الاطلنطى واشراك المانيا الغربية فيه هو تكوين حلف وارسو الدفاعى الذى يشمل الدول الشرقية •

ولقد أدى هذا الموقف الى وجود عقبة كأداء تحول دون تبادل الثقة وتقارب وجهات النظر بين دول المعسكرين وتعمل على توسيع هوة الخلاف ، واطالة أمد الحرب الباردة الناشبة بينهما •

فكان من جراء تقسيم العالم الى كتلتين متصارعتين أن انهار الاقتصاد العالمى وعاد ذلك على الشعوب بأفدح الاضرار بدلا من تدعيم أسس اقتصادياتها وارساء قواعد التعاون بينها • مثال ذلك أن الحظر الذى فرضته الدول الغربية على تصدير بعض المنتجات الى الدول الاشتراكية يسبب ضررا اقتصاديا لكل من الفريقين - **المصدر والمستورد** - ثم انه يوسع شقة الخلاف بين الشرق والغرب فى الناحية السياسية ، وبذلك يكون هذا الحظر عائقا ماديا يقطع أوصال العلاقات بين الكتلتين : الشرقية والغربية ، ولا تزال هذه السياسة سببا فى اصابة التجارة بين دول حلف الاطلنطى والدول الاشتراكية بالشلل الكلى وتعويقها تعويقا كاملا •

ومن الطبيعى أن يتكشف خطل هذه السياسة ويتضح فشل خطط الضغط الاقتصادى • وبدأت الحواجز المبثوثة فى طريق الاقتصاد العالمى تنهار شيئا فشيئا ، نتيجة لرغبة كل دول العالم فى استكمال التعاون الاقتصادى بينها ، ذلك لان طاقة الانتاج قد بلغت فى بعض الدول حدا عظيما من التقدم والكمال حفزها على التطلع فى عزم واصرار الى توطيد أسس الاقتصاد العالمى ، وصارت تنظر الى تعويق التكامل الاقتصادى ، نظرتها الى عامل يعرقل الطاقة الانتاجية ، ويثير عواصف الخصومة فى أجواء العلاقات الدولية ، ويسبب حدة التوتر فيها ويزيد من شدة الاندفاع فى تيار الحرب الباردة بحالة تنذر باندلاع لهيب صراع عالمى مسلح •

وبينما عمدت الولايات المتحدة الى استخدام الحظر التجارى ، والضغط الاقتصادي لبث الضعف والتخاذل فى الدول الشرقية اذ بها تغدق المساعدات الاقتصادية على دول حلف الاطلنطى وغيرها من الأمم بقصد تجنيبها الازمات الاقتصادية وما ينبنى عليها من مشاكل سياسية • ولا شك فى أن هذه الخطة قد نجحت فى تحقيق الغرض المطلوب منها • ذلك لأن دول أوربا الراسمالية استطاعت مؤقتا أن تمنع أشباح الأزمات الاقتصادية والاجتماعية التى حاقت بها فى الفترة التى تخللت الحربين السابقتين من معاودة الأخذ بخناقها •

وفى أعقاب الحرب الثانية ، احتضنت الولايات المتحدة مفهوما أيديولوجيا مضادا للشيوعية ، يقصد منه الحصول على مصالح استراتيجية ، فأدى هذا الى تصادم الجبهتين الايديولوجيتين • وقد تعمدنا ذكر كلمة « **جبهة** » بدلا من « **كتلة** » لان الدعاية الامريكية كانت موجهة ضد البلاد التى تعتنق المبادىء الاشتراكية خاصة ، وضد الايديولوجية الشيوعية وضد كل حركة تقدمية فى أية بقعة من بقاع هذا العالم •

وفى **خلال** السنوات القليلة الماضية كانت الدول الضالعة فى حلف بغداد منصرفة الى تقوية أعضاء هذا الحلف فى الناحيتين الاستراتيجية والعسكرية ، فأنشئت القواعد العسكرية بأقصى سرعة فى بلاد أوربا ، وافريقا ، وآسياء كما أعدت مراكز اطلاق الصواريخ وانطلقت الطائرات تحلق فى أجواء بعض البلاد ـ مثل انجلترا ـ وهى محملة بالقنابل الذرية والهيدروجينية ، وكان الغرض من كل ذلك هو تطويق الاتحاد السوفيتى والبلاد الشرقية تطويقا عسكريا استراتيجيا •

تسليح المانيا الغربية ينذر بحرب جديدة

أما أشأم اجراء اتخذ فى هذا الصدد ، فهو تسليح المانيا الغربية ،

وتزويد احدى قواعدها بالأسلحة الذرية • اذ انه أدى الى زيادة الموقف في أوربا سوءا حتى أصبح ينذر بنشوب حرب جديدة ، كما أنشىء حلف جنوب شرق آسيا ، وحلف بغداد • وتجرى الآن محاولات لتكوين حلف للبحر الأبيض المتوسط له أهداف عديدة ، منها الحيلولة دون اتحاد الدول العربية والقضاء على تطورها السياسى وعرقلة تقدمها الاقتصادى • والاحتفاظ بالاقطار المستعمرة، وارغامها على البقاء تحت نير الاستعمار ، والرجوع ببعض الدول التى نالت استقلالها مؤخرا الى مستوى المستعمرات •

ومن الواضح أن الدول الغربية الكبرى نهجت هذا النهج بسبب التغييرات التى طرأت على النظم الاجتماعية فى كثير من الدول الشرقية، مثل بولندا ، وتشيكوسلوفاكيا ، ورومانيا ، وبلغاريا ، والمجر ، والبانيا ، ويوغوسلافيا • فى أثناء الحرب ، أو فى أعقابها •

ولا يمكن اغفال ذكر الأثر الكبير الذى أحدثه النصر الذى أحرزته الثورة الصينية فى احتضان امريكا والدول الغربية الكبرى لسياسة الكتل العسكرية • كما أنه من الضرورى تكرار الحديث عن التغيرات التى طرأت على مسلك الدول الغربية بسبب سياسة ستالين الصلبة، التى أدت الى عزلة الاتحاد السوفيتى وحرج مركزه بين دول العالم ، وبالتالى تقوية مركز الدول الغربية التى تزعمتها أمريكا ، واحتضنت انشاء حلف بغداد ، وكونت القواعد الاستراتيجية ، وحصلت على تأييد شطر من الرأى العام العالمى •

هكذا كان حال شؤون العلاقات الدولية حتى مستهل سنة ١٩٥٣ •

وبعد وفاة ستالين شرع الاتحاد السوفيتى فى تغيير أساليبه •

واستهل هذا التعديل فى سياسته الخارجية بأن لجأ الى المفاوضات ـ ولو حتى على مستوى عال ـ للوصول الى أى اتفاق ، أو أى حل لبعض المشاكل الدولية حتى ولو كان حلا جزئيا • وبدأ تخفيف التوتر بعدة تصرفات لها دلالتها ومغزاها ، قام بها الاتحاد السوفيتي مثل العودة بالعلاقات مع يوغوسلافيا الى مجراها الطبيعى ، واحتضان تصريح بلغراد ، وحل مسألة النمسا وسحب القوات السوفيتية من الأراضى الصينية ، والنمسوية ، والفنلندية ، والتنازل عن المطالب الاقليمية من تركيا وتصفية الشركات المختلطة فى الصين والبلاد الشرقية التى تأخذ بالنظم الاشتراكية الشعبية، والاعتراف باستقلال الدول الصغيرة فى آسيا وافريقيا •

أدت هذه الايجابية الحديثة التى اتسمت بها السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتى الى تخفيف حدة التوتر الدولى ، وقللت بالتدريج من عزلة الاتحاد السوفيتي عن المجال العالمى •

ولكن الدول الغربية زعمت ـ ويا له من زعم خاطىء ـ أن هذا التعديل الذى طرأ على السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتى ما هو الا نتيجة الضعف الداخلى الذى ظهر عقب وفاة ستالين ، وكذلك بسبب بعض المتاعب الاقتصادية •. وكان من آثار هذا التقدير غير الحقيقى أن ظلت الدول الغربية تؤكد أن هذا التطور فى السياسة السوفيتية ، لا يعدو أن يكون مجرد خطة مرسومة لكسب الوقت • وبناء على ذلك فان الغرب لا يزال ينتهج الى الآن سياسة القوة ، ويرفض كل اقتراح لحل المشاكل الدولية بالوسائل السلمية ، ثم يمعن فى الخصومة بالمضى فى التسلح بقصد التفوق فى هذه الناحية •

ولكن أمريكا والدول الغربية خشيت مغبة تحديها للرأى العام العالمى وما ينبنى على ذلك من انفضاض الدول من حولها واعتزالها ،

فأرادت أن تحسن موقفها ، وتتظاهر بالتقليل من غلوائها ، والعدول عن صلابتها حيال رغبة الاتحاد السوفيتى فى تخفيف حدة التوتر الدولى • وكانت النتيجة هى الدعوة الى مؤتمر جنيف الذى عقد على أعلى مستوى •

ولكن هل أدى هذا المؤتمر الى أية نتائج واضحة ؟

كلا بالطبع ! بل ولم يكن منتظرا منه أن يحرز أى نجاح ، ولكن مجرد انعقاد مثل هذا المؤتمر كان عملا ايجابيا ، وبخاصة اذا نظرنا الى السنوات المتراوحة العديدة التى كانت فيها الحرب الباردة على أشدها ، ويكفى أن التئام شمل هؤلاء المؤتمرين قد أوجد جوا صالحا يبشر بامكان اعادة النظر بصبر وأناة فى مطلب التسوية السلمية للمشاكل الدولية •

ولقد تجدد الحديث عن عقد اجتماع على مستوى عال بين ممثلى الدول الكبرى يشمل مندوبى بعض الدول التى لا تنتمى الى حلف الاطلنطى ، ولا الى حلف وارسو ، وذلك طبقا لاقتراح تقدم به الاتحاد السوفيتى ، ولكن مما يؤسف له أن دول الغرب تعارض هذا الاقتراح ، وتتقدم باقتراحات معارضة له • ونحن لا نتفاءل كثيرا بنتائج مثل هذا المؤتمر • ولكننا نعتقد أنه يمكن الوصول الى اتفاق سلمى حيال بعض الأمور التى يضيق بها العالم ، ويسبب لأفراد الشعوب القلق والاضطراب ، مثل ايقاف التجارب الذرية ، والهيدروجينية ، التى يقصد استغلال نتائجهما فى الأغراض الحربية • ولو أن اتفاقا كهذا تحقق فانه ينطوى على دلالات هائلة ، اذ أنه لا يساعد على تخفيف حدة التوتر الدولى فحسب ، بل ويبشر بامكان التفاهم على نزع السلاح ، وحل المشاكل الدولية •

وتشير كل الدلائل الى أن أمريكا هى التى تتزعم دول الغرب الكبرى **ولكننا لا نرى بأسا بالحديث عن دور كل من بريطانيا وفرنسا فى هذا الصدد** • فليس مركز أية من هاتين الدولتين مما تحسد عليه • وبخاصة من الناحية الاقتصادية التى ساءت بسبب ما حل بهما من خراب ، ودمار ، أثناء الحرب ، ونتيجة للاعباء التى تحملها كل منهما فى سبيل تنفيذ سياسته الاستعمارية • ففى أعقاب الحرب أصيب بناء الاستعمار الامبراطورى بهزة عنيفة ، جعلته ينهار ، ويتحول الى انقاض متناثرة • وثمة مجموعة من الدول مثل الهند ، وبورما ، ومصر ، وسوريا ، والسودان ، والملايو ، وغانا ، ومراكش ، وتونس ، وفيتنام ، واندونيسيا ، وغيرها حققت استقلالها التام ، او حصلت على استقلال جزئى •

ولقد استطاعت هاتان الدولتان بفضل مساعدات الولايات المتحدة ، الدولتان ــ بريطانيا وفرنسا ــ الى الولايات المتحدة تناشدانها العون والمدد • وفى هذا السبيل انضمتا الى حلف الاطلنطى وسواه من المنظمات التى تهدف أولا وقبل كل شىء الى مناوأة الاتحاد السوفيتى ، والدول الاشتراكية الاخرى •

ولقد استطاعت هاتان الدولتان بفضل مساعدات الولايات المتحدة ، التغلب على المتاعب الاقتصادية التى حلت بهما بعد الحرب ، ولكنهما دفعتا الثمن غاليا ، وهو الحد من حريتهما فى التصرفات السياسية ، عند ما كانت لا تتلاءم مع السياسة الامريكية ، ولا تماشى أهواءها ومصالحها • ولكن انجلترا كانت واقعية فى نظرتها حيال نشوب حرب جديدة ، فهى مقتنعة الآن بأن موقعها الجغرافى ، ومركزها كامبراطورية استعمارية ومشاكلها الاقتصادية ستجعلها الخاسرة فى أية حرب تخوضها سواء أكانت منتصرة أو منهزمة • وهى لذلك تهتم بتخفيف حدة التوتر الدولى • وعلى الرغم من ذلك فان الدلائل

تشير الى أن كل الشخصيات المسئولة فى بريطانيا تتفق مع الامريكيين ، وباقى شركائهم على أنه لا بأس بالتفاوض مع الاتحاد السوفيتى ، ولكن الطرف الأقوى هو الذى سيستطيع تحقيق أهدافه . وانه مما يعزز مركز الدول الغربية أن تنضم ألمانيا الغربية الى حلف الاطلنطى واتفاقية باريس .

وتسلك فرنسا مسلكا يماثل خطة بريطانيا ، ولو أنها ناهضت تكوين الحلف الدفاعى الاوروبى ، الا أنها قبلت انضمام ألمانيا الغربية الى حلف الاطلنطى تحت تأثير أزمتها الاقتصادية ، ونضال المجاهدين الجزائريين فى سبيل التحرر والاستقلال .

وليس هنالك من داع للتحدث عن باقى دول حلف الاطلنطى ، اذ أن أدوارها ثانوية ، ولانها لم تنضم الى حلف الاطلنطى وباقى منظمات الكتلة الغربية ، الا بدافع من مصالحها الاقتصادية ، وغيرها ، ولم يكن انضمامهما لاسباب دفاعية ، أو ايديولوجية .

ولقد أثرت الحرب الثانية تأثيرا كبيرا على المركزين الاقتصادى والسياسى لدول غرب أوربا ، إذ خرجت هذه الدول من الحرب ، وقد انهارت اقتصادياتها ، وفقدت نفوذها السياسى ، وكان عليها أن تعتمد على الولايات المتحدة ، وتعترف لها بالزعامة .

وبناء على ذلك ، صار لزاما على أمريكا وهى أقوى دولة رأسمالية ، أن تواجه الاتحاد السوفيتى وهو أقوى دولة اشتراكية ، تتجمع حولها الدول الاشتراكية الحديثة التى يسودها النظام الديمقراطى الشعبى .

ومن السهل تبرير هذا التكتل فى الدول الشرقية ، ورده الى

أسباب دفاعية ، وبخاصة اذا وضعنا في اعتبارنا أن الدول الغربية لا تريد أن تعترف بأن النظام الرأسمالى قد انهار فى هـذه الدول الشرقية ، وأن نظاما اشتراكيا حديثا قد أخذ مكانه فيها ٠

ان الغرب لا يدخر وسعا ولا يكف عن بذل كل مجهود ولا يتورع عن أية وسيلة : (مثل الدعاية المستمرة المحمومة والتدخل فى الشؤون الداخلية) بقصد تعويق النمو ، والتقدم ، الطبيعيين لهذه الدول الشرقية ما دام لا يستطيع استرداد سابق نفوذه فيهـا أو الابقاء على النظم الرأسمالية ٠ وبذلك رأينا الفجوة تتسع بين الشرق والغرب ، وتتحول الى هوة سحيقة تنسب اليها الدعـاية الغربيـة صفات ونعوت ايديولوجيـة ، وبذلك انقسمت الدنيا الى عالمـين : العالم الشيوعى ٠ والعالم المناهض للشيوعية ٠

وعلى الرغم من ذلك فانه لا تزال هنالك بعض الدول التى تحتضن النظرية القائلة بأن المشاكل العالمية لا تحل الا بالوسائل السلمية ، وان سياسة التلويح بالقوة لا تؤدى الا الى الامعان فى سباق التسلح وتنذر العالم بحروب جديدة لا تبقى ولا تذر ٠

ويوغوسلافيا تنتمى الى الدول التى تعتنق هذه النظرية ، هـذه الدول التى تقوم بأهم دور وتضطلع بأوفى نصيب فى سبيل تخفيف حدة التوتر الدولى ومنع التصرفات العدوانية التى تبدر عن أولئك الذين يحاولون تحقيق أهوائهم ، وأغراضهم بالقوة المسلحة ٠

وتبذل هذه الدول المسالمة جهودها الموفقة فى أروقة هيئة الأمم لنصرة السلام العالمى ٠ ومما يذكر أنها قد حظيت بنجـاح باهر ، وذلك لان نظرية تدعيم السلام الدولى ، والتعاون السـلمى ، تلقى تأييدا معنويا متزايدا من الرأى العام العالمى ٠

الاستعمار وتطور الشرقين الأدنى والأوسط

من المعروف أن كثرة من الدول حررت نفسها من ربقة الاستعمار فى أعقاب الحرب الثانية ، وكان هـذا نتيجـة لسنوات طويلة من النضال ، وأعوام متراوحة من الكفاح فىسبيل الاستقلال، والتحرر، والتخلص من أوضار التخلف والرجعية فى أقرب وقت مستطاع • ولقد مضت هذه الدول حديثة العهد بالاستقلال فى سبيل استكمال نموها ، وتطورها الداخليين على أسس من النظم الرأسمالية التى سبق أن أدخلها المستعمرون •

وكان على هذه الدول أن تتغلب على المتاعب والمصاعب الناشئة عن تخلفها الشديد فى شتى النواحى وبخاصة فى ناحية التصنيع ، ذلك التخلف الذى يعتبر من أسوأ آثار نظم الحكم الاستعمارى والاستعباد الاقتصادى وسوء الاستغلال التى كانت تهدف دائما الى ابقاء هـذه الاقاليم فى حالة بدائية حتى ترزح دائما تحت نير التبعية الاستعمارية•

وكان التنـاقض المذهل بين تخلف هذه الدول ، وبين ما أحرزته بعض الدول من تقدم غير عادى فى ميادين الانتاج سببا فى التفكير فى البحث عن حل سريع سليم تبنى عليه العلاقات بين هـذه البـلاد المتخلفة ، وتلك الدول المتقدمة ، ويوفق بين مصالحهـا المشـتركة ، وتشكل هذا الحل بشكل مساعدات دولية تبـذل للدول المتطورة والمتخلفة لتمكينها من استكمال نموها الاقتصادى فى أسرع وقت ممكن خدمة للاقتصاد العالمى ، ومن ثم اتخذت هذه المساعدات صفة سياسية أو عسكرية • وكان هذا اجراء ضروريا فى سبيل المحافظة على السلام العالمى ، على أن تكون هذه المساعدات غير مشروطة ، بأى شرط ، ولا

محدودة بأى قيد ، وألا تمس استقلال البلاد التى تتلقى المنـح وبذلك يقضى قضاء تاما على عناصر الانهيار الاقتصادى ، والتوتر السـياسى بين الدول ٠

ترى ىما هو الموقف الراهن الآن فى افريقيا وآسيا وبخاصة فى الشرقين الادنى والاوسط ؟

لقـد اسـتطاعت الشـعوب المغلوبة على أمرها أن تحطم صروح الاستعمار ، وأن تدك معاقله باصرارها فى عناد على الكفاح المتواصل ٠ ولقد سبب هذا النضال متاعب هائلة لقوى الاسـتعمار ، اذ كانت وسائل القهر والارغام التى يلجأ اليها المسـتعمرون لمقـاومة حركة التحرر لا تعود عليهم الا بنتائج عكسية ، وتعمل على اجماع الشعوب على المطالبة بالحرية ، واستخدام الوسيلة الوحيدة الفعالة لنيل هـذا المطلب وتحقيق هذا الهدف ، ألا وهى النضال المسلح ٠ وبذلك انتهى العهد الذى كان فيه سكان المستعمرات يتحملون المشاق والمتاعب ، ويضيعون أعمارهم فى التوجس والانتظار ، وللمستعمر الامر والنهى ، وعليهم السمع والطاعة ، وليس لهم الا الكد والكدح ، فى سبيل جمع الثروة ، وتوفير الرخاء ، والنعيم لسكان عاصمة الاستعمار ، بينما يغوص أصحاب الثروة الاصليـين فى أوحال الفـاقة ، ويهبطون الى حضيض المتربة ٠ ولا يزال الدهر يدخر الكثير من المتاعب وخيبـة الآمال لكل من يجهل هذه الحقيقة أو يتجاهلهـا ٠ وذلك لان الدول المتحررة أضحت قدوة للشعوب الرازحة تحت نير الاستعمار تضرب لها المثل لمـا يمكن أن تصل اليه الشعوب التى تحكم نفسها بنفسها من تقدم ، وعزة ، وما تتمتع به من سيادة ، ورخاء ٠ وان الشـعوب لن تحرز أية نهضة اقتصادية ، أو ثقافية ، أو سياسية ، الا اذا حققت استقلالها ، ووليت أمر نفسها ، واستخدمت مواردها الطبيعية فيما يعود عليها بالخير والتقدم ٠

مثل هذه الحركات التقدمية تدفع قوى الاستعمار الى استعمال كل الوسائل وبذل كل جهد للحيلولة دون تحرر هذه الشعوب ، وابقائها تحت سيطرة الاستعمار • ونتيجة لهذا رأينا أبشع وسائل القهر

والارغام تمارس لقمع الحركات التحررية فى الجزائر وكينيا • كما رأينا وسائل الضغط العديدة تفرض بكافة وجوهها وأنواعها على بعض الدول حديثة العهد بالاستقلال ، مثل **تونس ، ومراكش ، وأندونيسيا،** وسواها •

كما شاهدنا عدوانا دمويا موجها ضد دولة مستقلة هى مصر ، لانها استخدمت حقها فى القضاء على آخر ما بقى من آثار الاستعمار التى كانت تنتقص استقلالها وسيادتها • وقد كان من الممكن أن يسفر هذا العدوان المسلح عن آثار سيئة لولا تدخل هيئة الامم المتحدة ومعارضة الاتحاد السوفيتى وأمريكا له لادراكها جميعا ما كان يمكن أن يتمخض عنه هذا العدوان من شرور تحيق بالعالم أجمع فلا تبقى ولا تذر •

ولكن هذه الواقعة لم تكن خاتمة المطاف ، فقد عادت السحب القاتمة للتجمع ثانية فى سماء الشرق الاوسط ، عندما أرادت قوى الاستعمار ألا تتخلى عن الامساك بزمام الموقف فى هذا الجزء من العالم • ولم تكن لتكتفى بالعمل على الاحتفاظ بما تحت يديها من مستعمرات ، بل وكانت تتطلع الى استرداد ما فقدته منها • وكانت مصر تشكل أكبر عقبة فى سبيل تحقيق هذه الأغراض • ولما كان العدوان العسكرى المسلح لم ينجح ، فلا بد من البحث عن وسائل جديدة لتحطيم مصر وهى حصن التحرر ، ومعقل الاستقلال ، فى افريقية والشرق الاوسط • والتى تمثل أقوى خط من خطوط الدفاع عن البلاد التى تقاوم التدخل الاجنبى وتنافح عن استقلالها ، كما أنها السند الاقوى ، والعون الاعظم للشعوب التى تحارب فى سبيل الحرية •

ولقد كان الضغط الذى وقع على سوريا فى العام الماضى سببا فى التعجيل بالاتحاد بين مصر وسوريا • وانضمام اليمن اليهما • ولقد أصبح هذا الاتحاد قبلة أنظار الشعوب العربية جمعاء ، واساسا صلبا ترسو عليه قواعد السلام فى هذا الجزء من العالم •

حلف بغـــداد

وعلى الرغم من أن **حلف بغداد** قد ألحق بعض الضرر بوحدة العرب فانه لم يحقق أهدافه كلها ، ولم يستطع اخضـاع الدول العربيـة للمصالح الخاصة بالدول الغربية ، كما أخفقت المحـاولة التى اتخذت لاعادة الاستعمار الى هذه الاقطار تحت ستار « ملء الفراغ » المزعوم فى الشرق الاوسط •

كان الهدف الرئيسى لحلف بغداد تطويق الاتحاد السوفيتى بقواعد استراتيجية ، وربط الدول العربية بعجلة الاستعمار • **ولكنه** أصـبح الآن غير ذى موضوع ، لان الشعوب العربية تقاوم كل محاولة من هذا النوع أو لانشاء قواعد عسكرية بداخل أقاليمها •

وفى الوقت نفسه قابلت الشعوب العربية المبـادىء الشـيوعية بالاستنكار والاعراض • ذلك لان شعوب الدول العربية الناشئة ، قد ذاقت الامرين من مساوىء الاستعمار ، وهى تتمسـك تمسكا عظيمـا بقوميتها ، وتتحكم فيها عواطف الوطنية وتعتز بطابعها الخاص ، وهى لذلك لا تقبل من المبادىء الا ما ينبع من صميم قوميتها ووطنيتهـا ، ولا يمكن أن تقبل نظاما مستوردا من الخارج كالشيوعية ، وكل ما يقال مخالفا لمـا أسلفنا فما هو الا محض افتراء يقصد به تمهيـد الطريق للتدخل فى الشئون الداخلية للبلاد العربية وتقويض دعائم وحدتها ، وتصفية استقلالها ، والقضاء على سيادتها ، واخضـاعها للحـكم

الاستعمارى تحت ستار أسماء جديدة مهما اختلفت وتنوعت ، فما هى الا مرادفات معنوية للاستعمار ٠

أندونيســـيا

ولقد اتخذت مثل هذه التطورات سبيلها الى أندونيســيا ٠ اذ لم تكف دوائر الغرب عن التدخل فى الشئون الداخلية للجمهورية المتحدة للشعوب الاندونيسية وظلت تدبر لها المؤامرات والمكائد حتى أحالتها الى ميدان للحرب الأهلية ، وذلك لان **أندونيســـيا** المستقلة المتحدة تحول دون تحقيق أغراض بعض الدول الاستعمارية فى المنطقة التى تحيط بها ٠ وبناء على ذلك ، وكالمتبع دائمــا فى مثل هذه الاحوال ــ فقد اتهمت الحكومة الاندونيسية بأنها ذات سياسة شيوعية ، وطالبتها صحف الغرب بالاستقالة ، وتسليم زمام الحكم الى الثوار المــأجورين ، وان الهجوم المرير الذى تقــوم به بعض الصحف الامريكية ليفضــح المكان الذى وجهت منه الضربة الى الحكومة الاندونبسية ويزيح الستار عن حقيقة المؤامرة والدافع اليها ، وهو ارغام جمهورية الولايات المتحدة الاندونيسية على التخلى عن السياسة المستقلة المحايدة التى تنتهجها والانضمام الى حلف جنوب شرق آسيا ،والا كانت النتيجة هى تحريض الثوار ، واستئجارهم لاضرام نار الحرب الاهلية حتى يمكن القضاء على وحدة الجمهورية الاندونيسية وادخال بعض أجزائهــا تحت ســيطرة الدول الغربية وتحويل البعض الآخر الى مستعمرات أو فرض الحكم الاستعمارى أو شبه الاستعمارى عليها تحت ستار اسم جديد أو شكل آخر ٠

هذا التدخل فى الشئون الداخلية لاندونيسيا يجب أن يثير القلق والاضطراب فى كل مكان ، لانه يشكل خطر اثارة مشاكل واشتباكات دولية معقدة قد تؤدى الى أوخم العواقب ٠ كما أن هــذه الســياسة

التى تطبقها دول الغرب الكبرى فى الشرق الاوسط وجنوب آسيا تهدد السلام العالمى وتمهد لوقوع أحداث شبيهة بتلك الوقائع التى سبقت الحربين الكبريين الاولى والثانية ، وأدت الى وقوعهما • فاذا أضفنا الى كل ذلك اصرار الدول على المضى فى سباق التسلح وتجارب القنابل الذرية والهيدروجينية لالفينا العالم يعيش فى جو من الرعب والفزع لا تكفى لتخفيف وطأته تلك المحادثات العقيمة ، الجوفاء عن نزع السلاح •

••• المخرج

وانا لنتساءل عما اذا كان فى الامكان الخروج بالعالم من حيز تلك الدائرة المفرغة من الآثام التى يدور فى نطاقها الآن ؟

ليس هنا لك الا سبيلان : اما الحرب واما حل المشاكل الدولية بالوسائل السلمية •

ان الاغلبية العظمى من شعوب العالم تنشد السلام ، ولا توجد الا حفنة من الرجال غير المسئولين الذين لا يتدبرون العواقب هم الذين يطلبون الحرب •

ولذلك يجب على جميع الساسة المسئولين والحكام الذين تهفو نفوسهم الى السلام ويضمرون حب الوئام فى قلوبهم أن يقوموا بدور ايجابى فى مكافحة العناصر التى تلعب بالنار وتهدد باحراق العالم •

ان تقدم التجارب العلمية قد وضع العلاقات الاجتماعية فى مركز حرج غير معقول • فان بعض الافراد أو مجموعات منعزلة منهم هى التى تقرر ما تشاء بشأن استعمال الطاقة الذرية فى الشئون الحربية،

أو بمعنى آخر انها هى التى تتحكم فى مصائر الجنس البشرى ، فاذا فرضنا أن من هؤلاء الافراد من كان مصابا بالسادية ، أو باللوثة العقلية ، أو بالانانية المفرطة ، أو كان منهم من ضاق ذرعا بحياة الترف والبذخ ، فالنتيجة المنطقية أن يكون بينهم من يقول : «لاداعى لان تشرق الشمس بعد موتى » •

لقد آن الاوان لان يكون التصرف فى شئون استخدام الطاقة الذرية حقا من حقوق الجنس البشرى بأكمله لا يتحكم فيه فرد بذاته أو فئة قليلة من الناس •

ونحن نرحب مخلصين بقرار الاتحاد السوفيتى الخاص بوقف تجارب القنابل الذرية والهيدروجينية ونعتبر مثل هذا العمل دليلا على حسن النية ورغبة فى وقف هذه التجارب وحظر مثل هذا السلاح الفظيع الذى يبث الخراب وينشر الدمار •

وفى العام الماضى تقدمنا الى مجلس الامة بقرار بالمطالبة بالكف نهائيا وبالاجماع عن اجراء هذه التجارب •

لقد آن الاوان لان تكف جميع الدول عن اجراء التجارب النووية ، وأن تأخذ مأخذ الجد كل المحادثات الخاصة بتسوية المشاكل المتنازع عليها ونزع السلاح وسائر الشئون الدولية المختلف عليها •

ان الدلائل المبشرة بقرب عقد اجتماع بين رؤساء الدول على أعلى مستوى ، قد أحيت آمال شعوب العالم فى امكان الوصول الى نوع من التفاهم الذى يجعل فى الامكان انقاذ السلام العالمى •

السياسة الخارجية ليوغوسلافيا

أحرزت يوغوسلافيا نتائج باهرة فى سياستها الخارجية فى الفترة التى تخللت المؤتمرين السادس ، والسابع لرابطة الشيوعيين •

فى تلك السفينة أرسيت قواعد السياسة الخارجية ليوغوسلافيا على أسس التعاون الدولى الشامل ، والتعايش الايجابى بين كافة الشعوب، والحكومات ، بصرف النظر عن النظام الاجتماعى الداخلى لكل منهـا ، وعدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الاخرى ، وتسوية المشاكل الدولية بطريق الاتفاقات السلمية ، والعزوف عن اســتعمال القوة ، كوسيلة لتحقيق الاغراض المختلفة ، والمســاواة بين الدول الصغرى والكبرى فى كل ميدان من ميادين التعاون ، ونزع الســلاح عامة ، وحظر استعمال الطاقة النووية كأداة للخراب ، والدمار ، وايقـــاف تجارب القنابل الذرية ، والهيدروجينية ، وتصــفية الاســتعمار ، وتقرير حق كل شعب فى أن يحكم نفسه بنفسه ، وتقديم المساعدات الاقتصادية للدول المتخلفــة بغـــير أى قيد ، أو شرط ينتقص من سيادتها ، أو استقلالها ، والاعتراف بالشخصية العالمية لهيئة الامم المتحدة ، والصفة الدولية لها •

هذه السياسة الخارجية المستقرة ، المستقلة ، أكسبت يوغوسلافيا صيتا حسنا ، وسمعة طيبة ، بين أمم العالم ، وصوتا مســـموعا فى سائر المحافل الدولية •

ولقد أصرت يوغوسلافيا على التزام هذه السياسة فى أروقة هيئة الامم المتحدة ، وأيدت هذه المنظمة الدولية فى جهودها ، وعاونتها على النهوض بالاعباء الفادحة التى كان عليها أن تضطلع بها فى سبيل تحقيق مبادئها .

وبناء على رغبتنا فى تدعيم المبادىء السالفة وتطلعنا الى التعاون الشامل مع جميع الامم بصرف **النظر عن نظمها الاجتماعية الداخلية ، فقد قمنا فى الفترة بين المؤتمرين بزيارات رسمية الى بريطانيا وتركيا واليونان والهند وبورما والحبشة ومصر وفرنسا والاتحاد السوفيتى ورومانيا .**

وكان لهذه الزيارات دلالات عظيمة من كل وجهة ، وكل اعتبار بالنسبة لوطننا بصفة خاصة ، وللعالم أجمع بصفة عامة .

ويتعين علينا ـ بهذا الصدد ـ ان نذكر التعاون الوثيق الذى تم بين يوغوسلافيا وبين الهند وبورما والحبشة ومصر واندونيسيا وغيرها من الدول فى النواحى السياسية والاقتصادية والثقافية .

هذه الدول لا تنتمى الى أى حلف وتتبع سياسات خارجية قوامها الايجابية والمحافظة على السلام والتعاون الدولى .

أتاحت هذه الزيارات فرصة تبادل الآراء حول المشاكل الدولية المختلفة ، والمعرفة العميقة ، والدراية الكاملة بالاحوال الداخلية لهذه الامم فى النواحى الاقتصادية ، والسياسية ، والثقافية ، والاجتماعية ، بصفة عامة . وبذلك أمكن الوصول الى اتفاقات ناجحة على أسس من التعاون فى شتى ميادين النشاط الدولى .

أما السمعة الحسنة التى أحرزتها يوغوسلافيا فى محيط السياسة العالمية بسبب التزامها سياسة عدم التدخل فى الشئون الداخلية للامم الاخرى فقد أقنعتنا بجدوى مبادىء **التعايش السلمى ، وحل المشاكل الدولية بالوسائل السلمية .**

وانا لنعتقد أن وجود مثل هذا العدد الجم من الدول التى تنشد السلام هو عامل بالغ الاهمية فى تحقيق النصر للنضال الحاضر فى سبيل توطيد أسس السلام العالمى .

وفى أوروبا ، بالنسبة للعلاقات بين الدول الاوروبية لم تشترك يوغوسلافيا فى أية ترتيبات موجهة ضد أية من هذه الدولة على الرغم من الموقف العصيب التى كانت تفرضه سياسة ستالين على يوغوسلافيا لقد رفضنا فى عزم واصرار الانضمام الى حلف الاطلنطى أو أية اتفاقيات أخرى لها صفة التكتل . وعلى أية حال فقد حاولنا التعاون مع كل الدول الاوروبية فى كل المسائل ذات النفع المشترك . فتوسعنا فى تدعيم العلاقات والاتصالات الاقتصادية والثقافية التى ينتظر منها الخير لبلادنا .

ولقد كنا ، ولا زلنا ، ننظر الى الاقتصاد الاوروبى نظرة خاصة ، مؤداها أن التسويات الخاصة به ما هى الا حلول جزئية منقوصة ، تخفى فى طياتها عناصر سلبية ، وبخاصة حيال سيطرة الفريق الاقوى من الناحية الاقتصادية ، وتحكمه فى اقتصاديات الفريق الاضعف ، ثم ان هذا التكافل الاقتصادى الاوروبى يحمل طابع التكتل ، ويعوق التقدم الاقتصادى الحقيقى ، كما تفهم أوسع معانيه .

وهذا هو السبب فى عزوفنا عن الاندماج فى هذه العمليات ، ورفضنا

لاى نوع من الالتزامات ، على الرغم من أن الازهار لم تكن مفروشة لنا على امتداد الطريق فى ذلك الحين •

علاقاتنا مع ايطاليا

ان يوغوسلافيا ترغب أشد الرغبة فى أن تساهم بكل ما تستطيع من وسائل ، وأن تقدم كل عون ممكن فى سبيل تخفيف حدة التوتر الدولى • ولقد استطاعت ـ تحدوها هذه الرغبة ـ أن تعقد مع جارتها ايطاليا اتفاقية خاصة بمشكلة تريستا ، وبعد مفاوضات دامت عدة سنوات ، أمكن حذف هذه المسألة من جدول الاعمال ، بعد أن كانت تحمل فى طياتها كل عناصر التوتر السياسى والحرب الباردة •

وتبعا لهذا ، ازدادت العلاقات بين الدولتين تحسنا ، وازدهر بينهما تعاون اقتصادى وثيق أدى الى خير النتائج للبلدين ، اذ تتضاعف الآن امكانيات التبادل التجارى بينهما ، وهى امكانيات يعززها الموقع الجغرافى والتركيب الاقتصادى الداخلى لكل من الاقليمين • ومن أبرز الدلائل على ذلك نشاط حركة المرور بين حدود الدولتين • اذ بلغ عدد الافراد الذين عبروا الحدود بين القطرين فى سنة ١٩٥٧ حوالى ستة ملايين من الزوار •

ولقد تجمعت الغيوم فى سماء علاقتنا مع ايطاليا مؤخرا بسبب قبولها انشاء قواعد قذف الصواريخ فى أرضيها • هذه القواعد التى تشكل خطرا على استقلال يوغوسلافيا وأمنها ، ويجب ألا يغيب عن أذهاننا ذلك العنصر الجديد التى جد على علاقتنا مع ايطاليا •

توحيد المانيا

كان مسلكنا حيال توحيد المانيا واضحا معروفا ، ونحن عندما

اتخذنا هذا الموقف لم نكن منحازين لكائن من كان ، كما فعلت بعض دوائر الغرب • لاننا نتمسك بسياستنا الخارجية المستقلة ، فاذا ما اتفقت هذه السياسة مع سياسة دولة أخرى - كالاتحاد السوفيتى مثلا - فهذا خير وأجدى • وكم يسرنا أن تلتقى وجهة نظرنا الى المشاكل الدولية مع وجهة نظر أمريكا وباقى الدول الغربية •

ونحن عندما قررنا الخطة التى اتبعناها حيال توحيد المانيا ، كنا نضع نصب أعيننا صوالح الامن العالمى قبل كل اعتبار يمكن النظر اليه ، لافى الوقت الحاضر فحسب ، وانما فى المستقبل البعيد أيضا • فنحن نعارض الزعم القائل أن توحيد المانيا مشكلة دولية يتوقف على حلها تسوية جميع المنازعات العالمية،بما فيها مسألة نزع السلاح، ونحن نرى أن توحيد المانيا أمر يخص شعبى المانيا الشرقية والغربية ، ولا شأن لاحد غيرهما به • ولهم مطلق الحرية فى الوصول الى خير تسوية لهذا الموضوع فى المستقبل القريب أو البعيد • وان أى تدخل من الخارج يزيد الحالة سوءا ويبعدها عن نطاق الواقع •

ولذا راجعنا تطورات الحوادث التاريخية التى أعقبت الحرب الكبرى ، ألفينا المانيا قد انقسمت الى دولتين لكل منهما نظام اجتماعى خاص بها • فالنظام الرأسمالى يسود المانيا الغربية ، بينما تعتنق المانيا الشرقية مبادىء النظام الاشتراكى •

فما المخرج من هذا الموقف اذن ؟

هل نترك العالم يتردى فى هوة حرب جديدة لهذا السبب ؟ أم أن نساعد الشعبين الالمانيين على تنظيم مصالحهما المشتركة على أساس فيدرالى ، أو ديمقراطى ، بالوسائل السلمية التدريجية وبروح مبادىء التعايش السلمى • ليس الشعب الالمانى وحده هو الذى يحتاج الى توحيد المانيا ، ولكن العالم كله يريد أن يرى المانيا ، وقد تحولت

الى دولة ديمقراطية لا تكون مصدرا لاثارة الفزع ، والرعب ، فى قلوب أفراد شعوب أوربا ، كما كانت سابقا ، بل تكون مثالا للتقدم الشامل، والرغبة فى التعاون السلمى مع الجميع •

من حق شعوب العالم أن تطالب بشيء كهذا ، ولكن الشعب الالمـانى وحده صاحب الحق فى تقرير الوقت المناسب لمناقشة المشكلة الالمانية•

الاعتراف بجمهورية المـانيا الديمقراطية وقطع العلاقات بين جمهورية المانيا الاتحادية وبين يوغوسلافيا

تطبيقا للمبدأ الذى اتخذناه لانفسنا خاصا بالتعاون مع كل دولة ترغب فى التعاون معنا على قدم المساواة ، وبناء على خطتنا التى اتبعناها حيال وجود دولتين المـانيتين ، لم يكن فى اســـتطاعتنا التلـكؤ فى الاعتراف بجمهورية المـانيا الديمقراطية • ولقـد كان ممكنا أن يحدث هذا الاعتراف منذ سنة ١٩٤٨ ، لولا الموقف الذى نشأ عن الاتهامات التى كانت توجهها هذه الجمهورية بالذات ليوغوسلافيا فى ذلك الحين •

كنا نعلم أن حكومة المـانيا الغربية لن ترضى عن هذا الاعتراف ، وانها لن تتقبله عن طيب خاطر ، ولكننا لم نكن نتوقع أنها ستمضى فى هذا الشوط الى حد قطع العلاقات الدبلوماسية مع يوغوســلافيا ، وان من ينظر الى الموضوع من ناحيته المعنوية يجد أن التجنى صـادر من ناحية حكومة جمهورية المـانيا الغربية لا من ناحيتنا •

ومن المعلوم أنه فى أعقاب الحرب الكبرى مباشرة بذلت يوغوسلافيا كل مافى وسعها من جهـد ، لـكى ينسى الناس كل ما اقترفه الجيش الفاشيستى الالمـانى ضد الشعب والوطن اليوغوسلافيين •

وكانت يوغوسلافيا هى البادئة باطلاق سراح أسرى الحرب الالمان وبعض مجرمى الحرب منهم ، كما أنها كانت من أوائل الدول التى اعترفت بجمهورية المانيا الغربية ، وأنشأت معها علاقات اقتصادية واسعة النطاق •

أما فى الوقت الحاضر ، فان علاقاتنا مع المانيا الغربية لا تتجاوز حد التبادل التجارى ، والتعاون الاقتصادى • وأما مسألة عودة العلاقات بيننا وبينها الى مجراها الطبيعى ، فقد خرجت من بين أيدينا وأصبحت متوقفة على ارادة حكومة المانيا الغربية •

علاقاتنا مع الولايات المتحدة الامريكية

علاقاتنا مع الولايات المتحدة الامريكية قائمة على أساس من الاحترام المتبادل ، والتعاون على قدم المساواة ، وعدم التعرض للشئون الداخلية ، فاذا ما ظهرت بعض محاولات خارجة عن نطاق هذه المبادىء فهى صادرة عن بعض الافراد أو الجماعات ، لا عن حكومة الولايات المتحدة نفسها •

لقد تلقينا من أمريكا مساعدات اقتصادية وعسكرية كنا فى أشد الحاجة اليها ، أى فى الفترة التى بلغ فيها ضغط ستالين علينا أشد مراحله فى نواحى السياسة والاقتصاد والدعاية ، وبذلك تغلبنا على المصاعب الجمة التى كنا نواجهها فى ذلك الحين • صحيح أن المساعدات الامريكية لم تتجاوز أربعة فى المائة من دخلنا القومى ، ولكننا لا نستطيع أن ننكر أننا تلقيناها فى وقت كنا فيه أحوج مانكون اليها •

ولقد أراد بعض الناس فى الشرق أن يستغلوا الامر من ناحية الدعاية باثارة الشكوك فى أن هذه المساعدات لم تكن بغير قيد ولا

شرط ، ولكن الحق أحق أن يتبع ، ولذلك فاننا نؤكد أننا لم نتعهد بأية التزامات ، كما أن أحدا لم يفرض علينا أية قيود أو شروط • وكل ما حدث أنه عقب زيارتنا للاتحاد السوفيتي فى صيف سنة ١٩٥٦ وفى نهاية شهر سبتمبر من ذلك العام، قامت صحف الغرب الرجعية بحملة دعاية ضدنا فاضطر الرئيس ايزنهاور الى ايقاف تسليم الطائرات والاسلحة الثقيلة الى يوغوسلافيا ، مع استمرار ارسال قطع الغيار ، والمهمات الشبيهة بها •

ولكننا لم نتأثر كثيرا بهذا الاجراء • لاننا لم نكن نخشى أى عدوان يهدد يوغوسلافيا فى ذلك الحين ، ولاننا كنا نتوقع استمرار تحسن العلاقات بيننا وبين الاتحاد السوفيتي وباقى الديمقراطيات الشعبية على أثر زيارة الوفد السوفيتي ليوغوسلافيا واحتضانه لتصريح بلغراد •

يضاف الى كل ذلك أن التزامنا للسياسة السلمية التى عرفت عنا ، ورغبتنا فى تخفيف التوتر الدولى القائم فعلا ، ومطالبتنا بنزع السلاح ، وعزوفنا عن الصراع العسكرى ، ••• كل هذه المبادىء والالتزامات لم تكن تتجاوب أو تتلاءم مع الاستمرار فى ابداء رغبتنا فى زيادة تسليح جيشنا • والواقع أننا لم نقبل المساعدات العسكرية الا بقصد تطوير جيشنا الدائم فى أوقات السلم العادية •

وبناء على الاسباب السالفة الذكر ، وردا على حملة الدعاية الصحفية التى قامت بها الصحف الرجعية الامريكية، فقد أرسلنا خطابا شخصيا الى الرئيس ايزنهاور ألغينا فيه الخطة التى كانت مرسومة لتزويدنا بالمساعدات العسكرية •

وبعد تصريح الحكومة الامريكية الصادر فى ١٥ مايو سنة ١٩٥٧ ،

استمر تسـيم المهمات ، ولكنها كانت فى الواقع مساعدات رمزية •

وكان وزير الدفاع « جوشنياك » قد أدلى ببيان يوضح فيه هـذه الوقائع لمجلس الأمة فى ختام سنة ١٩٥٦ ، ولذلك لم نكن نريد أن يفسر عدو لنا عن قبول المساعدات أى تفسير يخالف الحقيقة ، فألغينا هذه الاتفاقية ، وعدلنا عن قبول أية مساعدات حتى ولو كانت رمزية، وذلك لنفس الاسباب التى أوضحتها للرئيس ايزنهـاور فى خطـابى سالف الذكر •

ولقد قبلت الحكومة الامريكية حججنا ، وصدر اتفاق أقره الطرفان على وقف المساعدات العسكرية ، ولم يكن لهذه الواقعـة أى تأثير على العلاقات السياسية ، والتعاون الاقتصادى بين البلدين •

ولا زلنا راغبين فى الابقاء على حسن العلاقات بيننـا وبين الولايات المتحدة الامريكية ، على الرغم من وقف كل مساعدة كانت تصدر منها الينا • ذلك لاننا لا نطالب بأكثر من التعاون الاقتصادى بين البلدين على قدم المساواة بأوسع معانيها • • وان كنا لا نرى بأسا بالقروض الاقتصادية ، كمظهر لهذا التعاون الاقتصادى •

•• مع اليونان وتركيا

ومن المعلوم أن علاقاتنـا مع اليونان ، وتركيا ، لا تتجاوز حـد التعاون الاقتصادى • ذلك لان الاسباب التى دفعتنا الى العـدول عن تلقى المساعدات العسكرية ، قد جعلت لزاما علينا أن نضع الناحية العسكرية لحلف البلقان فى مرتبة ثانوية ، وأن نفضل عليها التعـاون

مع هاتين الدولتين فى النواحى الاقتصادية ، والثقافية ، والسياسية ، وبخاصة النضال فى سبيل تدعيم أسس السلام العالمى ٠

وتعتبر الصداقة القائمة الآن بين يوغوسلافيا وبين كل من تركيا ، واليونان ، نموذجا لامكان التعاون بين الدول على الرغم من اختلاف النظم الاجتماعية السائدة فيها ٠ كما أنه قد تمت تسوية المشاكل ذات الدلالات المعينة التى كانت تعكر صفو العلاقات بين يوغوسلافيا ، وتركيا ، فى أثناء تكوين حلف البلقان ٠

مع البلاد الاخرى

واذا كنت قد أغفلت الحديث عن باقى دول أوربا ، مثل بريطانيا وفرنسا ، وبلجيكا ، وهولندة ، والدنمارك والنرويج والسويد وبلاد أمريكا اللاتينية وسواها ، فان هذا لا يعنى مطلقا أن علاقاتنا الاقتصادية والسياسية معها ليست على ما يرام ٠ ولكننا ـ على النقيض من ذلك ، نرى أن هذه العلاقات حسنة ووطيدة ومؤسسة على دعائم التعاون المشترك ٠ ولا توجد بيننا وبينها خلافات جوهرية فى وجهات النظر الى شتى المسائل والاعتبارات ٠ صحيح أنه قد يوجد شىء كهذا عندما تتعلق المناقشات بالنظم الاجتماعية والسياسة الخارجية ، ولكن هذه الخلافات لن تكون سببا فى رفض التعاون فى نواحى النفع المشترك ٠

ليست على ما يرام

وعلى الرغم من هذا ، فان العلاقات ليست على خير ما يرام مع بعض الدول ٠ فان بعض الناس فى الدول الغربية لا يريدون الاخذ بمبادىء

التعايش السلمى فى أوسع معانيها ، وبخاصة مبدأ عدم التعرض للشئون الداخلية الخاصة بالدول الاخرى • فالحرب الايديولوجية لا تزال ناشبة ضد الدول الاشتراكية ، وقد وجهت بعض دوائر الغرب حملاتها ضد يوغوسلافيا بالذات بسبب تحسين علاقاتها مع الاتحاد السوفيتى وباقى بلاد شرق أوروبا ، والعودة بها الى مجراها الطبيعى •

واذا أردنا أن نضرب مثلا بما حدث فى هذا الصدد فسنقدم نموذجا لذلك ، هو مسألة « دجيلاس "Djilas" عميل الدعاية المضادة ليوغوسلافيا ، ومضرم نارها ، ومحاكمة جماعة العملاء « تشيتنك "Chetniks" وثبوت تهمة العمل على هدم نظام الدولة ضدهم ، وتعاونهم مع المحتلين أثناء الحرب العالمية الثانية • فقد أثارت هذه المحاكمة حملة دعاية ضد يوغوسلافيا • ومما يرثى له أن بعض الزعماء العماليين ، والاشتراكيين ، اضطلعوا بدور يؤسف له من أدوار هذه الحملة كان المقصود به تشويه سمعة يوغوسلافيا فى المحيط الدولى لادراكهم أنهم لا يستطيعون الاضرار بها فى النطاق الداخلى مهما كان مدى استعانتهم بهؤلاء الخونة • أن منعة دولتنا الاشتراكية ، ورابطة الاتحاد التى تجمع بين شعوبها القوية الى حد يجعلنا نرى أنه من السخرية أن يظن البعض أن جهود حفنة من الخونة المارقين قد تؤثر فيها •

لماذا يهاجموننا ؟

وهذا هو السبب فى أن هؤلاء الخصوم يهاجموننا فى محيط السياسة الخارجية •

ان الدور الذى تلعبه يوغوسلافيا على مسرح السياسة الدولية هو قذى فى عيون الرجعية العالمية ، وعدد معين من الاشتراكيين ، الذين يحقدون على يوغوسلافيا ، بسبب ما أحرزته من حسن السمعة بين شعوب آسيا وافريقيا ، وبخاصة الطبقات العاملة منها ، وكذلك سائر الشعوب التى تناضل فى سبيل التحرر من ربقة الاستعمار •

ولم يكن لنا أن نقابل الاساءة بالاساءة ، فنزيد العلاقة بيننا وبين هؤلاء الحاقدين سوءا على سوء • فالخطأ لا يعالج بالخطأ ، ولكننا نضرب لهم المثل الصالح ونكون القدوة الحسنة حتى يدركوا جدوى سياستنا وفوائدها المحققة للامن العالمى ، والتعاون السلمى بين شعوب الدنيا •

جهودنا فى هيئة الأمم المتحدة

بذلت يوغوسلافيا جهودا موفقة ، برزت فى نشاط ممثليها فى هيئة الامم المتحدة خلال الفترة الماضية ، فقد دأبت بغير كلل ولا ملل على تحقيق رسالة هذه الهيئة ، واسباغ الصبغة العالمية عليها • كما أنها تزعمت المطالبة بانضمام كل الدول الى هذه الهيئة ما دام ميثاق الامم المتحدة يمنحها هذا الحق ، وبخاصة جمهورية الصين الشعبية التى تعتبر غيبتها عن هذه المنظمة سببا لتعويق أعمالها وعدم قيامها بوظائفها وأهدافها على الوجه الاكمل •

ولقد علقت يوغوسلافيا آمالا كبارا على هيئة الامم المتحدة ونسبت اليها القدرة الفائقة على تسوية المشاكل الدولية على أسس سلمية • ولطالما عارضت يوغوسلافيا كل محاولة للخروج ببعض المشاكل الدولية على نطاق هيئة الامم ما دام ميثاق الامم المتحدة يقضى بحل هذه المنازعات داخل هذا النطاق •

وعلى الرغم من المتاعب والعراقيل التى وضعتها بعض الدول الكبرى فى طريق هيئة الامم المتحدة ، فانها استطاعت آن تكون أداة لا غنى عنها لصون السلام العالمى ، وتحقيق التعاون الدولى •

وتقابل هذه العراقيل رغبة أكيدة من جانب الدول الوسطى ، والصغرى ، فى تقوية هذه الهيئة وتعظيم الدور الذى تقوم به على مسرح السياسة الدولية •

لقد بذلت يوغوسلافيا كل جهد مستطاع فى سبيل الحد من الصراع الحربى ، والوقوف فى وجه أى عدوان من أى نوع كان ٠

وقد حدث عقب العدوان على مصر أن طالب الوفد اليوغوسلافى بعقد جلسة استثنائية عاجلة لهيئة الامم المتحدة ، لاتخاذ قرار بالكف عن العدوان على هذه الدولة ٠

كما أن يوغوسلافيا طالبت الامم المتحدة بالعمل على تسوية مشكلة المجر تحقيقا للسلام فى أوروبا ، ورغبة فى أن يتمكن الشعب المجرى من تثبيت موقفه الداخلى ، وضمانا لتقدم هذه الدولة وتطورها فى جو من الامن والسلام ٠

أما من ناحية موضوع نزع السلاح ، فقد أبدت يوغوسلافيها رغبتها فى حل مشكلته وتقدمت باقتراحات عملية واقعية بهذا الصدد ٠

كما أن يوغوسلافيا قد ساهمت مع عدد كبير من أعضاء هيئة الامم فى دعم صندوق المساعدات المخصصة للدول المتخلفة ٠ وكان لهذا النشاط وقع أدبى كبير على بعض الدول أتى بخير النتائج فى سبيل تحقيق هذا المشروع ٠

وساهمت يوغوسلافيا بجهودها فى المنظمات الدولية والوكالات المتخصصة لهيئة الامم المتحدة ، مثل منظمة العمل الدولية ، ومؤسسة الصحة العالمية ، واليونسكو ، ولجنة الدانوب ، واتحاد قدامى المحاربين ، والاتحاد البرلمانى الدولى ، وغيرها من الهيئات والمؤسسات والمنظمات ٠

التأييد الشعبي لسياسة يوغوسلافيا

لم تغرب عن البال أهمية التأييد الشعبي للسياسة الخارجية . ولذلك ركزت عصبة الشيوعيين اليوغوسلافيين أعظم اهتمامها في الفترة بين مؤتمريها السادس والسابع لنشر الوعي الايديولوجي والسياسي بين أعضاء الحزب خاصة ، وبين جماهير الشعب عامة ، وعلى أوسع نطاق . وشرحت وجهة نظرها حيال الاحداث الدولية والسياسة الخارجية . وفي الجلسة الثانية للجمعية العمومية للجنة المركزية لرابطة شيوعيي يوغوسلافيا التي عقدت في يونيو سنة ١٩٥٣ تقرر ارسال خطاب مفتوح لكافة منظمات الرابطة شرحت فيه شتى الحوادث الدولية بجلاء واسهاب .

وقد روعي أن السياسة الخارجية ليوغوسلافيا يجب أن تكون تعبيرا عما يتطلع اليه الشعب اليوغوسلافي من ضمان للأمن والسلام وتوطيد لدعائم الاشتراكية السليمة . ولذلك عمدت رابطة الشيوعيين اليوغوسلافيين الى توجيه جماهير الشعب نحو ادراك هذه المبادىء والاشتراك كعناصر فعالة تعمل على تحقيق هذه السياسة .

وفي الفترة التي مضت بين المؤتمرين السادس والسابع توالى عقد اجتماعات التأم فيها شمل أعضاء رابطة الشيوعيين اليوغوسلافيين ، والاتحاد الاشتراكي لعمال يوغوسلافيا وغيرهما من المنظمات الشعبية .. وقد خصصت هذه الجلسات لشرح هذه المسائل ونشر الوعي الصحيح لحقيقة السياسة الخارجية التي رسمت خطوطها الرئيسية قيادة رابطة الشيوعيين اليوغوسلافيين ، والحكومة اليوغوسلافية .

العودة بالعلاقات الى مجراها الطبيعي مع الإتحاد السوفييتي والديمقراطيات الشعبية الشرقية الأخرى

تعتبر العودة بالعلاقات الى مجراها الطبيعى ، وتحسينها بين يوغوسلافيا وبين الاتحاد السوفييتى ، والديمقراطيات الشعبية الاخرى ، من الاحداث الكبرى ذات الدلالات البالغة الاهمية التى طرأت على سياستنا الخارجية منذ سنة ١٩٤٨ ·

لقد كانت هذه الفترة مفعمة بالتجارب ، والاضطرابات التى مرت بها عصبة الشيوعيين اليوغوسلافيين بل والامة جمعاء ·

ولقد بدأت نقطة التحول فى هذه العلاقات عقب وصول الوفد السوفييتى برياسة الرفيق خروتشيف ، وبعد صدور تصريح بيوغراد المعروف فى سنة ١٩٥٥ ·

وكان طبيعيا أن يصدر مثل هذا الاستهلال عن الزعماء السوفييت بعد التغيير الذى طرأ على مسلكهم عقب وفاة ستالين ، الذى أضرت سياسته الخارجية بالاتحاد السوفييتى ، ونخص بالذكر سياسة الضغط والارهاب التى كان يفرضها على يوغوسلافيا ·

وليس لنا اليوم أن نحلل كل العوامل التى أدت الى التعديلات الجوهرية التى طرأت على النظم الداخلية للاتحاد السوفيتى والتى انعكست آثارها على سياسته الخارجية ، وبخاصة تلك المبادىء التى أكدها تصريحا بيوغراد وموسكو ، واعتبرت قواعد تنظم العلاقات بين

الدول الاشتراكية خاصة وسائر الدول عامة ، والتى نوقشت فى المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى السوفييتى •

كان لهذا المؤتمر أهميته العظمى ، نظرا لما أسفر عنه من توطيد لدعائم الثقة العالمية فى الاتحاد السوفييتى ، والدور الرئيسى الذى يلعبه على مسرح السياسة الدولية ، ونظرا للجرأة التى اتسمت بها التقارير الداخلية التى ناقشها المؤتمر بخصوص عبادة الاشخاص ، وأخطاء ستالين •

والواقع أن المسلك الخاطىء الذى اتخذه ستالين حيال يوغوسلافيا، والوسائل غير العادية التى اتبعت فى الضغط عليها قد سببا نتائج خطيرة كان لها أسوأ الاثر على العلاقات بين الاتحاد السوفيتى ويوغوسلافيا بصفة عامة ، وعلى الحركة الدولية للعمال بصفة خاصة •

ففى هذه الفترة ابتليت الحركة الدولية للعمال بضعف شديد ، وأصيبت بأضرار جسيمة • ولم تكن يوغوسلافيا هى السبب فى ذلك كما يحلو لبعض الناس أن يزعموا • ولكن السبب الحقيقى كان هو عدم وجود خطة دقيقة مرسومة تسير عليها العلاقات الصحيحة السليمة بين الدول والاحزاب الاشتراكية بصفة عامة ، وبسبب التدخل على نطاق واسع فى الشئون الداخلية للبلاد ، والاحزاب الاشتراكية الاخرى • ولقد قوبل هذا التدخل السافر بالمقاومة من حزبنا الشيوعى خاصة ، ومن الشعب اليوغوسلافى عامة • اذ أنه يخالف المبادىء الاشتراكية مخالفة صريحة • وكانت هذه المقاومة أمرا بالغ الاهمية بالنسبة لبلادنا ، وبالنسبة للحركة العمالية فى كافة أنحاء العالم •

وقد استطاعت عصبة الشيوعيين اليوغوسلافيين أن تبرهن على أنه يمكن فى أعصب الاوقات وفى أسوأ الظروف وبدون الخروج على المبادىء الاساسية لماركس ولينين أن تتخذ كافة القوى الوطنية ، وتعمل على تحقيق الاهداف الاشتراكية اذا ما اتبعت سياسة تعمل على جلب الخير والنفع لبلادها وشعبها وتحقيق التقدم والرخاء للعالم أجمع •

كانت الحرب العالمية الثانية نكبة فادحة فتكت بالناس فتكا ذريعا ، والحقت الدمار والفناء بثرواتهم ومواردهم المادية ولا يزال العالم الى الآن يعانى الكثير من ويلاتها وأوضارها • وعلى الرغم من كل ذلك ، فان نتائجها لم تكن وفق رغبات مشعلى نارها ، ولا طبق أهواء مضرمى أوارها • اذ طرأت على العالم تغييرات هائلة لم يكن تجار الحروب يتوقعونها أو يريدونها • فقد ظهرت فى أوروبا الشرقية وآسيا مجموعة من الدول التى تطبق نظما اشتراكية حديثة • وحاشا أن نزعم أن الحرب عامل نافع يحفز على تنشيط التطورات الاشتراكية فى العالم • فالواقع أن الحرب هى أفظع كارثة يمكن أن تحل بالجنس البشرى • ولن يشفع لها بأية حال من الاحوال ما عاد على المبادىء الاشتراكية بسببها من ذيوع وانتشار • ولقد حرصنا على توكيد هذا المعنى ، نظرا لان بعض الناس يظنون أن الحرب هى الطريقة المثلى لحل مشاكل الاشتراكية • كما يرى البعض الآخر أن القتال هو الوسيلة الوحيدة لبلوغ شتى المآرب وتحقيق الاهداف المختلفة • ومثل هذا الرأى لا يكفى فى وصفه أحد يقال انه سوء ادراك ، أو أنه وهم خاطىء ، بل هو فى الواقع تصور سقيم ضار •

ولكن لا مفر من مجابهة الامر الواقع ، فان ظهور مجموعة من الدول الاشتراكية قد خلق مشكلات جديدة ، من أبرزها تنظيم العلاقات بين هذه الدول • وقد غابت هذه المسائل عن بال ستالين وبعض أتباعه الذين كانوا يدينون له بالطاعة العمياء • وكانت وجهة نظرهم الى هذه العلاقات تنطوى على مغالطات صريحة ، فلم ينظروا بعين الاعتبار للظروف الخاصة المحيطة بكل دولة وتطوراتها التاريخية وتراثها من عقائد وتقاليد • وكانت العقيدة السائدة هى أن الاشتراكية سلعة مستوردة يمكن تصديرها الى كافة الانحاء بشكل موحد ، ونظام ثابت ، وان الوسيلة الوحيدة لنشرها هى فرضها

فرضا على البلاد الاخرى • وكان لهذه الخطة نتائج سيئة أدت الى تعويق الاشتراكية ، والحركة العمالية •

انتهى هذا الصراع بين يوغوسلافيا والاتحاد السوفيتى فى سنة ١٩٤٨ • وأعقبه حدوث أزمة اقتصادية فى بولونيا بسبب تصرفات نفر معين من الموظفين الرسميين • كما أن هذه التصرفات تسببت فى وقوع الاحداث الخطيرة التى قامت بها بعض العناصر الرجعية فى المجر بقصد قلب نظام الحكم • ومن الحقائق التى لا يمكن انكارها ان الرجعية المحلية والعالمية استطاعت استغلال هذه الازمة لصالحها • وليس للاشتراكيين الا ن يلوموا أنفسهم • اذ أن تصرفاتهم هى التى أدت الى وجود العناصر الرجعية فى بلادهم • وليس من الحكمة فى شىء اننا عند ما نحاول تقييم هذه الاحداث وننظر الى النتائج ونهمل الاسباب • فان هذا مما يزيد الامور تعقيدا ، ويمنع صحة الحكم على الاشياء • والواقع أن هذه الاحداث الخطيرة التى وقعت فى بلاد اشتراكية وثيقة الصلة بنا تعطينا درسا نافعا ، يجب أن يظل عالقا بأذهاننا ، ماثلا أمام بصائرنا •

عادت الثقة المتبادلة والتعاون المشترك بين يوغوسلافيا والاتحاد السوفيتى الى أحوالهما الطبيعية بعد زيارة الوفد السوفييتى ليوغوسلافيا فى سنة ١٥٥ وزيارة الوفد اليوغوسلافى لموسكو فى سنة ١٩٥٦ ، وبعد المحادثات التى تمت فى هاتين المناسبتين ، ونشر التصريحات المعروفة التى انبنت عليهما •

وعادت الغيوم تتجمع فى سماء علاقاتنا مرة أخرى ، بسبب الاحداث التى وقعت فى المجر ، وأدت الى تحرج الموقف ثانية بيننا وبين الاتحاد السوفيتى • ولكن أمكن تصفية هذا الموقف بعد المحادثات التى تمت مع زعماء السوفييت فى رومانيا فى أغسطس سنة ١٩٥٧ • وقد استطعنا

فى هذه المناسبة أن نزيل كثيرا من سوء التفاهم ، ولم يبق الا موانع طفيفة تحول دون وصول التعاون بيننا الى أقصاه ، وبلوغ صداقتنا ذروتها • كل هذه الخلافات كانت أعراضا زائلة أصبحت فى حكم التاريخ • أما جوهر العلاقة بيننا فهو الثقة ، وحسن التفاهم ، والاحترام المتبادل للشئون والتطورات الداخلية لكل من دولتينا • وبقية المبادىء التى أقرها تصريح بيوغراد الذى يعتبر نتيجة للجهود المشتركة ، التى بذلت فى سبيل محو آثار الظروف غير الطبيعية التى ألمت بالعلاقات بين البلدين ، واعادة ارساء قواعدها على أسس جديدة سليمة ، وتم توقيع اتفاقات تجارية على نطاق واسع • فبلغت قيمة الانشاءات الصناعية التى تم التعاقد عليها مائة وعشرة ملايين من الدولارات ، وبلغ رصيد التبادل التجارى بين البلدين خمسة وأربعين مليونا من الدولارات ، كما تم الاتفاق على التعاون العلمى والفنى ، وعلى قرض يبلغ ثلاثين مليونا من الدولارات بالعملات الذهبية والاجنبية • يضاف الى ذلك توقيع اتفاقية ثقافية تؤدى الى اتساع نطاق التعاون العلمى • كما تم الاتفاق على انشاء مصنع للالومنيوم ، وآخر للمخصبات • وكل هذه الدلائل تشير الى أن العلاقات الودية أدت الى تعاون وثيق فى الميدان الاقتصادى ، عاد على كل من الطرفين بفوائد كثيرة ومنافع جمة •

وعلى هذا النسق تحسنت العلاقات ، وازداد التعاون بين يوغوسلافيا ورومانيا ، منذ زيارة الوفد الحزبى والرسمى اليوغوسلافى لرومانيا ، وزيارة وفد رومانيا لنا ، وما أعقب تلك الزيارة من صدور التصريح الخاص بها • والذى يعتبر بالاضافة الى تصريحى موسكو وبيوغراد أسباسا للعلاقات الحسنة والتعاون المشترك •

وتربطنا ببولونيا روابط الصداقة التى ردد صداها التصريح

المشترك الذى صدر أثناء زيارة الوفد البولونى ليوغوسلافيا فى سنة ١٩٥٧ بعد المحادثات التى سادها التفاهم المشترك ، واتفاق وجهات النظر حيال المسائل الرئيسية ، والسياسة الخارجية •

وبدت العلاقات بيننا وبين المجر فى التحسن بعد انتهاء الاضطرابات الاخيرة التى حدثت فى هذه البلاد • ويقوم التعاون بيننا وبينها فى النواحى الاقتصادية ، والثقافية ، والسياسية •

أما العلاقات الاقتصادية بيننا وبين تشيكوسلوفاكيا ، وبلغاريا ، فانها سائرة فى مجراها الطبيعى • أما العلاقات الثقافية ، والسياسية فاننا نتعشم أن تسير من حسن الى أحسن •

وعلاقتنا مع البانيا ليست على ما يرام ، ولا ذنب لنا فى ذلك ، لاننا لا نوافق على سوء العلاقات بين بلدين متجاورين •

وما يؤسف له ، أن بعض الرفاق من أهل هذه البلاد يظهرون عدم ثقتهم وسوء تقديرهم للتطورات الداخلية التى تحدث ببلادنا ، ويلقون الشبهات على النظم الاشتراكية المتبعة فيها • وانه يجب اتباع مسلك معين نحو يوغوسلافيا واتخاذ اجراءات بذاتها نحو اعادتها الى المعسكر الاشتراكى •

ومن العسير علينا أن نقر هذا النوع من قصر النظر الذى يفرض على بلادنا • فليست هذه هى الطريقة السليمة لرد الثقة ، وتحسين العلاقات فيما بين الاشتراكية • والاجدر بهؤلاء الرفاق أن يتركوا هذه الاساليب الملتوية التى لا تعود الا بالضرر على العلاقات بين بلادنا وبلادهم •

الحركة الدولية للعمال

اعترى الحركة العمالية فى العالم فى خلال الاعوام القليلة.من عهد ستالين كثير من الوهن • فوقفت عن النمو والازدهار • والسبب فى ذلك يرجع أولا الى السياسات غير المستقلة التى كانت تتبعها الاحزاب المختلفة التى تعودت قياداتها على تلقى وتطبيق التوجيهات من الخارج ، بصرف النظر عما اذا كانت هذه التوجيهات صـائبة أم لا بالنسـبة للبلد • وظل الامر كذلك حتى عقد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى السوفييتى • وكانت نتيجة هـذه السياسة الفشـل المتوالى لكفاح العمال ، مما أثر على القوى الاشتراكية فى العالم ، التى اعترتها أزمات متعاقبة •

ولا شك أن الضغط الذى وقع على يوغوسلافيا بعد عام ١٩٤٨ ، كان أقسى ضربة وجهت الى الطبقة العمالية لانهـا بعثت ـ لاول مرة بعد ثورة أكتوبر ـ الشكوك حول سلامة السياسة التى تتبعها بلد ، كان خلال هذه الفترة ، مشعل الحركة العمـالية الدوليـة • ولم يكن السلاح الثورى فى كفاح الطبقة العمـالية غير عادى مما دعى أعـداء الاشتراكية ـ أو الرجعية الدولية ـ الى استغلال الموقف الى أقصى حد •

لمـاذا لم نوقع تصريح الاثنى عشر ؟

ومن المهم بصفة خاصة ان الاشكال القـديمة للتعاون قد استبعدت بالتدريج ، وان العلاقات الثنائية قد حلت محلها ، ولا يعنى ذلك بأى حال ضعف العالم الاشتراكى ، أو ضعف وحدته ، وفاعليتـه ، بل

النقيض على وجه التحقيق ، اذ يتيح ذلك تجنيد كل قوى الاشتراكية، ويتيح ظهور أشكال جديدة وتجارب عديدة ، لخدمة الاشتراكية ، لان هناك تحرر فى الافكار المبتكرة ، التى كانت تعوقها طرق التعاون المتبعة سابقا • وبسبب هذا الاتجاه الذى نتبعه فى تعاوننا بين الاحزاب الشيوعية والحركات التقدمية فى العالم بصفة عامة - لم يكن فى استطاعتنا توقيع التصريح الذى أصدرته فى موسكو الاحزاب الشيوعية والعمالية الاثنى عشر فى البلاد الاشتراكية •

وكان لاتحاد العمال فى يوغوسلافيا أثرا كبيرا فى ازدياد التعاون على مستوى واسع مع الحركات الاشتراكية والتقدمية فى العالم ، وكان هذا التعاون ذا مغزى خاص بالنسبة ليوغوسلافيا فى الوقت الذى عزلت فيه بعد عام ١٩٤٨ •

وكان من الطبيعى أن يصطدم هذا التعاون من وقت لآخر ، بصعوبات ذات طابع شخصى ، مثل الحملة القوية التى شنها أخيرا ضد بلادنا قادة بعض الاحزاب الشيوعية ، وبخاصة بعض أعضاء حزب العمال البريطانى ، بمناسبة محاكمة الخائن المرتد جيلاس ، وأربعة من المتعاونين سابقا مع العدو ، ثم بمناسبة اعادة العلاقات مع الاتحاد السوفييتى الى حالتها الطبيعية • الخ •• وهكذا وجدت تلك الدوائر نفسها وقد اتبعت نفس المنهاج الذى تنسلكه أشد العناصر رجعية فى العالم الرأسمالى •

على أن مثل هذه الحملة لا ينبغى أن تحول دون مواصلة علاقاتنا بتلك الحركات العمالية ، لان لا ذنب للكتل العمالية فيها ، وانما هى صدرت عن بعض الرأسماليين ، والصحفيين ، الذين لا شأن لتلك الكتل بهم • ولا ينبغى أن نلقى بالا لهذه الحملة ، لاننا نعرف انها لم تصدر عن خلق شريف ، ولكنها جزء لا يتجزأ من الكفاح العام ضد البلاد الاشتراكية •

ويمكن أن نفهم الى حد ما حنق بعض القادة الاشتراكيين والعماليين اذا تذكرنا أنهم منذ اقامة العـلاقات مع بلادنا ، كانوا يأملون شيئا آخر ، الى جانب التعاون ، خاصا ببعض المشاكل ذات المصلحة العامة ، كانوا يأملون القضاء على وحدتنا بمساعدة بعض الادنياء ، وأن يدخلوا الى بلادنا نظام تعدد الاحزاب ، على الطريقة الغربية ، مع كل العناصر الكفيلة باعادة الرأسمالية • ولكنهم فشلوا ، وكان فشلهم هو سبب حملة الشتائم والحقد التى شنوها ضد بلادنا •

كان لابد للبلاد بعد الثورة اليوغوسلافية من حكومة مركزية حازمة، على أن الضمير الاشتراكى قد قوى وعم ، مما يجعل من واجب الشيوعيين الآن أن يتركوا جانبا طرق الامر والنهى ، وأن ينصرفوا الى حل مشاكل التعليم والادارة العملية •

فليست مهمة الشيوعيين اليوم بأقل أهمية من تبعاتهم فى البداية الاولى للبناء عقب الحرب • ولقد كانت العناصر الرجعية والفوضوية تهدف من استغلال قصة « جيلاس » الى تصـفية دور الشيوعيـين ، وتصفية الحزب ، كقوة قيادية منظمة ، ومن الواضـح اليوم أنه كان معضدا من بعض الدوائر فى الخارج ، وبالاتفاق معهم • فقد كان يعمل لاعادة نظام تعدد الاحزاب والرأسمالية • ولا يمكن أن تولد هذه الفكرة الا فى ذهن رجل مرتش ، أو غير سليم العقل ، كما لا يمكن البتة أن تولد فى ذهن شخص يعرف الحقائق • ويدل النجاح الهائل الذى تحقق فى الاعوام القليلة الماضية ، فى ميادين الصـناعة والزراعة ، وميادين البناء الاشتراكى الاخرى منذ أن شق الشيوعيون طريقهم ، وتمكنوا من القيام بتبعاتهم • يدل كل ذلك على أن دور الشيوعيين فى البناء الاشتراكى كان دورا عظيما حاسما •

واذا كانت الطبقة المعادية للاشتراكية فى الداخل قـد هزمت ،

وفقدت قواعدها الاقتصادية والسياسية ، فانه لا ينبغي التقليل من أهمية نشاطها عندما تحين الفرصة ، ذلك لان أعداء الاشتراكية فى الغرب يبذلون قصارى جهودهم لتدعيم هذه العناصر الداخلية المعادية ، بغية توريط البناء الاشتراكى فى يوغوسلافيا أمام أنظار العالم ، وهم لا يقيمون وزنا ، أو حسابا للوسائل ، أو الاشخاص الذين يستخدمونهم فى صراعهم ضد يوغوسلافيا الجديدة •

ولا بد لنا من الاشارة الى الضجة التى قامت فى الغرب حول جيلاس، وكريكتش ، وغيرهم ، فقد كتب هؤلاء الخونة - بوحى من الخارج ، وفى سبيل ذهب يهوذا - نشرات ضد الاشتراكية وضد الواقع فى يوغوسلافيا ، وقد هرب أحد هذه الكتب الى الخارج ، وأعيد طبعه بعدة لغات ، وصورته الصحافة الصفراء فى الغرب على أنه ادانة للشيوعية • ومن الاسف أن بعض التقدميين فى الخارج انساقوا فى تيار هذه الدعاية دون أن يسألوا أنفسهم ما هو رأى المواطنين اليوغوسلافيين فى الخونة أمثال جيلاس وغيره • فقد كان هدف أعداء الاشتراكية فى الغرب هو القضاء على سمعة يوغوسلافيا فى الحقل الدولى ، لان الدور الذى تلعبه يوغوسلافيا اليوم كبلد اشتراكى مستقل يسبب لهم الازعاج •

وكان هذا التدخل الاجنبى المشين فى حياتنا الداخلية يهدف لتفتيت وحدة شعوبنا • ولكن سرعان ما اكتشف الطاعون الداخلى بفضل يقظة الشيوعيين ، وكل الطبقات العامة ، ومنع الحاق الضرر بمجتمعنا •

على من تقع مسئولية التوتر الدولي

يعيش العالم الآن فى جو من القلق الذى يبعثه الحديث الدائم عن الحرب والسلام بصورة لم يشهدها من قبل ، وفى نفس الوقت هناك من وسائل التدمير المختزنة كميات وأنواع لم يعرف مثلها التاريخ . ولذلك فانى لا أستطيع أن أفهم كيف يفكر بعض من يشغلون مناصب مسئولة فى السياسة، بل كيف يتخذون الاجراءات فعلا لحل المنازعات الدولية بالقوة ، أى بالحرب ، دون أن يسائلوا أنفسهم : ماذا تجر هذه الحرب على العالم ؟..

واذا وضعنا فى الاعتبار تلك الظروف التى قد تكتنف الحرب العالمية الثالثة ، تلك الحرب التى ستستعمل فيها أدوات الدمار التى يتناثر التهديد بها الآن ، اذا راعينا هذه الظروف فان من المتوقع أن تعارض الشعوب التى قد يفكر قادتها فى العدوان ارادة هؤلاء القادة أنفسهم ، ولن تسمح هذه الشعوب أن يشملها التدمير والتحطيم نتيجة لعدم تعقل هؤلاء القادة . بل لقد تلجأ هذه الشعوب الى أى اجراء محتمل لكى تمنع هؤلاء القادة من ارتكاب جريمتهم . ذلك لان حربين عالميتين قد انتهتا على غير ما كان يهدف اليه من أشعلوهما .

وليس أمام العالم ازاء هذا التقدم العلمى الا طريقان .. أولهما تعقبه السعادة والرفاهية .. والثانى يقود الى الدمار ، وان المسئولية الكاملة اليوم لتقع على عاتق أولئك الذين يتولون قيادة العالم ، ومن واجبهم ازاء شعوبهم وازاء التاريخ أن يتخيروا الطريق الأول ..

والتوتر الدولى ليس حدثا جديدا ، ولكنه يمتد بجذوره الى الاجتماعات التى عقدها الكبار فى يالتا وطهران وغيرها قبل أن تنتهى الحرب الأخيرة • وتبعا لتفكير هؤلاء الكبار انقسم العالم الى ثلاث قوى كبيرة ، ودأبت هذه القوى الكبيرة على أن تنظر الى الدول الأخرى كأنها مكلفة برعايتها ، متجاهلة رغبات هذه الدول ومطالبها •

وها نحن نرى الآن أن كثيرا من دول الغرب تتشدق بالحديث عن الاستقلال ، بينما هى تمارس صورة من الحياة السياسية تناقض هذا الاستقلال •• وهذا التناقض لا يحول بينهم وبين اتهام المعسكر الآخر بالاعتداء على مبادىء الاستقلال •

وفى رأيى أن مبدأ استقلال الدول وسيادتها اذا لم يراع بكل دقة وخاصة من الدول الكبرى فان الصراع الدائر الآن لن يهدأ أبدا •

وقد شعرت كثير من الدوائر الغربية بعدم الارتياح بعد الحرب ، لان الأمور لم تجر كما يشتهون • فقد قامت أنواع جديدة من الحكومات على أنقاض الفاشية والرجعية ، وهى حكومات ، يمكن اذا غضضنا النظر عن بعض مظاهر الضعف الطارئة التى تعانيها ، أن نلاحظ أنها تتطور نحو الاشتراكية ، ذلك الأمل الذى ترى فيه الشعوب فرصة للحصول على حياة أفضل وتطور منظم سلمى •

وأبعد من ذلك ، فان جذور هذا التوتر الدولى تمتد الى أيام ستالين وسياسته الخارجية الخاطئة•• والى تشدد مولوتوف وصلابته ، فهذان السياسيان قد خلقا برفضهما لمبدأ التقارب وبمواقفهما العدوانية فى السياسة الدولية جوا من عدم الثقة المشوب بالقلق اصطبغت به نظرة العالم الى نوايا الاتحاد السوفيتى •

وقد وجه ستالين فى حياته كثيرا من التهديدات باستعمال القوة • ولكن هذه التهديدات قد انتجت أثرا عكسيا فى الدول التى وجهت اليها •

وان ما تم فى يوغوسلافيا لهو أصدق مثال على ما أقول • فقد استعمل ستالين ضدها كل وسائل القهر والتضييق، وكانت النتيجة أن قوى مركز يوغوسلافيا بينما خسر الاتحاد السوفيتى مكانته التى استمدها من تضحيات أبنائه وشبابه فى الحرب العالمية الثانية •

وها قد مرت أربعة أعوام على وفاة ستالين ، ومع ذلك فان جو عدم الثقة الذى كان يزدهر فى الدوائر الغربية ما زال كما هو ، وربما كان قد زاد حدة ، وهذا رغم الجهود التى تبذلها القيادة الجديدة لاصلاح أخطاء ستالين •

وانى لأتساءل لماذا تقابل كل جهود القادة الجدد فى الاتحاد السوفيتى بالشك وعدم الثقة •• وانى أيضا أؤكد انه قد آن الأوان لكى ننظر الى هذه الجهود نظرة واقعية منصفة • وقد آن الأوان كذلك لكى يبذل المعسكر الغربى بعض الجهود لكى يثبت نواياه الحسنة ، ولكى يوضح رغبته فى حل بعض المشاكل التى تسبب تهديدا دائما للسلام والتعاون الدولى ، ومن أهم هذه المشاكل مشكلة التسلح ووقف التجارب الذرية والهيدروجينية •

واذا كانت سياسة ستالين من عوامل اشعال الحرب الباردة فان السنوات القليلة الماضية قد أثبتت أن مسئولية التوتر الحالى فى الموقف الدولى تقع على كاهل بعض العناصر السياسية فى الغرب • وهم أولئك الذين يتشددون فى بعض المواقف ، ويصرون على أن كثيرا من أوجه الخلاف لا يمكن أن تحل الا بالحرب ، ولعلى لا أذيع سرا

اذا قلت ان الاصرار على اقامة القواعد العسكرية فى أوربا والشرق الأوسط وآسيا يخلق حالة من التهديد الدائم للسلام ، وذلك لان الجانب الآخر يجيب على هذه الحالة من القلق وعدم الثقة بمثلها ، فان قادة الاتحاد السوفيتى يدركون بلا شك ان هذا التطويق انما هو سمة عدوانية لعزل الاتحاد السوفيتى .

لقد دفع ستالين الغرب بسياسته العدوانية الى الشروع فى تكوين حلف الأطلنطى ، ذلك الحلف الذى ساهم فى توسيع شقة الخلاف وعدم الثقة بين الشرق والغرب ، وحين أصبح حلف الأطلنطى قويا فكر الاتحاد السوفيتى فى تكوين حلف « وارسو » لكى يكون قوة مضادة لحلف الأطلنطى .

فمن الواضح اذن أن حلف وارسو لم يكن ليبرم لو لم يقف حلف الأطلنطى . وسوف تنتهى مهمة هذا الحلف بلا شك اذا تمت تصفية حلف الأطلنطى .

كيف ندعم الثقة ؟

والسؤال حينئذ : ماذا يكون الحال بعد تصفية هذه الأحلاف التى لا تقتصر على كونها وسيلة للتوتر الدولى ، بل هى أيضا تهديد واضح بالحرب . والاجابة على ذلك بسيطة وواضحة .. فان اتفاقا للأمن الجماعى توقعه جميع هذه الدول لا بد أن يكون عاملا من عوامل دعم الثقة بين الجهات المتنازعة ووسيلة لحل المشاكل التى تواجه أوربا .

ومن أكبر المشاكل التى تسبب هذا التوتر المنذر بالخطر .. هذا السباق الجنونى للتسلح .. ويقود هذا السباق الجنس البشرى الى حالة خطيرة من خوف الحرب ، وانى لأتساءل : هل تستحق هذه

المشاكل التى لم تحل أن تنفق هذه المبالغ الطائلة على التسلح ، مع أن هذه المبالغ لو أنفقت على رفع مستوى معيشة البشر أو مساعدة الدول المتخلفة لعادت على العالم كله بالسعادة والرفاهية • ان جميع مشاكل العالم التى لم تحل لا تقوم مبررا لسفك الدماء والكوارث التى تهدد العالم •

أما مشكلة توحيد ألمانيا ، فانى أرى أن تترك هذه المشكلة لارادة الشعب الألمانى • ومن اللازم أن نتذرع بالصبر وننتظر الوقت • ان ألمانيا تعيش الآن منقسمة تحت ظل نظامين مختلفين •• وقد نتج هذا الانقسام عن ظروف الحرب وما بعدها •• أى أن هذا التقسيم قد تقرر حينما كان مصير العالم يقرر على أسس خاطئة •

والآن : ماذا نفعل ؟•• هل نحن مقدمون على ارتكاب أخطاء أكبر؟ هل نحن مقدمون على القاء العالم كله بسبب هذه المشكلة فى جحيم الكوارث والاخطار ؟ •• اذا تم هذا لكان خطأ فادحا ، وواجبنا الآن هو أن نتيح للألمان أنفسهم أن يتخيروا وضعهم الجديد •• حتى يمكنهم بعد ذلك الاتحاد فى ظل ألمانيا جديدة مسالمة وديموقراطية ، ويجب أن تتاح الامكانيات لتقارب عام بين شعبى ألمانيا الشرقية والغربية •• وانى لواثق أن ذلك لو تم فان الالمان سيجدون شكلا سياسيا لاتحادهم ، شكلا يوفق بين الفروق فى النظامين ، وذلك لان لديهم ــ رغم هذا الخلاف ــ كثيرا من الروابط التى لا تنفصم •

والميزة الاخرى لحل كهذا الذى أقترحه أن فيه أكبر ضمان لكى لا تتاح الفرصة لبعض القوى النازية الالمانية أن تقود العالم الى خطر الحرب من جديد •

أوقفوا هذه الحملات الضارة !

لقد قام نظام اشتراكي وديموقراطي جديد في دول شرق أوربا بعد الحرب ، وقد يكون هذا النظام معرضا لبعض مظاهر الضعف العارضة سواء في ناحيتيه الذاتية والموضوعية • ولكن هذا النظام رغم ذلك يتقدم بقوة محاولا أن يتغلب على هذه المظاهر، وهناك بعض المحاولات التي تبذل من الخارج لتعويق هذا النظام • ولكن هذه المحاولات ــ في رأيي ــ لن تعوق النظام نفسه أو تعرقل خطاه ، ولكنها ستعوق سيره نحو الديموقراطية •

ولذلك فاني أشعر أن الدعاية التي يقوم بها اللاجئون والفارون من دول أوربا الشرقية تساهم في زيادة حدة التوتر الدولي • لقد تبدد الأمل في العودة الى النظام القديم لان مثل محاولة كهذه هي كمحاولة ارجاع عقارب الساعة الى الوراء •

واني لا أشك انه من الفائدة للسلام العالمي وللتعاون الدولي أن توقف هذه الحملات من الدعاية الضارة التي توجه الى دول أوربا الشرقية بما فيها يوغوسلافيا •• كما اني أعتقد أن من العقل والحكمة أن نتقبل الأمور كما هي بينما نحاول بذل الجهود لاقامة علاقات طيبة بين الدول من شأنها أن تساعد الناس على أن يعيشوا بمنأى عن الخوف من أخطار المستقبل •

التعايش السلمي بين جميع الشعوب

ولن يفوتني أن هناك نظامين كبيرين يسودان العالم •• هما الاشتراكية والرأسمالية ، وان بين هذين النظامين وجوها من الاختلاف • ولكن الحرب ليست هي بأي حال التي تقرر أي النظامين



رسل السلام فى العالم : جمال عبد الناصر ، ونهرو وتيتو ، يرسون قواعد التعايش السلمى عند اجتماعهم الاول فى بريونى عام ١٩٥٦

سيقدر له النصر على الآخر ، لأن الحرب ربما خلقت مجتمعا ومصيرا آخر للجنس البشرى • وهناك مخرج واحـد هـو التعايش السلمى والايجابى بين جميع الدول والشعوب •

ولست أعنى بالتعايش الايجابى أن تترك الحرية لجميع الدول ذات النظم المختلفة لتمارس حياتها فحسب ، بل لا بد أن تتآزر كلها فى سبيل الخير العام ، وأن تحاول أن تحل مشكلاتها بطرق سلمية •• وبدلا من أن تحاول بعض الدول التدخل فى الشئون الداخلية لدول أخرى فان عليها أن تبادلها الخبرة ومنتجات التقدم العلمى فى سبيل رفع مستوى المعيشة • وهذا الطريق الى حل المشاكل ليس طريقـا خياليا ، بل هو اسـتجابة لحاجة عاجلة ملحـة ، وهو أيضا طريقنا الوحيد اذا أردنا أن ننقذ الجنس البشرى ،. وأن نخلق من العـلاقات الدولية ما يساعد العالم على أن يطمئن الى مصيره •

خطورة الموقف فى الشرق الاوسط

ولقد كنت أتوقع أن تعى الدول المعتـدية الدرس الذى تلقته فى الشرق الاوسط فى أكتوبر ١٩٥٦ • ولـكن الحوادث الاخـيرة تثبت أنها لم تدرك هذا الدرس بعد ، فان الموقف فى الشرق الأوسـط خطير ، وذلك لاتباع السياسة الخاطئة التى ترتكز على التدخـل فى الشئون الداخلية للعرب •

أيهما أصلح .. سياسة الكتل .. أم التعايش

امثلة من فشل الأحلاف فى الشرق والغرب

كان قيام منظمة حلف جنوب شرق آسيا لاحقا لمؤتمر جنيف ، والهدنة فى الهند الصينية ، كجهاز يضم بلاد هذه المنطقة فى وجه التهديد ـ المزعوم ـ بالاعتداء ، وبخاصة الانقلابى ، الهدام ، فى كل بلاد جنوب شرق آسيا • وهذا العدو الهدام هو الشيوعية الدولية ، التى أبهم تعريفها ، حتى باتت تطلق على كل الحركات التى تهدف الى تحقيق السيادة والاستقلال •

ولقد تأكد أن حلف جنوب شرق آسيا موجه ضد حركات التحرير القومى ، وضد الصين الشعبية بصفة خاصة ، كما وضح فى الدورة التى عقدت هذا العام ، ونوقش فيها الموقف فى « لاؤوس » ، ومشكلة العدد الكبير من الصينيين الذين يعيشون فى الخارج ، كما وجه اهتمام خاص بعدم الاعتراف بجمهورية الصين الشعبية ، والحيلولة دون توطد مركزها الدولى •

ومن العسير اعتبار حلف جنوب شرق آسيا ، حلفا اقليميا ، بالنسبة لتكوين أعضائه ، والمسافة الجغرافية بين البلاد المشتركة فيه ، كما أن نتائج نشاطه ، وبخاصة نشاط أعضائه الخاص ، ينبىء بالدور الذى يلعبه الحلف فى تفكيك الوحدة فى بلاد هذه المنطقة •

وكانت هناك أيضا محاولات لاستعمال هذا الحلف كوسيلة للضغط على البلاد التى لا تنوى الانضمام إليه • ولا أدل على النوايا الحقيقية

للحلف من تصريح زعماء الباكستان من أن منظمة الحلف يجب أيضا أن تناقش مشكلة كشمير ، وأن تعمل على حلها ، عن طريق اجراءات أعنف ، اذا لزم الامر ، وأن يجاز لهم استعمال الاسلحة التى تلقوها ضد الهند • وقد أثارت باكستان بموقفها هذا خصومة بعض أعضاء الحلف الآخرين ، المرتبطين بالهند عن طريق « الكومنولث » وكشف ذلك عن تناقض آخر داخل الحلف نفسه •

وثمة ظاهرة مماثلة فى تكوين الاحلاف الاخرى ، أظهرت قيمها الباطلة ، وأغراضها المدمرة • ففى خلال أزمة السويس ، أظهر حلف بغداد أن وجوده عبث ليس بعده عبث ، عندما عقد عدة اجتماعات تافهة فى غياب بعض أعضائه • ولم يستطع أعضاء هذا الحلف معارضة الاعضاء الآخرين بغير تحفظ ، ولا هم استطاعوا الافصاح عن مؤازرتهم لهم ، بغير تحرز ، وكان تصويتهم ضد الاعتداء للاستهلاك المحلى داخل العالم العربى • الامر الذى أثار حنق الرأى العام فى هذه البلاد ، ازاء موقف أعضاء الحلف من العدوان الخارجى • وقد أضعف الاعتداء من مركز الحلف المتزعزع ، فى الوقت الذى سدد فيه مشروع ايزنهاور ضربة أخرى لأعضاء الحلف •

وكذلك الحال مع حلف شمال الاطلنطى ، فان متناقضاته أصبحت معروفة الى حد أن مجلس هذه المنظمة ليس على استعداد لمناقشتها • ولم تنجح الدول الاعضاء فى استعمال الحلف لتحقيق نواياها كل على حدة ، كما لم ينجح الحلف فى التقليل من الخلافات الجدية بين وجهات النظر ، والتناقض بين أعضائه • وهكذا لم يستطع الحلف أن يثبت تماسكه خلال أزمة السويس ، ولا عند الاعتداء على مصر ، وربما تذرع المدافعون عن هذا الحلف بأن هذا ليس من واجبات الحلف ، وان مثل هذا التماسك هو خارج نطاق الاهداف العسكرية الرئيسية ، ولذلك لم يكن محل تفكير البتة • ولكنهم لا يستطيعون انكار حقيقة أسفر عنها خلاف أعضاء الحلف ــ فرادى ــ فقد كشف بجلاء عن نزاع ،

وخلافات أساسية ، جعلت الحلف منظمة غير واقعية ، بوضعها الحالى ، فان الاتجاهات لجعل الحلف يساير العلاقات المتغيرة فى العالم ، والالحاح القوى على معالجة المشاكل الاقتصادية والسياسية يفصح عن أن أعضاء الحلف مقتنعون بعدم جدواه على وضعه الحالى ·

وهناك مثل آخر ، أنقص وضوحا ، وأقل ذيوعا ، على خلاف وجهات النظر ، بين بلاد أوربا الشرقية ازاء حلف وارسو ·

وقد امتحن هذا الحلف أثناء أحداث المجر ، فلم يظهر قط كجهاز متناسب ·

ويمكن اتخاذ الاتفاقيات السوفيتية الجديدة مع تلك المنطقة لابقاء قوات سوفيتية فيها ، كدليل على الصعاب ، وتيارات المعارضة القائمة داخل الحلف · ولا سبيل الى القول بأن تباين العلاقات الاجتماعية فى هذه البلاد ، وفى البلاد الغربية يحول دون امكان مقارنة بعض الظواهر فيها ، فالواضح أن الظواهر فى كليهما هى نتيجة لقضايا متشابهة ، ان لم تكن ذات القضايا · ونعنى بذلك عدم وفاء الاحلاف العسكرية بأغراضها فى ظل الاتجاهات ، والحركات المعاصرة فى العالم بصفة عامة ·

ومن المبالغة فى القول توقع حل كل هذه التشكيلات · فليس من الواقعية فى شىء ، توقع تغييرات سريعة فى تقدم اتجاهات الكتل التى تظهر فى أشكال مختلفة من القلق والهياج داخل الاحلاف · وكل هذا هو منوال طويل الاجل يتوقف على اتجاهات العلاقات الدولية ، والتغييرات التى تحدث فى العالم تدريجيا · ومن ثم فان هذه الجهود ترمى الى ايجاد أشكال ملاءمة للواقعية فى نطاق الكتل القائمة لربطها بالحركات الجديدة · وعلى التحديد فان تلك القوى التى لا تشملها الكتل والاحلاف تؤثر تأثيرا قويا على هذه الاتجاهات · ولا بد أن يؤثر التعاون مع هذه القوى فى تمهيد الطرق لربط هذه الاشكال ، والنظم فى البلاد المختصة ·

على أن سياسة التعايش الفعال بمبادئها وجوهرها ، مضادة لفكرة التكتل ، ولذلك فقد بادرت البلاد التى تنتظم فى الكتل والتى لا تنوى انشاء كتلة خاصة بها ، الى قبولها كأساس لسياستها الخارجية •

وكل هذه الاتجاهات والتغييرات انما تمثل الآن فقط التطبيق العملى لمبدأ التعايش بين الدول ذات النظم السياسية ، والاجتماعية المختلفة • وليست هى مسألة نظامين يتعايشان ببساطة جنبا الى جنب ، على مبدأ قبول تقسيم العالم الى معسكرين متنافسين ، فان التعايش الفعال يقوم على افتراض عدم وجود شىء من هذا ، كنظام صاف ، ولكن اختلاط العناصر الجديدة مع القديمة ، يربط العالم كله ، وأنه من الممكن ايجاد حلول مناسبة للعلاقات المتبادلة ، وتأييدا عمليا للقوى التى تهدف الى النهوض ، والسلام فى العالم •

وقد أثبتت الحوادث المشئومة التى كانت ترمى لمناوأة سياسة التعايش خلال الاعوام الماضية ، فى وقت فسد فيه الجو الدولى ، عجزها عن الحيلولة دون تكرار هذه الحوادث ، كما أثبتت على وجه التحديد ان مبادىء التعايش الفعال هى التى كان لها نفوذ قوى فى وقت الازمات الكبيرة ، ومن الطبيعى أن ذلك النفوذ لم يكن يظهر بجلاء دائما ، ولكنه كان من وحى كل هؤلاء الذين فكروا فى تهدئة التوتر المنذر بخطر الحرب • وقد طرحت الدول المكافحة لوقف العدوان ، النزاع أمام هيئة الامم لمناقشتها وحلها بما يتفق والميثاق الذى نص على كل المبادىء الاساسية للتعايش الفعال •

وعلى ذلك فان سياسة التعايش الفعال قد أثرت باستمرار فى عقول وتصرفات كل الشعوب التى رأت فيها الحل الصحيح الوحيد ، لمواجهة خطر سياسة احتكار الكتل •

مشكلة الدول المتخلفة

برزت فى أعقاب الحرب العالمية الثانية مشكلة عالميــة ، ذات طابع اقتصادى واجتماعى ·· تلك هى مشكلة الدول المتخلفة · ولم يكن بروز هذه المشكلة، ولا الاهتمام بعلاجها كمشكلة جدية تواجه العالم، وليد الصدفة ، فان التقدم الاجتماعى فى الحرب العالمية الثانيــة ، والكفاح الطويل ضد الفاشستية ، والوعى التحررى بين الشعوب ، وما أدى اليه من حركات اجتماعية جماهيرية فى كل مكان ، واعلان الحرب على الاستعمار والفقر والاستغلال ، كل هذه العوامل جعلت الضمير العالمى ينتبه الى التفاوت الكبير فى توزيع اقتصاديات العالم· وكان من أثر ذلك انشاء منظمة هيئة الأمم ، ومهمتها الأساســية المحافظة على السلام فى العالم ، وبين أهدافها الهامة الاخرى تنظيم ومعاونة التقدم الاقتصادى فى كل المناطق المتخلفة فى العالم ·

ولقد كان من الحقائق التى أيقظت الرأى العام بعد الحرب الأخيرة تلك الاحصائيات المذهلة عن التفاوت فى توزيع الاقتصــاد العالمى ، العالم · ففى ســنة ١٩٤٩ كان الدخل السنوى للشخص الواحد فى البلاد المتقدمة جدا ٩١٥ دولارا ، فى حين لم يزد على ٥٤ دولارا فقط فى البلاد المتخلفة ·

وأدى هذا الفارق الشاسع الى انخفاض مستوى المعيشة ، أى نقص الغذاء ، ثم المرض ، والمجاعة لملايين الاشخاص فى بعض البلاد المتخلفة ·

ويبدو ذلك جليا من أقوال الخبراء الذين قرروا أن متوسط الغذاء اليومى للرجل المصح هو ٢٠٠٠ وحدة حرارية بينما لا يزيد متوسط غذاء الشخص الواحد فى كثير من البلاد على ١٤٠٠ وحدة حرارية ، وكذلك مستوى العمر فمتوسطه أكثر من ستين عاما فى البلاد المتقدمة، بينما لا يصل مستواه بالكاد الى ٣٠ عاما فى المناطق المتخلفة ٠

لماذا تاخر الحل ؟

هذه هى المشكلة ٠٠ أما انها لم تجد بعد حلا جديا ، فيرجع ذلك الى نفس العوامل التى خلقتها٠العوامل التى أعاقت من قبل تقدم الدول المتخلفة اليوم ٠ وأهم هذه العوامل بغير شك ـ سياسة الكتل التى كانت تعيق كل خطوة لحل مشاكل العالم بعد الحرب ٠ فنشبت الحرب الباردة ، وعاملت الدول الكبرى المناطق المتخلفة على أنها مناطق نفوذ خاصة لها ، وراحت تساوم عليها ٠ وتعامت عن المشكلة الحقيقية ، وهى التقدم الاقتصادى لهذه المناطق ٠ وكان للقوى الرجعية من الموارد المادية والنفوذ الاجتماعى الكبير ، ما جعلها تحافظ على مواقعها المتحكمة فى الاقتصاد ، فاستغلت كل هذه الامكانيات للحيلولة دون الاصلاح الاجتماعى الذى أصبح حاجة ملحة فى الظروف الحالية ، سواء فى بلادها ، أو فى المناطق الاقل تقدما ٠

هذه هى الأسباب الرئيسية لبقاء المشكلة بغير حل الى الآن ٠

ثروات مدفونة

ولا ينبغى أن نتغاضى عن الحقيقة المرة ، وهى وجود موارد طبيعية كبيرة لم تستغل فى البلاد المتخلفة ، وقوى عاملة كبيرة ، لاتجد الفرصة الكافية فى ظروفها الحالية للتقدم ٠ ففى عدد كبير من البلاد

المتخلفة ما زال الناس يعيشون فى بؤس كبير ، وعوز شديد ، بينما هم ينامون على ثروات مدفونة فى بطن الارض •

البلاد المتقدمة مسئولة عن التخلف

ومن الاتجاهات الخاطئة ، أو المغرضة ، فى العالم اليوم ، القاء اللوم على الشعوب المتخلفة ، وتحميلها أسباب تأخرها •

فان مجرد الدراسة السطحية لظروف هذه المناطق تبين على من يقع السبب •• فلعصور مضت كانت مصالح الدول الاستعمارية تتصارع فى المناطق المتخلفة ، الامر الذى أدى حتما الى خلق ظروف اقتصادية غير ملائمة • ولا تعوزنا الامثلة على أن الدول الاستعمارية لم تفعل شيئا ، ولم تبد أى حافز لتشجيع التقدم الصناعى فى المناطق الخاضعة لنفوذها ، بل انها على النقيض ، كانت تعمل على اعاقة ، ومنع مثل هذا التقدم • فلم يكن لتلك المناطق الخاضعة لها أى حق فى حماية صناعاتها الصغيرة بفرض رسوم جمركية ، أو اتخاذ أى اجراءات أخرى • وكان شحن الاسواق بالمنتجات الصناعية الزهيدة الثمن من البلاد المتقدمة يقضى على تجارة البلاد المتخلفة ، والصناعات اليدوية التى أزدهرت فى القرون الماضية •• وها نحن نرى أن الصناعات اليدوية ، ومختلف أنواع التجارة ، كانت أساس التقدم الصناعى فى البلاد التى تقدمت الآن •• ومثل هذه الصناعات الصغيرة ، ومحال التجارة المتواضعة ، كان يقضى عليها بغير شفقة فى البلاد غير المستقلة • وكان على أهالى المناطق الخاضعة الذين اتخذوا خطوات نحو النهوض بصناعاتهم ، أن يقاوموا ، ويتغلبوا أولا على منافسة البلاد المتقدمة عنهم أشواطا بعيدة •

وأدى ذلك الى اخراج شعوب البلاد المتخلفة من الحياة الاقتصادية ، واجبارها على الاشتغال فى ميادين أقل استثمارا ، كالزراعة ، وتربية الدواجن • واستخدام الفنيون الاجانب فى الصناعات التى تتطلب مهارة فنية ، واقتصر تشغيل الاهالى على الاعمال البسيطة ، ولم يفعل شيء لتدريب أهالى تلك المناطق ، ورفع مستواهم الفنى • فاذا أضفنا الى ذلك زيادة السكان فى أغلب البلاد المتخلفة بسرعة وهى ظروف لا توجب البتة لومها على تأخرها • بل ينبغى أن يوجه اللوم الى أولئك الذين أعاقوا تقدمها ،واستغلوا ثرواتها والملوم فى ذلك هى البلاد المتقدمة التى أنمت ثرواتها من استغلال المناطق المتخلفة • استغلال الموارد الطبيعية ، والعمال ذوى الاجور البخسة فى البلاد الخاضعة للنفوذ ، والارباح الباهظة من التجارة الخارجية مع تلك البلاد • تلك كانت فى الماضى موارد الثروة والقوة ، والسيطرة السياسية والعسكرية ، للدول المتقدمة الآن • وقد نمت ثرواتها بقدر زيادة البؤس ، والعوز فى المناطق الخاضعة للنفوذ •

المعونة ليست صدقة

ونخلص من هذا الى أن تفوق ونهضة البلاد المتقدمة التى يحكمها رأس المال ، وعقلية الاستعمار ، انما كان نتيجة لاعاقة التقدم فى المناطق الاخرى •

وعلى ذلك لا يمكن أن تفسر المعونة للبلاد المتخلفة على أنها اعانة خيرية ، بل هى التزام أدبى على البلاد المتقدمة وأهلها مجبرون على أداء هذا الواجب •

وقد تغيرت العلاقات فى العالم الآن ، وأحاقت بالاستعمار أزمة قاسية ، واستقل عدد كبير من البلاد بعد الحرب العالمية الثانية ،

وأصبحت أعضاء متكافئة فى المجتمع الدولى · وتنشر المقـاومة فى كل مكان لكل أنواع الاستعباد البشرى ، والاستغلال ، وتنبعث شـعلة هذه المقاومة من البلاد التى كانت مستعمرة الى وقت قريب ، فى الوقت الذى أصبحت شعوب البلاد المتقدمة على علم بظروف الحيـاة المعدمة لشعوب البلاد المتخلفة ·

وكل هذه العوامل تلح فى التعجيل بحل مشكلة البلاد المتخلفـة ، فاذا كان هناك احتمـال فى أن تؤثر معونة الدول المتخلفة فى الدول المتقدمة ، فتؤخر تقدمها مؤقتا ، فان آراء الخبراء أجمعت على أن التنظيم الدقيق كفيل بعلاج ذلك اذا أمعن النظر فى حل المشكلة ، واتبع نظام الحصص ، وستحقق النتـائج الطويلة المدى نجاحا عاما · فستتوفر امكانيات تحقيق الوحدة الاقتصادية للعالم ، ولا يمكن تحقيق النهضة الاقتصادية الكاملة ، الا اذا أتيح لاقتصاديات العالم أن تسير بتناسق كلى ·

أسباب وطابع التقدم من جانب واحد فى المناطق المتخلفة

أدى تقدم الرأسمالية ، وتوطيد العلاقات الاقتصادية الى الغاء عدة فروع اقتصادية فى تلك البلاد التى لم تقو على منافسة البلاد المتقدمة صناعيا ، وبالتالى الى الحد من النشاط الاقتصادى فى البلاد المتخلفة ، وكلما توغلت الرأسمالية فى تلك البلاد ، فاتحة الابواب لنهضة سريعة فى القوى المنتجة ، كلما كانت تضيق حلقـات النشـاط الصـناعى والانتاجى ، فى البلاد المتخلفة ، فى ظروف جد ضارة ومؤلمة · فاقتصر انتاج مناطق شاسعة على زراعة الشاى ، والقطن ، والبن ، والمطاط · ·· الخ ، بينما كانت صادرات البلاد تقتصر كلمـا نقص انتاجهـا ، وصـادراتها ، حتى كادت تنحصر فى الزراعـة ، وكلما كانت حركة

التخصص فى الصناعة تزداد فى البلاد المتقدمة ، على الزيت ، والصفيح والبن والشاى .

وكان التخصص فى الانتاج الفردى للمواد يتأثر فى بعض البلاد المتخلفة بعوامل طبيعية مختلفة (كان تناسب التربة نوعا من الزراعة ، ولا تصلح لبعض المواد الخام الخ) ولكن ينبغى ألا يغيب على البال أن العوامل السياسية كانت تلعب أيضا دورا هاما فى ذلك . وبخاصة فى المستعمرات ، والمناطق غير المستقلة . فقد كانت تلزم بجد الدولة المسيطرة عليها بأقصى ما يمكن توريده من منتجات معينة ، أو من مادة واحدة . وبالرغم من أن الفرص قد قلت كثيرا أمام الدول الاستعمارية بعد الحرب للتأثير المباشر على مثل هذه المناطق فان هناك أمثلة كثيرة على تمسكها بانتاج سلع معينة فى البلاد التابعة لها وراء البحار ، لكى تتجنب استيراد هذه البضائع من المناطق الاخرى التى تعاملها بالقطع . وبذلك اقتصرت صادرات كثير من البلاد على سلع قليلة ، وكثيرا ما تقتصر على سلعة واحدة ، ففى سنة ١٩٥٣ ، كان القطن يكون ٨٥ فى المائة من مجموع صادرات مصر . وكان صادرات الطباق والعنب تشكل ٥٩ فى المائة من مجموع صادرات اليونان سنة ١٩٥٥ . وكان النحاس والنيترات تكون نحو ٧٨ فى المائة من مجموع صادرات شيلى سنة ١٩٥٤ ، بينما كان السكر والطباق يكونان ٨٨ فى المائة من مجموع صادرات كوبا فى نفس العام . وكانت نسبة الجوت والقطن ٧٢ فى المائة من مجموع صادرات الباكستان سنة ١٩٥٥ . وفى نفس العام صدرت سيلان الشاى والجوز والمطاط بنسبة ٩١ فى المائة من مجموع صادراتها . وتدل احصائيات أوندونيسيا على أن المطاط والنفط كانا يمثلان ٦٩ فى المائة من مجموع صادراتها فى سنة ١٩٥٥ ، وكان النفط وحده يستحوذ على ٩٤ فى المائة من صادرات فنزويلا سنة ١٩٥٥ ، و٩٢ فى المائة من مجموع

صادرات العراق ، و ٨٧ فى المـائة من مجموع صادرات السـعودية العربية ونحو ١٠٠ ٠/٠ من صادرات الكويت ٠

ويمكن ملاحظة تركيز أكبر من هذا على تصدير منتجات قليلة فى بلاد كثيرة ٠ ففى سنة ١٩٣٧ كانت صادرات القطن والصوف من سوريا تشكل ١٦ فى المـائة فزادت فى سنة ١٩٥٥ الى ٥١ فى المـائة من مجموع صادرات هذا البلد ٠ وفى سنة ١٩٣٧ كان الارز والقطن يمثلان ٤٤ فى المـائة من مجموع صادرات بورما ، فزادت فى سنة ١٩٥٤ الى ٨٤ ٠/٠
والموقف أكثر سوءا بالنسبة للبلاد الزراعية ، والمنتجـة للمواد الخام ، فعلاوة على تركيز صادراتها فى سلع معينـة ، فان تصـديرها يقتصر على أسواق معينة ٠ مثال ذلك صادرات بوليفيا سنة ١٩٥٥ ، فقد استأثر القصدير والرصاص ب ٨٣ فى المـائة من مجموع صادراتها وذهب ٦٠ فى المـائة من هذه الصادرات الى الولايات المتحدة وكندا ، و ٣٢ فى المـائة الى بريطانيا ٠

وبالرغم من تقدم بعض الدول المتخلفـة فى التصـنيع ، وتنويع المنتجات خلال الاعوام القليلة التى أعقبت الحرب ، فقد وضعت قواعد جديدة فى الخارج للحصول على النقد الاجنبى ٠٠ مثال ذلك أن التصنيع السريع فى البرازيل لم يقلل من أهمية البن للحصول على نقد أجنبى ٠ وما زال البن يستأثر بنسبة كبيرة من مجموع صادرات البرازيل ، بل ان هذه النسبة زادت عن بعض أعوام ما قبل الحرب ٠

(كانت ٣٤ فى المـائة سنة ١٩٣٧ وأصبحت ٦١ فى المـائة سـنة ١٩٥٤) ويرتبط التقدم الاقتصادى الداخلى بحركة صـادرات المواد المتخصصة التى رسمت لها الدول المتخلفة فى الاسواق الخـارجية ٠ وتؤثر شروط تسويقها تأثيرا كبيرا جدا على الحياة الاقتصـادية لهذه البلاد ، وبالتالى على امكان تحقيق برنامجها الاقتصادى ٠

شروط البدل التجارى وعدم استقرار أسواق المواد الخام

ليس من الضرورى القيام بدراسة خاصة عن مقدار الصادزات ، وأسعار البيع لسلع البلاد المتخلفة ، لملاحظة التقلب الكبير ، وعدم الاستقرار فى أسواق صادراتها من الزراعة والمواد الخام • بل ان العمليات الطويلة الامد وعمليات المصانع الفردية تدعو الى فحص تفصيلى • فبالرغم من ندورة وجود احصائيات عن حركة أسعار منتجات المواد الخام ، وعلاقتها بأسعار المواد الصناعية ، فهناك أرقام يمكن اعتماد صحتها ، ففيها دلالات واضحة عن الاتجاه الطويل الامد فى حركة أسعار الصادرات • والنتيجة التى يمكن الوصول اليها من هذه الارقام هى أن علاقة أسعار المواد الخام خلال الاعوام القليلة الماضية ، تنحدر بالنسبة لاسعار المنتجات الصناعية ـ مع بعض الاستثناءات •

وفى الاحصائيات التى جمعها خبراء هيئة الامم ونشرت فى كتاب عنوانه « النسبة بين أسعار الصادرات والواردات فى البلاد المتخلفة » عرض هام لحركة الاسعار ، والنسب بينها • وتبدأ هذه الاحصائيات من النصف الثانى للقرن الماضى ، وهى تقول بأن النسب بين أسعار المنتجات الاولى ، والبضائع الصناعية كانت ١٤٧ فى المدة من ١٨٧٦ ـ ١٨٨٠ ، فنزلت الى ١١٨ فى سنة ١٩٢٩ ، ثم الى ١٠٠ فى سنة ١٩٣٨ • وهذا التدهور فى الظروف التجارية فى البلاد الزراعية والمنتجة للمواد الخام حدث أعظم فى معاملات البدل مع بريطانيا • والنتيجة التى نستخلصها من بحث هذه الاحصائيات هى أن توطيد الاحتكار ، وزيادة المنافسة بين البلاد الصناعية المتقدمة ، أدى الى زيادة الضغط على أسعار المواد الخام •

ويقول خبراء هيئة الامم فى تقاريرهم ان البلاد الزراعية والمنتجة

للمواد الخام لم تكن لتستطيع أن تحصل لقاء منتجاتها من المواد الخام قبيل الحرب العالمية مباشرة ، على أكثر من ٦٠ فى المائة من السلع الصناعية بالمقارنة مع نهاية القرن الماضى .

وتدل الاحصائيات أيضا على أن نسب الاسعار ما زالت غير مجزية للبلاد المتخلفة ، اذا ما قورنت بنهاية القرن الماضى ، وقبيل الحرب العالمية الاولى . ولا بد للبلاد الزراعية والمنتجة للمواد الاولى أن تصدر اليوم كميات أكبر من المواد الخام لتتمكن من شراء نفس الكميات التى تشتريها من السلع الصناعية منذ عشرات السنين .

ويقول تقرير لسكرتيرية اتحاد القارة الامريكية عن سنة ١٩٥٠ : تتلقى أمريكا اللاتينية اليوم – لقاء صادراتها بنقص قدره ٥٦ فى المائة عما كانت تتلقاه منذ ٨٢ عاما مضت . أى أنها لو أرادت أن تشترى اليوم نفس المقادير التى كانت تشتريها منذ ٨٢ عاما مضت ، فعليها أن تزيد صادراتها الحالية بنسبة ٨٠ ٪ .

واقترنت شروط البدل الطويلة الاجل فى البلاد المتخلفة الى تقلب كبير فى أسعار الصادرات وكمياتها التى تتغير فى مدد قصيرة ، مما يؤدى الى تقلب كبير فى ايرادات الصادرات . ومن الطبيعى أن عدم استقرار سوق المواد الخام ، هو أحد الاسباب غير الملائمة التى تؤثر فى السوق . كما أنه أحد الاسباب الرئيسية التى تؤثر على استقرار النهضة الداخلية فى البلاد المتخلفة . ويأتينا المثل من شيلى ، التى ينقص دخل ضرائبها على صادرات النحاس بنحو ٤ مليون دولار ، اذا نزلت الاسعار فى الاسواق الخارجية سنتا أمريكيا واحدا .

وفى سنة ١٥٩٢ كان ميزان المدفوعات ضد مصر بمبلغ ٧١٫٣ مليون جنيه استرلينى ، وفسر ذلك بالنزول السريع فى أسعار القطن . ولا بد من التنبيه الى أن عدم استقرار الدخل فى البلاد المتخلفة ، لوحظ بصفة خاصة بعد الحرب العالمية الثانية ، حيث ساد تقلب الاسواق فى ذلك الوقت بصفة خاصة .

الإنسانية .... هى أساس الإشتراكية

الرجل .. أولا

يجب بناء المجتمع الاشتراكى للرجل ، ولسعادته ، وليس من أجل شيء معنوى . فاذا أسقطنا حساب الرجل ، ضاعت روح الاشتراكية . لان الاشتراكية يجب أن تعنى أولا ، وقبل كل شيء بتحسين العلاقات البشرية . والاساس فى الاشتراكية هو الانسانية .. وهذا مالا ينبغى نسيانه البتة .

ومن المحقق أن الاشتراكية قد غنمت فعلا ، حتى فى البلاد التى تسودها نظم الرأسمالية ، يعمل حساب للاشتراكية ، فان العناصر الاشتراكية تزداد رسوخا فى قلب المجتمع القديم . والاتجاهات نحو المجتمع الجديد تزداد قوة ، والمغانم المتعددة فى هذا الطريق فى زيادة مستمرة . واليوم يتم هذا الانتقال المحتوم من الرأسمالية الى الاشتراكية بطرق مختلفة ، وبأشكال عديدة أهمها اتباع سياسة تعاون دولية فعالة . وهى سياسة السلم . ومن المحقق أن يوغوسلافيا تشغل ــ من هذه الناحية ــ مكانا رفيعا ، وانها تلعب دورا بالغ الاهمية . والحقيقة أن كل سياستنا ــ الداخلية والخارجية ــ متأثرة بروح الدولية . وقد ساهمت يوغوسلافيا كثيرا فى اعلاء شأن الاشتراكية فى العالم ، وذلك بتطبيقها النظام الاشتراكى ، وبادخالها التقدم فى الديموقراطية الاشتراكية ، وبانشائها مجالس العمال ، وبعنايتها بالرجل » .

ولا نزاع فى أن سياسة التعاون الدولى الفعالة ، خارج الكتل ، تتفق مع ما يتطلبه سير الانسانية نحو الاشتراكية .

العلاقات الإجتماعية والإقتصادية فى عالم اليوم

الرأسمالية قبل الاحتكار

أصبحت الرأسمالية بأشكالها الكلاسيكية من آثار الماضي • وقد أستطاعت الرأسمالية في عصر المنافسة أن تنهض بالقوى المنتجة ، وأن ترتفع بمستواها الفنى ، فأحدثت ثورة صناعية فى عدد من البلاد ، وزادت تبعا لذلك كميات الانتاج ، ونشطت الاسواق الاهلية ، وأنشيء سوق عالمى • الا أن ذلك اقترن بالضغط على القوى المنتجة بمختلف الطرق ، مما زاد من تناقض النظام الرأسمالى ، وتولدت الحاجة الى تغيير فى النظام ، وبرزت الطبقة العمالية كعامل حاسم فى الموضوع ، وأصبحت العامود الفقرى للوعى الاشتراكى الذى يهدف الى تصفية الرأسمالية •

ولما كان الاستغلال هو القوة المحركة للانتاج الرأسمالى ، فقد أدت النهضة الصناعية الرأسمالية الى القضاء على صغار المنتجين ، وظهور الطبقة العمالية • ووقعت الملكية الرأسمالية لوسائل الانتاج ، بما صاحبها من فوضى اقتصادية ، فى صراع متزايد مع الطابع الاشتراكى للانتاج ، والحاجة العامة للمجتمع •

وصاحب تقدم الرأسمالية تكديس ثروات لا حد لها ، وتركيز لا نهاية له لرأس المال ، والقوى الاقتصادية ، والسياسية فى أيدى فئة قليلة من الرأسماليين ، ونشأ جيش كبير ، يتزايد مع الأيام ،

من البروليتاريا المستغلة ، فزادت المتناقضات الاساسية بين الطبقات ، وزادت تبعا لذلك حدة الصراع مع المجتمع الرأسمالى .

واقتصرت النهضة الصناعية ، فى عصر الرأسمال الحر ، على بلاد أوربا الغربية ، وعلى الولايات المتحدة الامريكية ، بينما اقتصرت الغالبية الساحقة فى البلاد الاخرى على انتاج المواد الخام واستعبدت البلاد المتقدمة فى الصناعة ، البلاد المنتجة للمواد الاولية ، وبذلك وضعت الاسس لسرعة تقدمها الصناعى ، وأعاقت تقدم بقية العالم .

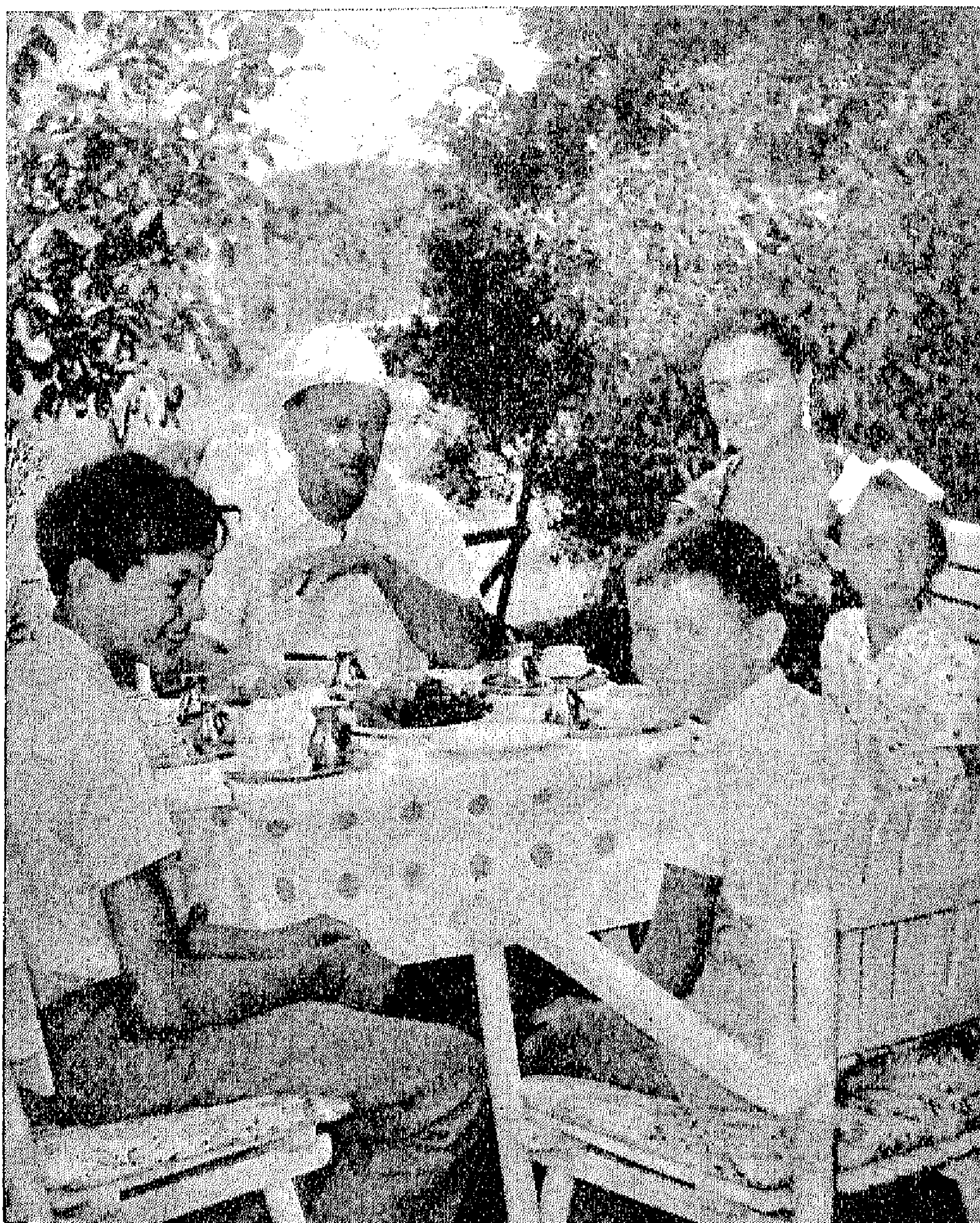
وعلى هذه الاسس ، وبهذه المتناقضات ، تقدم النظام الرأسمالى ، وشرح ماركس وانجلز ، القوانين الاساسية لهذا النظام ، وحللا تطوره تحليلا علميا ، وكشفا عن عوامل تدهوره

الرأسمالية الاحتكارية

ظهرت الرأسمالية الاحتكارية على مستوى أعلى من حيث تقدم القوى المنتجة للرأسمالية ، على أسس متناقضات الانتاج ، ومركزة رأس المال ، والوضع المتحكم لرأس المال الممول .

ونظمت الرأسمالية الاحتكارية ، الانتاج الاجتماعى على أسس أوسع ، وأعم ، فأدمجت المؤسسات المتشابهة الانتاج ، أو ذات الفروع الاقتصادية المختلفة ، وانتقل التخطيط مع التوسع فى تركيز ، ومركزة الانتاج ، من المؤسسات ، الى الاحتكارية ، ولمصلحتها ، فى الوقت الذى زادت فيه العلاقات الاقتصادية العالمية اشتباكا .

وكان طابع الرأسمالية الاحتكارية هو ادماج الاحتكاريات فى البلاد الرأسمالية المتقدمة ، وربط الاحتكاريات بعضها ببعض ،



الرئيس تيتو وقرينته يوفانكا يستضيفان بعض الاطفال

وسيادتها على اقتصاديات العالم ، ونفوذها الحاسم على سياسة العالم، والعلاقات الدولية • **وأدى دور الرأسمالية الاحتكارية المتسلط الى الاستعمار ، وهى آخر مراحل الرأســمالية** • وقد قام لينين بتحليل ماركسى لتطور الاستعمار فى نهاية القرن التاسع عشر ، وبداية القرن العشرين • ولم تقض التغييرات الكبيرة التى أدخلها نظـام الاحتكار فى الاقتصــاد ، وفى البنــاء الاجتماعى للرأســمالية ، على القوانين الاساسية ، ومتناقضات المجتمع الرأسمالى ، ولـكن هذه القوانين ، والمتناقضات اكتسبت فقط أشكالا جـديدة • وبدأ التنــافس بين الاحتكارات ، نفسها ، بينها وبين من يهدد مركزها • وزادت حدة هذا التنافس فى الحقل الدولى ، عن طريق الصراع من أجل الاسواق ، وموارد المواد الخام ، ومناطق النفوذ • وزاد ذلك من توسيع الهوة بين البلاد المتقدمة ، والبلاد المتخلفة •

وضاعفت الرأسمالية الاحتكارية من استغلال العمال ، وزادت من الضغط على الطبقة الوسطى من المجتمع ، وفى هــذه المرحـلة من الرأسمالية ، زاد اســتغلال الشــعوب الاخرى ، وبخاصــة فى المستعمرات ، واقترن بضغط شديد،وأصبحت الرأسمالية الاحتكارية عامود الرجعية السياسية ، فبذلت جهودها لمنع تقدم الحركة العمالية، والحركات التحريرية ، والقضاء على نفوذ الرأى العام الديموقراطى فى المجتمع • وعمدت القوات الشديدة الرجعية للرأسمالية الاحتـكارية فى البلاد ذات المتناقضات الداخلية ، والخارجية ، الحـادة ، الى خلق الفاشية ، وما شــابهها من أنواع الديكتاتوريات ، وربطت نفســها بالهيئات الشديدة الرجعية ، فى البلاد المتخلفــة ، للمحــافظة على وضعها من الحركات الثورية ، وحماية أوضاعها الدولية •

وأدى صراع الرأسمالية الاحتكارية لاعادة تقسيم مناطق نفوذها ، وبسطها ، وســيادة العالم والتحكم فيه ، الى حربين عالميتــين ، والى

هلاك البشر على نطاق واسع ، وافنـــاء ثروات اجتماعية ، ومادية ، وثقافية •

التغيير فى المجتمع الرأسمالى وتقوية القوى المعادية للرأسمالية

عززت المتناقضات الاقتصادية ، والســــياسية ، للرأســـمالية الاحتكارية ، والحروب الاســـتعمارية ، الصراع الثورى للعمـــال ، والطبقات العاملة ، فى البلاد الرأسمالية ، وكذلك الحركات الثورية ، والتحريرية ، فى المستعمرات ، والمناطق المرتبطة بالاستعمار ، أو التابعة له • وأدى ذلك الى ثورة أكتوبر ، والى الثورة الاشتراكية ، فى يوغوسلافيا ، وفى الصين ، وفى بعض البلاد الاخرى ، والى اقامة نظام اشتراكى فى بلاد أخرى ، والى تحرير كثير من المســـتعمرات ، والمناطق التابعة ، واستغلالها سياسيا •

وأدى التطور الاجتماعى ، والاقتصادى الجديد والاحداث السياسية فى عشرات السنين الاخيرة (ثورة أكتوبر ، وبعض الاحداث الكبيرة الاخرى مثل الازمات الاقتصادية الكبيرة ١٩٢٩ ـ ١٩٣٤ ، والحرب العالمية الثانية) والانتصارات الجديدة للقوى الاشتراكية فى عدد من البلاد ، وانحلال النظام الاستعمارى •• أدى كل هـــذا الى تغيـــيرات أخرى هامة فى المجتمـــع الرأســـمالى ، قوت فى معظم الحـــالات من الاتجاه الى رأســـمالية الدولة ، وكانت نتيجة تصرف عدة عوامل اجتماعية ، واقتصادية ، وسياسية •

وأدى انعدام المساواة فى التقدم الاقتصادى للمناطق المختلفة فى العالم الخاضعة للرأسمالية ، الى عرقلة موكب التقدم الاقتصادى العالمى كمجموع ، حتى فى البلاد المتقدمة اقتصاديا الى حد كبير • ولم يمكن التغلب على انعدام المساواة هذا فى العلاقات الرأسمالية السابقة بين

البلاد المتقدمة ، والبلاد المتخلفة • ومما كان تأثير كبير على التغيير فى انتاج النظام الرأسمالى نفسه ، الزيادة المضطردة ، والتنظيم المستمر ، للطبقة العمالية ، والثورات ، وحركات العصيان ، والتمرد. والكفاح الواعى للعمال ، ونشاطهم المتزايد فى ميادين السياسة ، والاقتصاد ، والاجتماع ، وازدياد نفوذهم ، واشتراكهم فى الحياة الاجتماعية •

وساعدت الثورة الاشتراكية ، والتقدم فى الاتحاد السوفيتى ، وفى عدد من البلاد الاخرى ، الى حد كبير،على تدعيم القوى الاشتراكية فى العالم ، سواء بتأثيرها على النظام الرأسمالى ، أو بخلقها آفاقا أحسن للطبقات العمالية ، وشعوب المستعمرات فى كفاحها ضد الاستعمار ، وفى سبيل تقدم اقتصادى واجتماعى ، أسرع ، على أسس اجتماعية جديدة •

وتطلبت الحرب العالمية الثانية من الاقتصاد الاهلى أقصى الجهد ، مما دعا الى تنظيم التقدم الاقتصادى على مستوى أهلى ، وادخال نظم واسعة ، كاملة ، وأثر ذلك أيضا فى تقدم الاتجاه الى نظام رأسمالية الدولة •

وأحدثت الانتصارات الجديدة للطبقة العمالية ، والقوى التقدمية الاخرى ، التى جاءت نتيجة للانتصار على الفاشية خلال الحرب العالمية الثانية ، تغييرات فى النظام الرأسمالى ، وضاعف من هذه التغييرات تقدم العلم ، و « التكنولوجيا » بعد الحرب •

وأدت حركات التحرير للشعوب المستعمرة والتابعة ، الى ظهور عدد من الدول الحديثة الاستقلال ، التى حرصت ، لكى تعزز استقلالها،

وتؤمن تقدمها الاقتصادى والاجتماعى ، على ألا تتبع فى تقدمها طريق الرأسمالية الكلاسيكى ، بل اتبعت ارشاد الدولة ، وادارتها للاقتصاد واقامة ملكية الدولة للوسائل الرئيسية للانتاج •

وعززت الرأسمالية الاحتكارية ـ التى تطورت الى نظام اقتصادى عالمى ـ من العلاقات غير المتساويه ، التى كانت قائمة بالفعل فى تقسيم العالم للعمل •

وقضت الرأسمالية على العلاقات الاجتماعية ، والاقتصادية ، التقليدية فى المستعمرات ، وادخلت علاقات الرأسمالية ، وبذلت قصارى جهدها لربط اقتصاد هذه البلاد، باقتصاد الدول الاستعمارية ربطا دائما •

وأحدث التقدم السريع للاقتصاد القومى للبلاد المتخلفة ، والتقدم الفائق لأشكال رأسمالية الدولة ، وعلاقاتها فى الاقتصاد ، تغييرا فى اقتصادياتها ، وبنائها الاجتماعى ، واثر ذلك فى اقتصاد البلاد المتقدمة صناعيا ، ومزقت علاقاتها مع الدول المتخلفة ، وبذلك زاد دور الدولة فى العلاقات الاقتصادية الدولية •

وبعد أن بسطت الدولة من ادارتها للحياة الاقتصادية فى البلاد ، وأخذت بمبدأ ملكية الدولة ، زادت من دورها فى تحديد أشكال التعاون الاقتصادى الدولى ، بتنظيم التجارة الدولية ، والتمويل الدولى ، وهذه هى احدى الخواص المميزة للعلاقات الدولية المعاصرة•

ولهذه الاسباب ، كانت اتجاهات رأسمالية الدولة ، من الظواهر الهامة للبلاد الرأسمالية المتقدمة ، وكذلك أغلب الدول المتخلفة ، ولو كانت على أشكال مغايرة ، وعن طريق القيام بواجبات أخرى •

وقد لجأت القوى القيادية فى المجتمع الرأسمالى ـ فىأجزاء متفرقة من العالم ـ لكى تقلل من المتناقضات الاجتماعية الداخلية ، وتطيل من حياة النظام الرأسمالى ، لجأت الى تعديل هذا النظام، بتأييد بعض الوظائف الاقتصادية ، واضعاف أسسها الرأسمالية ، وجعلها أقل مقاومة للكفاح المستمر الذى تقوم به الحركة العمالية ، والقوى التقدمية للانسانية ، فى أشكال مختلفة ٠

وبذلك أصبح وضع النظام الرأسمالى ، الذى لم يكن متماسكا ، مؤكد الانهيار من وجهات النظر الاقتصادية ، والاجتماعية ، والمذهبية ٠

زيادة دور الدولة فى تقدم اقتصاد المجتمع ونهوضه

تؤدى الضرورة الى تغيير ، واقامة ، العلاقات فى الانتاج، والتوزيع فى الرأسمالية ، عن طريق تدخل الدولة ، الى توطيد دور الدولة فى عملية ادارة ، وتقدم الحياة الاقتصادية للمجتمع ٠ وبهذا يزداد الاتجاه الى تدخل الدولة فى النشاط الاقتصادى للمجتمع ، مما يضطر الدولة الى اتخاذ اجراءات خاصة للرقابة على رأس المال الخاص ـ وهى اجراءات لا تمس ، فى الحقيقة ، صميم النظام الرأسمالى ، ولكنها تقيد جزئيا الادارة الخاصة للملكية الرأسمالية ٠

وتقوم الدولة بدور هام فى الاقتصاد ، باتخاذها اجراءات جديدة مختلفة ، للاعتمادات المالية ، وباستعمال نظام الضرائب ، لتنظيم الحياة الاقتصادية ، سواء عنطريق مباشر بتأميم كل فروع الصناعة، واستثمارات الدولة على مستوى كبير ـ أو عن طريق تقييد ادارة رأس المال الخاص ، ورقابة توزيع الارباح ، وادخال بعض عناصر

التخطيط الاقتصادى ، وغالبا ما يطبق مزيج مشترك من كل هـذه الاجراءات .

على أن دور الدولة يضعف أيضا فى حقل العمل ، وعلاقات الملكية، والحقوق الاجتماعية ، والخدمات ، والعلاقات الاجتماعية الاخرى ، كنتيجة للتقدم الداخلى ، والتغييرات فى النظام الرأسمالى ، والضغط الواعى المستمر للطبقات العمالية فى الظروف المعاصرة .

وبالرغم من ان اتجاه المنتجين لبسط نفوذهم على ادارات المصانع، وادارة الاقتصاد فى مجموعه ، ما زال فى مرحـلة اسـتهلالية من التقدم ، فانه يعنى امتداد الكفاح فى سبيل الحقوق الديموقراطيـة للشعوب العاملة ، والدور القيـادى للطبقات العماليـة فى الحيـاة الاجتماعية والاقتصادية. ويمثل دمج المنظمات الاقتصادية، الاقليمية، والعالمية ، التى تقوم به بعض الدول مباشرة ، شكلا جديدا للتعاون الاقتصادى ، يختلف عن النشاط السابق للاحتكاريات الخاصة فى هذا الميدان . كما انه يستعمل من جهـة أخرى كآلة جـديدة فى الكفاح لاقامة زعامة اقتصادية ، وسياسية ، للبـلاد الاكثر قوة ، وتقدما ، على البلاد الاضعف ، والاقل تقدما .

وبذلك تقوم الدولة البورجوازية بالوظائف الاقتصادية على ذلك المستوى من تقدم الرأسمالية، التى تصبح فيه علاقات الملكية الخاصة، ورأس المـال الخاص ، فى الانتاج ، ضيقة جدا ، للحد من توسع القوى المنتجة ، حيث لا يعجز المجتمع عن ايجاد مخلص من الازمات ، على أسس قواعد الرأسمالية القائمة ، لزيادة الانتـاج الاجتماعى ، أو لتقدم القوى المنتجة .

وتكشف هذه الاتجاهات عن جهود العناصر الرأسمالية لتنظيم نفسها ، اقتصاديا ، وسياسيا ، وفقا لمقتضيات تقدم القوى المنتجة، وللتغييرات الاجتماعية ، والسياسية ، لنفوذ الاشتراكية المتزايد فى العالم ، وللقوة الهائلة، والدور العظيم ، للطبقة العمالية فى المجتمع، وللابقاء على العناصر الاساسية للعلاقات الرأسمالية الاجتماعية ، وامتيازات البورجوازية •

وما زال ربط الاحتكارية بادارة الدولة مستمرا • وحصلت الدولة ، واجهزتها ، على قواعد استقلالها الاقتصادى ، التى قوت من الدور الاجتماعى الجديد لاجهزة الدولة ، وذلك بقيامها بوظائف اقتصادية هامة • وتهدف الدولة البورجوازية ، بجهازها الحكومى ، للحصول على وظائفها المستقلة الخاصة بها ، والسمو فوق المجتمع ، ولا تقتصر دور الطبقة العمالية الى أقصى حد ، بل تقيد أيضا دور رأس المال الخاص ، دون مساس ، بقواعد النظام الرأسمالى نفسه •

وفى هذه الظروف ، تبذل البورجوازية ــ وبخاصة طبقاتها العليا، جهودها للابقاء على الرقابة على كل أجهزة الدولة ، ورأسماليتها ، وزيادة هذه الرقابة الى أقصى الحدود لتجعل من نفسها دائما كالقوة السياسية القيادية ، وللمحافظة على علاقات الرأسمالية ، وامتيازات البورجوازية فى الداخل والخارج •

ولذلك تظهر الدوائر الرجعية البوريجوازية ، والرأسمالية الاحتكارية ، والبيروقراطية الحكومية ، ميلا لاستعمال الوسائل الفاشية ، وما شابهها من أضداد الديمقراطية للقضاء على الحركات الثورية والديمقراطية •

وترتبط البيروقراطية بالدور الذى تقوم به الدولة ، فكلما عظم

هـذا الدور ، وبسط نفوذه ، كلمـا ازدادت القوة الاقتصـادية ، والسياسية ، للبيروقراطية ، التى أقامت من نفسها عاملا اجتماعيا ، وسياسيا مستقلا الى حد ما ، فتقوم على خدمة مصالح البورجوازية ، والمحافظة على امتيازاتها ، مطبقة فى ذلك سياستها الرجعية ٠

وعلى مثل هذه الاتجـاهات يقوم المـذهب الفـاشى ، الوطنى ، والاستعمارى ، وهو مذهب يقدم الدولة على انها طبقة سامية فوق الجميع ، وهى الفيصل فى العلاقات الاجتماعية ، والاقتصادية ٠

وليس هناك من يجرد البيروقراطية من دورها الاجتماعى المستقل سوى قيادة الطبقة العمالية ٠

سيادة الرأسمالية فى هذا العصر

الكفاح فى سبيل الاستقلال والمساواة بين الناس

لم تكتف الرأسمالية الاحتكارية بالابقاء على العلاقات القائمة الآن، من ضغط على حريات الشعوب ، واستغلال للمستعمرات ، بل انهـا لجأت الى محاولة بسط سيادتها على العالم ، وتزعمه ٠ ولكى تحافظ على الاستعمار الكلاسيكى ، الذى يضعف مركزه كل يوم عن الآخر ، بفعل الوعى القومى الذى يمتد من بلد الى آخر ، لجـأ الاستعمار الى صياغة أشكال من الاستقلال الزائف ، يخلعه على الشعوب الصغيرة، مستعملا بعض التعابير المذهبية ٠٠ كحماية الديموقراطية ، وصيانة الحريات ٠٠ والمساواة الاجتماعية ٠٠ الخ ٠ ولكن هذه الدول تظل دائما تابعة للدول الاستعمارية ، التى تستغل اقتصادياتها، ومواردها وتوجهها معها فى صراعها لبسط نفوذها على العالم ٠ وبذلك تخلق القيادة الرأسمالية خطرا دائما لحرب عالمية جديدة ٠ وسيتفاقم هـذا

الخطر ، اذا تحول الدور القيادى لدولة ما ، أو مجموعة من الدول ، الى نظام دولى قوى ، لا يتصرف الا من مركز القوة ، واذا استطاعت البورجوازية ـ القائمة على رأسمالية الدولة ـ أن تحرك وتنظم قوى اجتماعية أخرى لتطبيق سياستها الزعامية ، الداخلية والخارجية ·

وليس الصراع فى سبيل السيادة دائما فى مصلحة البورجوازية ، والبيروقراطية الحكومية الرأسمالية لبلد ما ، أو مجموعة من البلاد ، ففى مثل هذه الظروف قد يفوز بتأييد الطبقة الوسطى ، بل وبعض قطاعات الطبقة العمالية ·

وقد تحدث ماركس ، ولينين ، عن النتائج الاجتماعية التى قد تنجم اذا نجحت البورجوازية فى بعض البلاد المتقدمة فى وضع بعض قطاعات الطبقة العمالية ، فى وضع محظوظ ، بالنسبة لقطاعات أخرى من الطبقة العاملة ، أو كل الطبقة العمالية بالنسبة للكتل العمالية فى بلاد أخرى ·

ويلعب هذا التطبيق الآن دوراكبيرا فى البلاد الرأسمالية المتقدمة أكثر من الماضى ·

فالواقع انه من الممكن أن « ترشى » القوى الزعامية للبورجوازية بعض قطاعات الطبقة العمالية ، بزيادة فى الارباح · ويساعد على ذلك ارتفاع مستوى الانتاج ، والقوى المنتجة ، الأمر الذى يتيح للبلاد المتقدمة المحافظة على مستوى معيشة أعلا من أجزاء أخرى من العالم ·

على أن هذا التطبيق هو على حساب المستعمرات، والدولة التابعة، فان ارتفاع مستوى المعيشة فى البلاد المتقدمة ، هو الى حد كبير ، الثمرة المباشرة لفقر البلاد المتخلفة ، وتبعيتها ، والضغط عليها ،

واستعمال العنف ، وانعدام الحقوق الديموقراطية فى جزء كبير من العالم ٠

وبالرغم من توفر الإستعمار المعاصر على قوة مادية كبيرة ، فانه مصاب بالضعف السياسى ، وعدم الاستقرار الداخلى ، فان كفاح الشعوب فى سبيل المساواة ، والاستقلال فى العلاقات الدولية ، لم يتوقف ، بل انه يتزايد ، ويلقى مزيدا من النجاح ٠ فى حين يؤدى ضغط السيطرة والسيادة الى ربط هذا الكفاح بالقوى التقدمية ، والطبقة العمالية ، والاشتراكية ٠ وهذا معناه أن تصفية الاستعمار نهائيا تجىء عن طريق الكفاح المستمر للطبقة العمالية ، والقوى التقدمية ، فى كل بلد ، لنيل حقوقها الديموقراطية ، والاجتماعية ، وفى سبيل السلام ، والاشتراكية ، واستقلال الشعوب ٠

رأسمالية الدولة

ليس هناك نظام بحت لرأسمالية الدولة ، لأن المنهاج الاجتماعى لا يمكن أن يظهر بأشكال بحتة٠ انما تشمل الرأسمالية المعاصرةعناصر رأس المال الخاص ، الحر المنافسة ، مع رأس المال الاحتكارى ، وبقايا الملكيات الصغيرة ٠ فليست رأسمالية الدولة اذن ، بأى مرحلة معينة من مراحل الرأسمالية، بل هى اتجاه ينجم عن رأس المال الأحتكارى، الذى يبحث عن مخرج لأزمته ، بعد أن أصبح مركزه الاقتصادى ، والسياسى ، مزعزعا ، فيلجأ الى الدولة ، ليحول لها بعض وظائفه الاقتصادية، بينما يبقى على الخصائص الرئيسية لعلاقات رأس المال٠ وبذلك يمكن وصف أشكال علاقات رأس مال الدولة ، بأنه اما أن يكون أقصى جهد للرأسمالية للمحافظة على كيانها ، أو انها خطوة نحو الاشتراكية ٠٠ أما أى الشكلين سيتحقق ، فان ذلك يتوقف على قوة الطبقة العمالية ، وتصرفاتها السياسية الواعية ، ونتائج كفاحها فى سبيل السلطة ٠

ولا يمكن أن يحدث أي انتقال آلى من نظام رأسمالية الدولة الى الاشتراكية الفعلية لوسائل الانتاج ووضعها فى خدمة كل رجل يؤدى عملا فى المجتمع • انما يتم هذا الانتقال فقط عن طريق الكفاح السياسى الواعى للطبقة العمالية ، للحصول على دور قيادى فى الاداة الحكومية ، ثم استعدادها ، وقابليتها لاستعمال هذا الدور فى تغيير العلاقات الاجتماعية •

وبالرغم من تركيز السلطة فى يد الدولة ـ الى حد كبير ـ فان النظام يظل ضعيفا فى الميدانين السياسى ، والاقتصادى ، لبقاء المتناقضات الرئيسية التى يقوم عليها النظام الرأسمالى •

على أن الموجة المتزايدة للاتجاه الى رأسمالية الدولة ، فى العالم الرأسمالى لهى أكبر دليل على أن الانسانية تتجه الى الاشتراكية من طرق عديدة ، والى عصر أصبحت فيه الاشتراكية وسيلة الحياة اليومية للانسانية جمعاء • وما زالت القوة الداخلية المحركة لهذا المنهاج ، هى الطبقة العمالية ، ومصالحها الاجتماعية والاقتصادية ، وكفاحها الواعى ، المستميت ، ونشاطها المتعدد الاشكال •

التحول الثورى ، والاشتراكى للعالم

اشتدت أزمات المجتمع الرأسمالى ، وزادت حدتها ، بتأثير ثورة أكتوبر ، التى كانت هى نفسها نتيجة أزمات الرأسمالية •

وحدث أول تغيير ثورى ، اشتراكى ، ناجح ، فى العلاقات الاجتماعية فى الاتحاد السوفييتى ، ثم بدأ منهاج التحول الثورى ، الاشتراكى للعالم •

وظلت تيارات ثورة أكتوبر العظيمة تدفع عجلة الاشتراكية فى

العالم كله ، لمدة أربعين عاما ، وتشجع الثورات ، والمناهج الثورية ، لتحقيق الاهداف الاشتراكية • وتطورت ثورة أكتوبر الاشـتراكية العظيمة ، بارتباطها بهذه الحركات ، ومتابعتها تشجيعها ، فأصبحت بحق منهاجا عالميا للتقدم الاشتراكى •

ودخلت العلاقات الاشتراكية ، بعد الحرب العالمية الثـانية ، الى مناطق واسعة من العالم ، وتوطدت القوى الاشـتراكية بسرعة فى العالم كله • وأدى النصر الذى أحرزته القوى الاشتراكية فى صراع مكشوف ، قادته الاحزاب الشيوعية ، أدى ذلك فى بعض البـلاد الى أن تقيم الطبقة العمالية من نفسها ديكتاتورة على العمال • وفى بلاد أخرى ، اقترنت نهاية الحرب العالمية الثانية بثورات داخلية ، وزحف الجيش السوفييتى ، ثم التخلص من السـلطة البورجوازية ، واقامة حكومات تحت قيادة الاحزاب الشيوعية ، وبذل الجهود لبنـاء مجتمع اشتراكى • وهكذا سار عدد كبير من البلاد فى الطريق الى الاشتراكية • وكان طابع النظام الاشتراكى الجديد هو جعل موارد التأميم اشتراكية تماما ، وبخاصة الغاء ملكية الرأسمالية الخاصة لوسائل الانتـاج ، والقضاء على استغلال الرأسمالية للطبقة العمالية ، ووضع كل الموارد الاقتصادية ، فى خدمة التقدم التخطيطى للقوى الانتاجية • أما عن التوزيع فقد بدأت الاشتراكية بالمبدأ القائل أن العمل ينبغى أن يكون الاساس الوحيد للحالة الاقتصـادية للانسـان • ففى الاشـتراكية يستبدل مجهود الرأسمالية للاستغلال ، بالمجهود المشترك للجمـاعة لارضاء الحاجات الشخصية ، والجماعية للشعب الى أقصى حد •

وفى تيار تحرير المجتمع من العلاقات الاجتماعيـة الرأسمالية ، يمثل الوعى الاشتراكى قوة ايجابية كبيرة ، وسلطة مادية كفيلة بممارسة نفوذ قوى لقيادة التقدم الاجتماعى ، ولهـذا السبب الوجيه تتولى الدولة الاشتراكية ، فى المرحلة الاولى ، تنظيم وتخطيط الانتـاج ،

بدرجات متفاوتة ، وبذلك تصبح الدولة اداة قوية للعمل الواعى ، فتوجه كل الوسائل ، والجهود لتحقيق أغراض اقتصادية معينة ، وتقوم بتوزيع اشتراكى منظم ، وبذلك تساعد على تقدم المجتمع ، وتؤمن المادة اللازمة ، والظروف الاجتماعية ـ والاقتصادية لتقدم العلاقات الاجتماعية ٠

وقد بدأت الاشتراكية فى حل مشاكل اقتصادية ، واشتراكية كانت زائدة التعقيد ، عسيرة الحل ، لان معظم البلاد التى سارت فى طريق البناء الاشتراكى ، كانت متخلفة ، وكانت قواها الانتاجية متأخرة ، وعدد عمالها قليل ، فزادت الاشتراكية من هذا العدد ، وأتاحت الفرص للكفايات ، ونهضت بمستوى العامل والفلاح ، ونهضت تبعا لذلك الصناعات الثقيلة ، والانتاج الزراعى ، ونمت موارد الانتاج ، وزاد الدخل القومى زيادة سريعة ٠ وأدى ذلك الى احداث تغييرات جوهرية فى البناء الاجتماعى ، وجدت تعبيرا خاصا فى اشتراك العمال ، والطبقات المثقفة فى مواصلة النهوض بالمجتمع ٠

وبذلك توقفت الاشتراكية عن أن تكون مذهبا فحسب ، أو تجربة سياسية ، أو اجتماعية فحسب ، بل أصبحت الاشتراكية المعاصرة قوة مادية ، وعاملا اقتصاديا ، واجتماعيا ، وثقافيا ، لها أثرها الحاسم فى مجموع التقدم الاجتماعى للعالم ٠ وهى فى نشاطها وتطورها ، تغير من العالم الرأسمالى كما تغير من نفسها ٠

للاشتراكية أشكال مختلفة

ليست الاشتراكية المعاصرة صافية ، متجانسة ، ولا يمكن أن تكون كذلك ٠ فان مخلفات النظام القديم ، تختلط ، وتصطدم بالقوانين ، والمتناقضات الجديدة ، وتقفز بعض المتناقضات التى كانت

بارزة فى نهاية مراحل الرأسمالية ، الى المراحل الاولى لبناء المجتمع الاشتراكى •

ولا يتبع بناء الاشتراكية فى تقدمه خطا مستقيما ، فالذين يبنون الاشتراكية فى البلاد المختلفة ، يلاقون متناقضات داخلية ، متفاوتة الحدة ، وتكتنفهم ظروف ، وعوامل ، جد مختلفة ، ويصلون الى قرارات مختلفة فى حل المشاكل ، فالاشتراكية واحدة ، ولكن الطرق المؤدية لها تختلف ، ويعتمد كل شعب على تجارب الآخرين ، فى تقدم الاشتراكية ، ولكنه يضيف الى التجربة المشتركة ، تجاربه الخاصة ، وبذلك تزداد خصبا ، وصقلا •

المتناقضات الداخلية فى البناء الاشتراكى

تتوقف العلاقات الاشتراكية ، أولا ، على الاسس المادية للمجتمع •

فاذا كان الاساس الاقتصادى متخلفا ، صعبت مهمة القيادة العمالية ، والقوى الاشتراكية ، وطال أمد البناء الاشتراكى ، لان القوى الزعامية تولى اهتمامها أولا لبناء الاسس الاقتصادية ، التى لا غنى عنها • وفى هذه الظروف تضطر القوى الاشتراكية غالبا للقيام بتسويات مع صغار الملاك ، بل ومع البورجوازية ، وتستعين موقتا بمختلف أشكال رأسمالية الدولة ، وطرقها ، وعلاقاتها •

ومن الطبيعى أن يؤدى هذا الخلط الى عدد من المتناقضات ، والخلافات ، التى لا يمكن أن تتخطى الاجراءات الادارية ، والثورية المتحللة ، لان أصولها كامنة فى الاسس المادية ، فى حين تستمر نهضة المجتمع سريعا ، خلال هذه المتناقضات وفى ظل تلك الظروف•

ويجىء تقدم المجتمع أيضا من التأثير الذى تحدثه المخلفات الاقتصادية ، والسياسية ، وعناصر المجتمع القديم ، أى البورجوازية، ومن القطاع « المتنور » الذى كان يرتبط بالرأسمالية ، ومن أنانية صغار الملاك ، ومن الاتجاه الى الملكية الفردية بين الطبقات المتوسطة ومن الملكية الخاصة للارض ٠٠ الخ ، وكلما زاد تخلف البلد ، كلما قوى دور هذه العناصر ، وزاد من حدة المتناقضات الداخلية ، والخلافات ٠ وهذا هو أيضا السبب الرئيسى للاتجاهات نحو اعادة الرأسمالية وسلطانها ٠ وهذه الاتجاهات البورجوازية ـ فى حد ذاتها ـ ليس لها قوة سياسية عظيمة ، لان الطبقة العمالية لا تريد اعادة نظام الاستغلال ، ومع ذلك فقد تنقلب الى خطر حقيقى ، نتيجة لصعوبات ايجابية ، أو بسبب طغيان البيروقراطية ، وغيرها من الظواهر السلبية ، التى تسبب تدهورا فى العلاقات بين القوى السياسية الزعامية للدولة الاشتراكية ، وبين الطبقة العمالية ٠

وهناك عامل آخر ، بالغ الاهمية ، لابد لاعظم القوى الاشتراكية تقدما أن تكافحه ، وهو تأخر الوعى الاشتراكى للشعب الكادح ، بما فى ذلك قطاعات كبيرة من الطبقة العمالية ، وكذلك تأثير هذا الوعى السلبى على الاجهزة الاجتماعية ، والسياسية ٠ ولا تستطيع الثورة بين عشية وضحاها أن تغير الاسس الاقتصادية القائمة ، ولا أن تقضى على الصعوبات المادية للناس ، التى نشأت فى ظروف الاستغلال والفقر ٠ وغالبا ما تتخذ العقائد المتخلفة بين الطبقة العمالية ، الشعور بأن حاجتهم لم تشبع ، وأنانية صغار الملاك ، وما شابه ذلك ٠٠ غالبا ما تتحد مع المذاهب السياسية الرجعية ، التى تستمد جذورها من مخلفات المجتمع القديم ، أو من النفوذ الاجنبى ٠

مظاهر الفوضى

من مظاهر تأخر الوعى الاشتراكى ، الفوضى المدمرة ، العمياء ،

وأول ما تعكس هذه الظاهرة بين طبقات العمال ، رد الفعل النـاتج من الصعوبات الموضوعية ، والمشاكل التى تخلفها فترة الانتقـال ، والتناقض بين حاجات الشعب ، والامكانيات المـادية للمجتمـع ، أو رد الفعل الناتج من استفحال البيروقراطية ، وغيرها من العيوب المشوهة ، وما تحدثه من ضغط على المجتمـع كله ، وليست هـذه الظاهرة السلبيـة الا نتيجة لضعف عناصر التقـدم الاشـتراكى ، وانعدام الوعى فى المجتمع المتخلف • وقـد تظهر الفوضى بين بعض قطاعات المثقفين ، والقطاع المتوسط ، وعناصر البورجوازية الصغيرة، وبعض قطاعات العمال ، كرد فعل لصعوبات فترة الانتقال ، بصفة عامة ، وللافكار الخيالية ، السخيفة التى تتخذ لها ستارا زائفا هو حب الحرية ، ومثل هـذه الفوضى البورجوازية المدمرة ، وانتحال الدفاع عن الحرية الزائفة ، لا تمثل أى قوى اجتماعية ، أو سياسية، مستقلة • ولكنها طلائع قوى أخرى ، معادية للاشـتراكية • وهى تعبد الطريق اما لتوطيـد البيروقراطيـة ، أو للقوى البورجوازية المعادية للثورة ، التى تسخر مثل هذه التيارات ، وما تبقى من أنانية صغار الملاك ، وغيرها من الظواهر المماثلة ، الناتجة عن تأخر الوعى الاجتماعى للجماهير ، محاولة تجديد صلتها بالشعب ، والتصاقها به ، بغية المحافظة على بعض الامتيازات ــ على الاقل ــ التى فقدتها •

البيروقراطية •• والنظام البيروقراطى

يتأثر التقدم الاشتراكى الى حد كبير **بالبيروقراطيـة ، والنظـام البيروقراطى** ، خلال فترة الانتقال • ذلك أن طبقة العمال المنتصرة تحتاج ــ حاجة ماسة ــ الى الدولة فى فترة الانتقال الطويلة للنهوض بالاشتراكية الى مستوى عال ، لا بصفتها الوسيلة التى لا غناء عنها، للقضاء على مخلفات المجتمع القديم ، فحسب ، بل أيضا لاقامـة العلاقات الاقتصادية القائمة على تمليك المجتـمع لوسائل الانتـاج ،

وتوطيد هذه العلاقات ، وجعلها أساس علاقات المجتمع • وقبل أن يبنى المجتمع أسسه الاقتصادية الجديدة ، فى فترة الانتقال ، أو قبل أن يرسى نفسه بثبات على هــذه الاسس ، وفى الوقت الذى ما زال يبحث فيه عن أجهزة جديدة للادارة الاقتصادية والاجتماعية، فان الدولة الاشتراكية تلعب دورا تقدميا حاسما فى ادارة الاقتصاد وحكم المجتمع •

وتقوم الدولة فى هذه الفترة بادارة وسائل الانتاج ، على أشكال مركزية مختلفة ، أساسها ملكية الدولة ، وممارســة السـلطات الادارية للاجهزة الحكومية • وقد لعبت هذه الادارة دورا ايجابيا فى تقدم الاشتراكية ، فى مثل تلك الظروف التاريخية التى أسلفناها، وهى تلعب هذا الدور اليوم ، وستلعبه غدا ، اذا توافرت مثل تلك الظروف • وينطبق ذلك ، بصفة خاصة ، على البلاد الاقل تقدما ، التى سلكت طريق الاشتراكية، حيث لا غناء عن الدولة الرأسمالية، وعناصر أخرى تتعلق بالعلاقات الاشتراكية الداخليــة ، لفترة من الوقت • وهذا النوع من ادارة الدولة للعلاقات الاقتصادية، ضرورى وحتمى ، للدول الاشتراكية ، حتى يقضى عــلى العوامل الرئيسية للتأخر ، وتقوم الاجهزة المركزية ، واللامركزية ، الديموقراطيــة ، الاجتماعية ، لادارة وسائل الانتاج بواسطة العمال المنتجين أنفسهم •

على أن الدولة تميل عند ادارتها للاقتصاد ، الى سلب الاقتصاد من قواه الداخلية المحركة ، جاهدة لتثبت ان المجتمع لا يستطيع السير بغيرها • فاذا زادت هذه الاتجاهات ، فقد تتحول الدولة الى عامل من عوامل الركود ، والى قيد يغل التقدم الاشتراكى ، وقد تصبح حائلا دون اقامة أجهزة اشتراكية جديدة ، تؤمن استمرار تقــدم الاشتراكية •

وقد ظهر من تجاربنا ، وتجارب البلاد الاشتراكية الاخرى ، ان ادارة أجهزة الدولة للاقتصاد ، ومجموع الحياة الاجتماعية ، يؤدى ـ على أى حال ـ الى زيادة تركيز السلطة ، وادماج أجهزة الدولة والحزب ، وتوطيد سلطاتها ، وبالتالى ميلها الى آن تستقل ، وتفرض نفسها كقوة فوق الشعب .

هذه هى جذور الظاهرة النوعية لفترة الانتقال : **بيروقراطية ، وعيوب بيروقراطية حكومية فى تقـدم العلاقات الاشـتراكية ..** وتنبع هذه الظاهرة مباشرة من الاتجاهات التى تولدت فى الاجهزة السياسية والاقتصادية للدولة الاشتراكية ، التى تعمـل جاهـدة لسيادة الاجهزة الحكومية على المجتمع ، بدلا من أن تكون خادمتهـا ، ووكيلتها المنفذة . وتبين هـذه الظـاهرة مواطن الضعف فى الدور الاجتماعى الحالى ، ونفوذ الطبقة العمالية ، وكذلك مواطن الضعف فى الظروف الاقتصادية ، وكأن البيروقراطية هى الصدى الاخير للعلاقات الاجتماعية القديمة ، اذ تقف عائقا دون تقدم العلاقات الاشـتراكية ، بابقائها على شكل من أشكال علاقات رأسـمالية الدولة ، أو طرق الادارة ، فى وقت لا تسمح فيه بذلك القوى المنتجة ، والعمال .

وليس خطر البيروقراطية كامنا فيها ، بل ان شأنها ، شأن أى مرض آخر ، تضعف كل جهاز المجتمع الاشتراكى ، وعلى ذلك فانها تنبه ، وتقوى كل القوى ، والاتجاهـات المعـادية للاشتراكيـة . والاشتراكية ـ قبل كل شىء ـ تقطع الصلات بين القوى السياسية الزعامية ، والطبقة العمالية ، وبذلك تزيد من حدة كل المتناقضات الداخلية .

تقدم الاشتراكية والتغلب على المتناقضات الداخلية

التعبير المذهبى لاتجاهات البيروقراطية هو : الجمود ، والتحفظ، ومراجعة الدولة النفعية للقواعد العلمية الاساسية للاشتراكية ـ أى الماركسية واللينينية ـ وخلق « عبادة الفرد » • وتظهر الاتجاهات المذهبية من هذا النوع ، بصور مختلفة ، فى كل حركات العمال الدولية ، كانعكاس للمتناقضات الفردية للتقدم الاشتراكى •

وما أن تقوى سلطة الطبقات العمالية ، والعمال بصفة عامة ، حتى تثار مسألة انسحاب الدولة التدريجى من المهام التى تضلعت بها فى فترة الانتقال ، وتلك هى المسألة الاساسية الحاسمة فى النظام الاشتراكى للمجتمع • والانسحاب معناه فى حقل العلاقات الاقتصادية ، القضاء على مخلفات رأسمالية الدولة • وتتوقف مدة هذا الاجراء على كثير من الظروف • ويتضاءل دور الدولة تدريجيا خلال ذلك ، بينما تزيد اختصاصات الاجهزة المختلفة للحكومة الاشتراكية الذاتية ، وتتابع الديموقراطية المباشرة تقدمها •

وعلى ذلك تواصل تلك القوى الاجتماعية، التى تتميز بها المراحل الاخيرة للرأسمالية ، عملها ، خلال فترة الانتقال فى المجتمع الاشتراكى ، بالرغم من ظروف التحول والتغيير ، واتجاهات القضاء على كل ما يتصل بالعلاقات الاجتماعية القديمة •

ومن خواص فترة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية حدوث متناقضات فى كل قطاعات المجتمع • ولا يمكن القضاء على هذه المتناقضات مرة واحدة ، ولكنها تحل ـ فى المجتمع الاشتراكى ـ بالتطور التدريجى ، والتقدم المستمر فى العلاقات الاشتراكية • ويقع على القوى الزعامية الاشتراكية جانب كبير من هذا العبء ، ففى أيديهم الاسلحة المذهبية للاشتراكية العلمية •

الكفاح فى سبيل الاشتراكية

طرأ تغيير كبير ، فى الفترات الاخيرة ، على ظروف كفاح الطبقة العاملة فى سبيل الحصول على طلباتهم اليومية ، وفى سبيل ممارسة حقوقهم الديموقراطية ،-وسلطاتهم ، لبناء الاشتراكية •

فالمهمة شاقة ، ويزيد من صعوبتها التجمع الهائل للسلطات الاقتصادية ، والسياسية ، فى الدولة الرأسمالية ، وعلاقاتها الدولية، واتجاهها الى خلق سلطة طبقية قومية • وينطبق هذا على الظروف الحالية ، التى انعدم فيها توازن القوى ، وتأرجح السلام • على ان هذا الموقف آدى الى أن يكتسب كل عمل ثورى للطبقة العمالية ، والقوى المعادية للاستعمار ، طابعا عالميا ، وان يحشد أكبر مجموعة منسقة من القوى فى العالم • يضاف الى ذلك ازدياد ما يسمى « بالرشوة الاقتصادية » لبعض قطاعات الطبقة العمالية ، فى أعظم البلاد الرأسمالية تقدما • وأدى ذلك الى ظهور الانتهازية بين طبقات العمال ، وحال دون وحدة الطبقة العمالية، وأخر وعيها، ونضامنها، فى الكفاح فى سبيل الاشتراكية • وأتيحت الفرص للدوائر الحاكمة لكى تقوى من أشكال البورجوازية ـ الديموقراطية للدولة ، ومن التقدم الاجتماعى ـ لوقت محدود ـ لتحول الكفاح الطبقى الى هذا المجرى الوهمى الذى خلقته بدعوة الاصلاح الاجتماعى •

ويزيد هذا المنهاج من حدة المتناقضات ، والكفاح المذهبى ، بين الطبقة العمالية ذاتها ، ويطيح بوحدتها ، ويضعف من قواها الثورية •

وبالرغم من كل هذه الصعاب التى تلقاها طبقات العمال المكافحة فى سبيل الاشتراكية ، فقد تغير ميزان القوى الاشتراكية فيالعالم لصالح الاشتراكية • اذ لعبت ثورة اكتوبر ، والثورات الاشتراكية فى يوغوسلافيا ، وفى الصين ، والتغييرات السياسية والاجتماعية فى العالم •• لعبت دورا أساسيا فى التحول الثورى ، لا فى البلاد التى حدثت فيها هذه التغييرات ، بل فى العالم اجمع ، حتى العالم الرأسمالى نفسه يتغير تحت تأثير انتشار الاشتراكية ، ولم يعد باستطاعة الرأسمالية أن تحاصر الاشتراكية وتعزلها عن العالم • وحصلت طبقة العمال فى كثير من الدول الرأسمالية ، وبخاصة فى أوربا الغربية ، وامريكا، علىكثير من الحقوق السياسية والاجتماعية ، كنتيجة لكفاحها الذاتى ، وبتأثير الانتصار الثورى الذى حققته الاشتراكية فى بلاد أخرى كثيرة •• كل هذا التقدم الاجتماعى جاء نتيجة انتصار ثورات اشتراكية متعددة ، كما أن كثيرا من التغييرات الثورية التى حدثت ، أو التى تحدث الآن ، فى بعض البلاد ، انما تؤدى الى تغييرات ، واصلاحات اجتماعية فى بلاد أخرى ، ويرتبط بعضها ببعض ، وتكون منهاجا واحدا للتحول الثورى ، الاشتراكى للعالم •

وعلى ذلك فان الدور الاجتماعى ، والسياسى ، للطبقة العمالية ، وتأثيرها فى تقدم المجتمع ، قد نما كثيرا فى كل انحاء العالم • وفى كل يوم تكسب فكرة الاشتراكية مزيدا من تأييد قطاعات جديدة بين الشعوب ، وتزداد فرص الحركة العمالية لتكوين اتحادات سياسية ، مع بعض قطاعات الشعب ، ومع الحركات التقدمية الاخرى •

وزاد تزعزع الرأسمالية ، ونظامها السياسى ، فى هذه الظروف، عن أى وقت مضى ، وأصبحت أكثر قابلية للانثلام ، والعطب ، أمام

الضغط ، والنفوذ ، الاجتماعيين ، للكتل العمالية ، والديموقراطية للشعوب .

ومن الجلى أن مستوى التقدم الذى بلغـه المجتمع اليوم ، يهيىء الظروف الاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية ، اللازمة لتحقيق نصر أكبر للحركة الاشتراكية . كما يهيىء تعدد هذه الظروف ، الامكانيات لاتباع طرق مختلفة ، واتخاذ أشكال متباينة فى الكفاح فى سبيل الاشتراكية .

ظروف ، وأشكال الكفاح العمالى فى سبيل الاشتراكية

أدى الزحف الانسانى العظيم فى هذا العصر نحو الاشتراكية ، الى أن تصبح الاشتراكية تمرينا يوميا ، يمارسـه آلاف الملايين من الناس ، فازدادت خصوبته ، اذ تظهر من وقت الى آخر ، أشـكال جديدة ، تتقدم بالبناء الاشتراكى خطوات ، كذلك الحال فى كفاح الطبقة العمالية ، والقوى الاشتراكية ، للتأثير على حركات المجتمع فى البلاد الرأسمالية .

وكان نشاط العمال وضغطهم فى البلاد الرأسمالية ، حافزا الى أن تلجأ بعض هذه البلاد الى سياسة التأميم ــ الى حد ما ــ والى اخضاع الانتاج لرقابة الدول ، بصـور مختلفة . ومن الواضح ان هـذه الاجراءات تضعف من العلاقات الاجتماعية القائمة فى ظل الرأسمالية ، ولكنها لا تغيرها . على أن كل هذه الظواهر تعجل بانضاج مسألة الملكية الاشتراكية لوسائل الانتاج ، فى أحد أشـكالها ، وكذلك مسألة سلطة الدولة فى مجموعها .

فمن الظواهر الجديدة بالاهتمام كفاح الطبقـة العماليـة لتأميم

الصناعات ، واشتراك العمال فى ادارة الصناعات المؤممة ، واشتراكهم فى الرقابة على ادارة الانتاج الخاص • ويزعزع هذا الكفاح الواعى الشديد ، من العلاقات الاجتماعية ، والاقتصادية ، الرأسمالية • ويقلل من دور البيروقراطية ، كما يكشف عن حقيقة ما يسمونه بالديموقراطية الاقتصادية ، وقوة الاوضاع السياسية ، والاجتماعية للطبقة العمالية •

كفاح متصل

لايعنى امكان التحول الى الاشتراكية بطريق سلمى ، ان تتخلى الطبقة العاملة عن الوسائل الثورية للكفاح فى سبيل تحقيق الاشتراكية ، اذا دعت الى ذلك المتناقضات الداخلية وغيرها من العوامل ، وبخاصة سياسة الدوائر الحاكمة الرجعية • ولو خضعت الحركة العمالية لمثل هذه الآراء الانتهازية ، فانها تكون بذلك قد تخلت عن دورها الاجتماعى ، بل عن كل الانتصارات التى حققتها الثورات الاشتراكية ، والتى أتاحت لها أن تستخدم بنجاح الطرق البرلمانية وغيرها من سبل الكفاح ، لتفوز بدور قيادى فى المجتمع• ولا شك ان الطبقة العاملة ستقوم فى المستقبل ، كطبقة ثورية ، باستعمال قوتها الثورية الضاربة ، لتحطيم قيود الرأسمالية ، والاستعمار ، وأى ضغط آخر ، وبخاصة اذا استعملت الدوائر الرجعية الحاكمة ، العنف لوقف الزحف التاريخى للطبقة العاملة ، والقوى التقدمية ، لتسلم مقاليد السلطة • على انه من الجلى ان الماركسيين لا يستطيعون السماح لأى شكل خاص ، أو طريقة للكفاح أن تنقلب الى مبدأ ، أو عقيدة ، تحول دون تطبيق تلك الاشكال من الاعمال السياسية ، التى تتلاءم فى وقت ، ومكان ، معينين ، مع ظروف كفاح ، وحياة ، وعقيدة الطبقة العاملة ، والقوى التقدمية الاجتماعية بصفة عامة •

ويدل تطور الكفاح فى سبيل الاشتراكية ــ وهو خصب وتعليمى رغم قصر أجله ــ على ان الطرق المؤدية الى السلطة والى الاشتراكية، تختلف • ويبين ان هذه الطرق لا تختلف من بلد الى آخر، فحسب ، بل انها تختلف باختلاف الوقت، وفقا للميزان العام للقوى التقدمية فى العالم، والظروف الاجتماعية العامة، وحصيلة التاريخ، والتقاليد السياسية ، فى كل بلد على حده ، وكذلك وفقا لقوة الاوضاع الاقتصادية ، والاجتماعية للطبقة العمالية ، وعقائدها •

على انه لا يمكن للكفاح فى سبيل الاشتراكية فى أى بلد ، أن ينعزل ، وينفصل عن تقدم الاشتراكية العالمية • فان التجارب التى تحققها القوى الاشتراكية فى بلد ما ، تصبح تجارب للقوى الاشتراكية فى كل البلاد • ونجاح الاشتراكية فى العالم بصفة عامة ، يقوى القوى الاشتراكية فى كل بلد على حدة ، ويسهل له طريق النجاح الخاص به •

وخلاصة القول ، ان الخصائص الرئيسية للتقدم الاشتراكى فى العالم ، والكفاح المعاصر فى سبيل الاشتراكية ، هى خصائص متصلة ، مترابطة الاجزاء ، تتكامل اشكالها فى سبيل تقدم العلاقات الاشتراكية ، وتحريرها من ظواهر البيروقراطية •

بعض تجارب التقدم الاشتراكى فى الاتحاد السوفييتى والبلاد الاشتراكية الاخرى

يؤثر قيام بلاد اشتراكية ، وتقدم العلاقات الاجتماعية فيها ، على حركة المجتمع ، تأثيرا ملموسا ، كما يؤثر فى تقدم العلاقات الدولية نحو المساواة بين الشعوب ، وانتشار فكرة السلام بينها ، وتقدم الإشتراكية ، وتوطيد دعائمها فى العالم •

وأصبحت الاشتراكية اليوم ـ بفضل نجاح تجربتها ـ تقوم على أرض صلبة ، تستهديها الامم للنهوض بمجتمعاتها ، ومحاربة الفوضى ٠

وتمثل تجربة الاشتراكية فى **الاتحاد السوفييتى** ، انتصارا للاشتراكية الدولية ٠ فقد كان **الاتحاد السوفييتى** فى فترة ما بين الحربين العالميتين ، البلد الاول والوحيد ، الذى تولت فيه القوى الاشتراكية الحكم ، والذى تقدمت فيه العلاقات الاشتراكية٠ولذلك كانت الحركة العمالية الثورية فى البلاد الاخرى ، وحركات التحرير فى المستعمرات ، تتطلع الىالاتحاد السوفييتى كنموذج لتصرفاتها٠ وكان قيامه فى فترة ما بين الحربين العالميتين ٠ هو الدعامة التى تستمد منها كل الحركات الاشتراكية ، والتقدمية فى العالم قوتها ٠ كما استلهمت الحركة الثورية العمالية فى يوغوسلافيا ، وحيا قويا من ثورة اكتوبر ، ومن البناء الاشتراكى فى الاتحاد السوفييتى ٠

وقام بناء العلاقات الاشتراكية فى الاتحاد السوفييتى وسط ظروف جد عسيرة ، وعقبات جسام ، اذ كان يسود تلك البلاد الشاسعة ، التخلف الشديد ، والخراب الذى خلفته الحروب ، وما كادت تنهض للبناء ، حتى تآمرت دوائر البورجوازية الاستعمارية ، والرجعية ، فى وقت كان الاستعمار فىعنفوان قوته٠

وقد حقق الاتحاد السوفييتى نتائج باهرة فى فترة ما بين الحربين ، بفضل تضحيات الطبقة العمالية، فأنشئت قواعد صناعية قوية ، وارتفع المستوى الفنى للعمال ، ونشأت طبقة مثقفة حملت مشعل الاشتراكية ٠

وكانت هذه النهضة هى الاساس الذى مكن الاتحاد السوفييتى

ـ بالتحالف مع الدول الاخرى المناهضة للهتلرية وأنصارها ـ من هزيمة كتلة الدول الفاشية خلال الحرب العالمية الثانية ، وكان ذلك عملا مجيدا ، حاسما ، فى تقدم الانسانية فى هذا العصر ، وكانت الظروف السابقة داعية لان تضطلع القوى الزعامية فى المجتمع ، وهى الحزب الشيوعى ، والدولة السوفيتية بالدور التنظيمى ، فى الحياة الاقتصادية أولا ، ثم فى كل حياة المجتمع . وأدى ذلك الى تركيز كبير للسلطة فى أيدى أجهزة الدولة . وبدأت اتجاهات بيروقراطية الدولة ، والاخطاء ، والتشويه ، والمتناقضات ..

بدأ كل هذا يساير تركيز القوة فى أيدى أجهزة الدولة . وأدى ذلك ـ فى المدى البعيد ـ الى توطيد حكم الفرد ، وبالتالى « عبادة الفرد » ، ثم المحاولات لتسويغها نظريا ، ومذهبيا .

ونجح الحزب الشيوعى للاتحاد السوفييتى ، والطبقة العاملة السوفيتية ، فى عصر ستالين ، فى المحافظة على النتائج التى حققتها ثورة اكتوبر ، وانمائها ، بالاستمرار والتوسع فى التصنيع ، ورفع المستوى الثقافى والفنى العام للبلاد ، والمحافظة على أن يكون الاتحاد السوفييتى سندا لكل الحركات الاشتراكية ، والتقدمية ، ومعارضة الضغط المستمر لقوى الرأسمالية ، والاستعمارية .

ولكن ستالين ـ لاسباب شخصية وموضوعية ـ لم يحارب اتجاهات البيروقراطية الحكومية ، التى تفاقمت كنتيجة لتركيز السلطات الى حد كبير فى أيدى أجهزة الدولة ، وادماج أجهزة الحزب والدولة ، وغير ذلك من أنواع المركزية الاخرى .. وأكثر من ذلك أنه أصبح ـ هو نفسه ـ الزعيم السياسى ، والمذهبى لهذه السياسة .

وكانت هذه الخطوط هى أساس مراجعة مغرضة لبعض أسس الماركسية ـ اللينينية العلمية • وجرت هذه المراجعة أولا فى مجال نظرية الدولة والحزب ، ثم فى مجالات الفلسفة ، والاقتصاد السياسى ، والعلوم الاجتماعية ، بصفة عامة • وهكذا استبدلت النظرية الماركسية اللينينية عن دكتاتورية العمال على الدولة ، بنظرية ستالين عن الدولة ، فلم تنسحب أجهزة الدولة ، بل بقيت، وظلت تنمو ، وتتوطد فى كل ميادين الحياة الاجتماعية • وتطبيقا لهذه النظرية يعزى دور ـ مغالى فيه ـ لاجهزة الدولة فى بناء الاشتراكية ، وهو دور سوف يؤدى عاجلا ، أو آجلا ، الى غل العوامل الاجتماعية ، والاقتصادية ، واعاقة تقدمها •

وظهرت فى الافق الدولى ـ عقب الحرب العالمية الثانية ـ ظواهر من هذا القبيل ، وصبغت السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتى ، فى بعض تصرفاتها ، وعلاقاتها مع الدول الاشتراكية • وظهر ذلك بشكل واضح فى تصرفات ستالين ضد يوغوسلافيا ، حيث وضعت أهداف السيطرة ، فوق المصالح الحقيقية للاشتراكية •

وقاوم شيوعيو يوغوسلافيا ، وأهلها ، هذا الضغط ، وكافحوا فى سبيل استقلال بلادهم ، ولم يكن هذا الكفاح يستهدف ممارسة حقهم فى حرية التقدم بالاشتراكية ، فحسب ، بل كانوا يساهمون فى الكفاح العام ، الذى لا غناء عنه ، ضد بيروقراطية الدولة ، ومطامع السيطرة ، فى العلاقات بين الشعوب التى سارت فى طريق الاشتراكية ، وكانت مقاومتهم اشتراكية ، تقدمية، ولذلك ساهمت فى تقدم الاشتراكية فى العالم •

كل هذه الظواهر ، ومثيلاتها من الاخطاء ، أضرت بالاشتراكية

العالمية ، وبالبناء الاشتراكى فى الاتحاد السوفييتى ، وبخاصة لان بعضها قد نقل ، وأعيد فى بعض البلاد الاشتراكية الاخرى • ولكنها، رغم ذلك ، لم تستطع اعاقة التقدم الاشتراكى فى الاتحادالسوفييتى لان القوى الاشتراكية فى أول بلد اشتراكى ، كانت قــد نمت ، وقويت الى حد مكنها من النفاذ خلال حواجز البيروقراطية ، وعبادة الشخصية • وكان ذلك هو السبب فى بداية القضاء تدريجيا على تلك الظواهر السلبية التى أشرنا اليها ، بعد وفاة ستالين بوقت قصير ، وعقب المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى السوفييتى •

وفى اعتقادنا انه لا بد من نقـــد النظرية ، والتطبيـــق ، اللذان يستهدفان الابقاء على بعض اشكال فترة الانتقال فى البناء الاشتراكى، وسلب العمال ، وأفراد الشعب ، من ممارسة حقوقهم الاشتراكية • مثل هذه الاتجاهات يجب أن تنقد ، وان يقضى عليهـا • فان قادة الاشتراكية يواجهون فى كل يوم مزيدا من الحاجة لحل تلك المشاكل التى تتعلق بمصالح العمــال الاكثر حيوية ، وهــذه المشاكل هى : اشكال وطرق الادارة الاقتصــادية ، ودمقرطـة المصالح الادارية المركزية ، والحد منها تدريجيا ، لاشراك المنتجين المباشرين فى ادارة وسائل الانتاج،والاقتصاد،وتعميم نظام الحكومة الذاتية الاجتماعية، والارتقاء بالنظام الاشتراكى للتوزيع ، طبقا للنظام الاشتراكى القائل « كل حسب قابليته ، وكل وفقا لعمله » ، والعمل على رفع مستوى الحياة ، والنهوض بأشكال ، وطرق الديموقراطية الاشتراكية فى كل مجالات الحياة الاجتماعية، وتعزيز الحقوق الديموقراطية، والالتزامات الديموقراطية الاجتماعية لكل مواطن ، وغير ذلك من المسائل المماثلة • ولا يمكن لكل البلاد الاشتراكية أن تنهج نفس الطريق فى حل هــذه

المشاكل ، وتحقيق المهام المتعلقة بتقدم العلاقات الاشتراكية • بل أن الطريق الى ذلك يتوقف على ظروف كل بلد ، وعلى علاقات القوى الطبقية ، وعلى مستوى الاقتصاد فى المرحلة السابقة للاشتراكية ، وعلى البناء السياسى ، والتقاليد ، والوعى الاجتماعى للشعب • ولكن وحدة هذه المشاكل، تجعل منها واجبا يقع عبئه على الاشتراكية الدولية ، وبخاصة على الاحزاب الشيوعية ، والقوى الاشتراكية بصفة عامة ، سواء أكانت فى الحكم ، أو كان لها تأثير حيوى على التقدم الاشتراكى • وحل هذه المشاكل ، هو أول مرحلة للقضاء على متناقضات فترة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ،وتأمين تقدم كل نواحى البناء الاشتراكى • وقد يرتكب الشيوعيون أخطاء عند ممارستهم لهذا المنهاج ، ولكن هذه الاخطاء ليست جسيمة ، ولا صعبة الحل ، مثل الاخطاء التى تنتج من الجمود ، والاحتفاظ ببقايا الماضى •

الاحتكار المذهبى

من أخطر الظواهر التى تعوق التقدم الاشتراكى ، الاتجاه الى الاحتكار المذهبى ، والسيطرة السياسية ، فهى تفتح الباب أمام الانتهازيين ، والمراجعين الرجعيين ، ومن واجب الحركة العمالية — وبخاصة فى البلاد الشيوعية — ان يحاربوا هذا الاتجاه سواء فى مجال النظريات ، أو التطبيق ، من أجل المساواة فى العلاقات • وينبغى ان يبدأوا بالمبدأ القائل ان قيم المذهب وطبيعته التقدمية ، أو اشكال التقدم الاشتراكى ، انما تتوقف على القيمة الحيوية لذلك المذهب فى التطبيق •

وأى مظهر للاحتكار المذهبى يعرقل التقدم الاشتراكى الحر فى

البلاد الاشتراكية ، هو بمثابة « فرملة » توقف تقدم الاشتراكية العالمية بصفة عامة • ولهذا السبب فان عصبة الشيوعيين اليوغوسلافيين تقدر انه ليس هناك من سبيل الى حل مشاكل الكفاح المشتركة فى سبيل السلام ، ومشاكل الكفاح فى سبيل الاشتراكية ، وتقدمها ، الا التعاون الدولى الذى يوحد الجهود على أوسع نطاق لحل المشاكل المشتركة •

ومن مصلحة التقدم الاشتراكى ان تقوم علاقات اشتراكية ديموقراطية حرة بين أحزاب البلاد الاشتراكية • وقد يتطلب الكفاح فى سبيل انتصار الاشتراكية ، أن تكون الطبقة العاملة فى بلد أو آخر ، حاملة لواء هذا الكفاح لبعض الوقت ، أو انها تملك قوة مادية أكبر ، ولكن ذلك لا يخولها حق الاحتكار فى الحركة العاملة ، وعلى الخصوص ، الاحتكار فى المجال المذهبى • وقد دلت التجربة السابقة على ان التعاون فى الحركة العاملة ؛ لا يصبح ممكنا الا بين الاطراف المتساوية فى الحقوق •

ومن السخف القول بأن شكل التقدم الاشتراكى فى بلد واحد هو الشكل الصحيح الوحيد ، بل ان ذلك يعوق التحول الاشتراكى للعالم • فان الاهداف العامة للاشتراكية ، واحدة للجميع ، ولكن الاشكال التى يتقدم بها المجتمع نحو هذه الاهداف تختلف ، وينبغى لها ان تختلف ، وفقا لظروف كل بلد فى هذا العالم • ويجب أن تكون المبادىء الاساسية للعلاقات بين البلاد الاشتراكية ، والحركات الاشتراكية هى حرية التقدم الاشتراكى الداخلى ، وتجنب أى محاولة لفرض أشكال معينة على الآخرين ، وعدم التدخل فى الحياة الداخلية ، والتقدم الداخلى للحركات الاخرى ، وكذلك التبادل الحر المتكافىء ، للتجارب ، والافكار الاشتراكية •

ومن التعقيد وصف الشرح العلمى للتقدم الاشتراكى المعاصر ، وتباين الاشكال فى المنهاج الاشتراكى ، بانه « ظاهرة مذهبية جديدة » أو مولد « الشيوعية الاهلية » فلا وجود لمثل هذه الظواهر الا فى رؤوس الجامدين ، أو انها ادعاءات تجرى على ألسنة ممثلى البورجوازية بغية التضليل المذهبى ، واشاعة التشويش فى الحركة العمالية • ولا ينبغى ان تمنع مثل هذه النوايا من توجيه الطبقة العاملة الى مشاكل بلادهم ، وظروفها ••

مراحل التأميم الإشتراكى

من يحل محل الرأسمالى

عند ما بدىء بالتأميم الاشتراكى لموارد الانتاج ، عرض سؤال رئيسى هو : من الذى ينبغى أن يدير هذه الموارد ؟ أو بمعنى آخر : من الذى ينبغى أن يحل محل الرأسمالى فى المؤسسة؟ وما زال هذا السؤال معروضا حتى اليوم فى التطبيق الاشتراكى المباشر •

وأجابت يوغوسلافيا على هذا السؤال ، اجابة فريدة، نرى آثارها اليوم •

فقد اجتازت النهضةالإقتصادية اليوغوسلافيةبعد الحرب مرحلتين: مرحلة الاشراف الادارى على الاقتصادى ، ثم مرحلة الادارة العمالية• ودامت الاولى منذ نهاية الحرب الى سنة ١٩٥٠ عند ما صدر القانون الاساسى لادارة « المؤسسات الاقتصادية للدولة ، والشركات الاقتصادية الكبيرة بواسطة العمال» وهذه المرحلة مستمرة الى الآن•

المرحلة الأولى

كان الاشراف الادارى على الاقتصاد فى يوغوسلافيا هو الطريقة الوحيدة الممكنة بعد الحرب ، لانها كانت السبيل لتعبئة القوى المنتجة للبلاد ، بعد أن شلتها الحرب •

واقتضى هذا النظام العوامل التالية :

– ان تطبيق سياسة تأميم كل مؤسسات الصناعة ، والمبانى ، والتجارة كان يتطلب فى المرحلة الاولى ، اعطاء المؤسسات شكلا حكوميا ، وبخاصة فى الادارة ٠

– ان انحطاط القوى المنتجة فى البلاد ، وعدم المساواة الكبير فى المناطق المختلفة ، والخراب الذى جرته الحرب ، كل هذا كان يتطلب ، فى الأوائل ، تدخلا حاسما من قبل الحكومة فى ميدان الصناعة ، وبخاصة التوزيع والتصنيع ، وتقوية الدفاع الوطنى ، وكان لا بد من التعجيل بتجنيد الموارد الرئيسية ، والقوى المنتجة فى البلاد٠

– لم يكن وعى العمال ، وتنظيمهم قد وصلا بعد حدا كافيا يسمح بتمكينهم من الادارة الذاتية للمؤسسات أو الحكم الذاتى فى الجماعات المحلية ٠

وهكذا خلقت مرحلة الادارة الحكومية للاقتصاد الظروف المادية الأولية للانتقال الى نظام اقتصادى جديد ٠ وكان طابع تلك المرحلة هو تنظيم كل الحياة الاقتصادية للبلاد مباشرة ، وتفصيلا ببرنامج تخطيطى رئيسى ، ما عدا الزراعة ، والمهن التى لم يطبق عليها المشروع بحذافيره ٠

وكان البرنامج يحدد الكميات التى ستنتج ، والكميات التى ستصدر ، والتى ستورد ٠ كما يحدد نسب التوزيع ، أى حصة الاستهلاك الفردى ، وحاجة الانتاج منها ، بل كان يحدد نوع الانتاج ونفقاته ٠

كانت الأجهزة الحكومية ترسم لكل المؤسسات البرامج التى يجب أن تنفذها .. برنامج الانتاج ، وجدول مبيعات المنتجات الجاهزة ، وبيان المواد الخام ، وبيان استخدام الأيدى العاملة وجدول بالاسعار، وبرنامج أعمال الاستثمار .

وكان يوضع برنامج للقطاع الخاص للزراعة ينظم توزيع الثمار ، وبيع المنتجات الزراعية الرئيسية اجباريا ، للدولة .

وكانت الادارة الاقتصادية للمؤسسات جزء من ميزانية الدولة التى كانت تعوض أرباح المؤسسات .

وكان توزيع كل الانتاج الصناعى المخصص للاستهلاك الجارى ، وكذلك المنتجات الغذائية الضرورية ، يتم وفقا لنظام بطاقات التموين، بأسعار محدودة ، ولم يكن يباع فى السوق الحر الا القليل ، وبأسعار باهظة .

المرحلة الثانية

وفى المرحلة الثانية التى بدأت منذ سنة ١٩٥٠ ، أدخل نظام اقتصادى جديد ، طابعه الاساسى حل مركزية الادارة الاقتصادية ودمقرطتها ، وادارة المؤسسات بواسطة المنتجين أنفسهم ، وتقوية الحكم الذاتى فى الجماعيات المحلية ، والتوسع فى حرية تطبيق القوانين الاقتصادية ، والنشاط الاقتصادى .

ومهد لهذا القانون الذى صدر فى ٢٧ يونيو سنة ١٩٥٠ ، باعطاء ادارة المؤسسات الاقتصادية للعمال ، فكان أول فتح فى التاريخ للادارة الاشتراكية لوسائل الانتاج بواسطة المنتجين المباشرين .

ووفقا لأحكام هذا القانون ، نقلت مهام الادارة ، التى كانت تقوم بها من قبل الادارة الحكومية ، ومدير المؤسسة ، إلى الأجهزة التى تنتجها الادارة العمالية المستقلة ، أى مجالس العمال ، ولجان الادارة. ويحتفظ مدير المؤسسة بمهام وظيفته كمدير مباشر للاشراف على سير الانتاج ، وهو مسؤول عن ذلك أمام مجلس العمال ولجنة الادارة . وعلى ذلك لم يضع القانون المذكور الا المبادىء الأساسية للادارة العمالية الذاتية ، وكان لا بد لتطبيقها العملى من عامين أو ثلاثة أعوام من الوضع ، والضبط ، مع اجراء بعض تعديلات ، واضافات، بحيث يمكن اعتبار عامى ١٩٥١ و١٩٥٢ كفترة انتقال من الادارة الحكومية للاقتصاد الى النظام الحالى .

الغاء الوزارات

وفى النصف الأول من سنة ١٩٥٠ ألغيت الوزارات ، وشكلت مجالس فى المجتمعات . ونقل الى هذه المجالس جانب من مهام التخطيط الذى كان ينفذه من قبل المكتب المركزى للتخطيط ، ونقل عدد كبير من المؤسسات التى كانت تديرها حتى الآن الأجهزة الاتحادية للحكومة الاتحادية ، الى الأجهزة المحلية . وكانت المهمة الاساسية لهذه المجالس هى تحليل عملية تنفيذ البرنامج ، وطرح المشاكل المختلفة ، وتقديم المشورة الفنية . ثم ألغيت فى سنة ١٩٥٢، وشكلت بدلها سكرتاريات وادارات ، وهى أجهزة ليست لها أصوات المداولة .

المجلس النيابى هو الأصل

وفى سنة ١٩٥٣ اتخذت خطوة أخرى نحو تقوية الاجهزة التى تمثل السلطة ، فأنشىء مجلس الامة الاتحادى وتولى هو اصدار التشريعات



الرئيس تيتو بين العمال .. عند زيارته لبعض المصانع

والاقتراع عليها • وتتفرع منه الآن غرفة تمثيلية أخرى ، هى مجلس المنتجين ، الذى ينتخب نوابه بواسطة المنتجين المباشرين فى حين يتولى كل المواطنين انتخاب نواب مجلس الأمة الأتحادى •

وفى سنة ١٩٥١ صدر قانون للادارة المخططة للاقتصاد القومى ، ويقضى بأن يتبع التقدم الاقتصادى الاتجاه الذى يحدده البرنامج الاشتراكى الاتحادى ، وتندمج فيه البرامج الاجتماعية للاجهزة الصغرى • وتضع المنظمات الاقتصادية برامجها مستقلة ، مع حساب النسب الاساسية والعناصر التى تضمنتها البرامج الاشتراكية ، والتى تضعها أجهزة نيابية • وهذه النسب الاساسية تمثل الالتزامات العامة للمؤسسات نحو المجتمع •

صورة واضحة للنظام الاقتصادى الحالى

ومنذ سنة ١٩٥٤ ، دخل النظام الاقتصادى فى مرحلة عالية ، وأصبح – تركيبه ـ أى عمليته تدار على الصورة التالية باختصار :

تدير المؤسسات الاجهزة التى ينتخبها المنتجون ، وهى : مجالس العمال ، ولجان الادارة • ويسير العمل فى المؤسسات بحرية ذاتية ، فلا تتقيد فى نشاطها الا بالاحكام العامة للقانون والبرامج الاشتراكية السنوية • وليست المؤسسات ملكا للجماعات التى تعمل فيها ، ولكنها وديعة عندهم ، ليديروا انتاجها • وتوزع الارباح الصافية للمؤسسة ــ أى بعد خصم مصاريف الانتاج بما فيها المرتبات ــ بين الاتحاد ، والجماعة (الكوميون) والمؤسسة، وعمالها وموظفيها ، وفقا لاحكام القانون •

ويقسم جانب الارباح الخاص بالمؤسسة الى جزءين ، جزء يقسم بين

العمال والموظفين ، ويضاف الى مرتباتهم بنسب تتفق ومحصول عملهم ، وجزء يذهب الى الابواب المختلفة للمؤسسة ، كباب الاستثمار ، أو الحصص ، أو الاحتياطى ، أو الحاجات الاجتماعية ، أو بناء المساكن .. الخ .

وتنظم المؤسسة الانتاج بحرية تامة وتحدد نوعه ، ودرجته ، وتتنافس بحرية فى الاسواق الداخلية والخارجية وترتبط ـ بحرية ـ بعلاقات عمل مع المؤسسات الأخرى .

وفى استطاعة المؤسسات أن تشترك بحرية فى غرف الصناعة والتجارة ، بقصد التعاون ، وتحسين الانتاج ، واقامة خدمات مشتركة مثل المعامل والمعاهد .. الخ .

وخطا النظام خطوة هامة الى الامام بانشاء مجالس المنتجين التى تنتخب وفقا للقانون الدستورى ، وقانون اللجان الشعبية ، الصادر فى ١٢ يونيو سنة ١٩٥٢ . ويسمح هذا القانون للمنتجين المباشرين بتكوين أجهزتهم الاقليمية ، وبتقرير توزيع الايراد ، والاشتراك فى تنظيم المسائل المتعلقة بالسياسة الاقتصادية والحياة الاقتصادية للجماعة .

وتعتبر مجالس المنتجين جزءا لا يتجزأ من الاجهزة النيابية لجماعات الشعب ، والجمهوريات الاتحادية ، والاتحاد .

والغرض الاول من كل هذه الاجراءات هو تحديد حقوق وواجبات المؤسسات بدقة ، وان تتيح لها الفرص المتكافئة للعمل بنجاح ، وبذلك تكتسب اداراتها استقرارا ، كما تهدف هذه الاجراءات أيضا الى تحديد واجبات الرقابة الاشتراكية وميدان عملها ، ووضع

المؤسسات فى ظروف تبرز معها المنافسة فى السوق ، ومبادرةالعمال فى الانتاج •

ولا يزعم أحد ان هذا النظام أصبح نهائيا ، أو انه وصل الى حد الكمال • ولكن التطبيق اليومى قد أثبت فعلا صحة أسسه ، وسلامة منطقه ، وهو ما زال عرضة للتحسين والانجاز •• على أن أساس كل هذا النظام ، وهو ادارة وسائل الانتاج بواسطة العمال ، قد أصبح وطيدا ، ولا غناء عنه ، فى يوغوسلافيا بحيث لا يستطيع انسان أن يمحيه • وكان انشاء مجالس العمال هو الرد المستمد من التطبيق الحديث للاشتراكية على السؤال : من ينبغى أن يدير موارد الانتاج ، ومن ينبغى أن يحل محل الرأسمالى فى المؤسسات •

بعد سبعة أعوام

انقضت سبعة أعوام منذ أن سلمت المصانع اليوغوسلافية والمؤسسات الى المنتجين • وقد أملت هذا القرار التاريخى الحاجة لدمقرطة الاقتصاد ، ولتمكين العمال من النهوض بكفاياتهم الخاصة ، ومن المبادرة والاستهلاك ، بعد أن كانت الادارة المركزية للانتاج تقف عقبة فى سبيل ذلك •

وتحققت نتائج ايجابية كثيرة فى هذا السبيل خلال السبع سنين الماضية ، تبين كيف اجتازت الطبقات العمالية اليوغوسلافية بنجاح، هذه التجربة فى ميدان البناء الاشتراكى الكبير • فقد كانت مجالس العمال مدرسة جبارة ، اشترك فيها ثلث العمال الموظفين ، أى أكثر من ٦٠٠ر٠٠٠ عامل ، وكانت فترة التجربة شديدة الصعاب بالنسبة ليوغوسلافيا ، اذ كان عليها أن تكافح صعاب غير مذللة ، وبخاصة فى الميدان الاقتصادى • ورفع العمال العبء الاساسى ، وتحملوا الكثير

من العناء والتضحية ، لتحقيق تصنيع البلاد وتقدمها ٠٠ واليوم يمكن أن يقال بفخر أن عمل الطبقة العمالية فى الادارة العمالية قد ساهم بأكبر قسط فى انقاذ يوغوسلافيا من صعابها ٠

هذه هى الديموقراطية الحقيقية

عند ما أنكر هؤلاء المتغطرسون قيمة نظامنا للادارة العمالية ، ووصفوه بالفوضى وما شابهها ، لم نكن بحاجة قط لاقامة الدليل النظرى ، على صحة هذا النظام ، وفاعليته الخارقة ، لانه أثبت قيمته فى التطبيق ٠٠ وأثبت هذا التطبيق حيويته ، فان ادارة المنتجين لوسائل الانتاج هو تحقيق للعلاقات الديموقراطية ، والاشتراكية الحقيقية فى ميدان الانتاج ٠

أصدقوا القول عن يوغوسلافيا

ولم يخطر لليوغوسلافيين فرض نظامهم على أحد ، كما كان يذاع، على أنه من واجبنا الدفاع عنه من هؤلاء الصمم العمى ، الذين يرفضون رؤية الحقيقة ٠ وليس فى عزمنا أن ندخل فى مسابقة أو مناظرة عن أى الأنظمة أحسن ، وأكثر ديموقراطية ، لان الجماهير الساحقة من العمال فى كل بلد اشتراكى ، هى أحسن حكم على ذلك ٠ وقد خلص عمالنا الى أن ادارتهم للمصانع والمؤسسات هو عمل عظيم ، يكسبهم أحسن طموح لتحقيق حياة أسعد ، وأكثر خيرا ٠

وما دامت طبقاتنا العمالية راضية عن مثل هذا النظام ، فاننى مقتنع ـ فى أعماقى ـ بأنها مستعدة فى كل وقت للدفاع عنه وعن نتائجه العظيمة ، حتى ولو بدمائها ، ولذلك فمن العسير أن نفهم لماذا

يهتم البعض خارج بلادنا بما اذا كان نظامنا للادارة العمالية ، هو نظام حسن أم لا ، ولماذا ينكرون عليه طابعه الاشتراكى ، وأسجل بهذه المناسبة أن بعض النقاد ـ خارج بلادنا ـ كثيرا ما يتصدون للحكم على الأشياء فيما اذا كانت اشتراكية أم لا ، بالرغم من أن كثيرا منهم ليست لهم الصفات اللازمة لتناول مثل هذه الاحكام .

وأعتقد أن الوقت قد حان لوضع حد لذلك ، وعلى كل بلد أن يهتم بشئونه أولا ، وأن يدع كل بلد يبنى الاشتراكية كما يعرفها ، وكما تسمح له ظروفه ، وبذلك يمكن للبلاد الاشتراكية أن ترتبط بعلاقات ودية .

وليس ما يسمونه « نقد الرفاق » الذى ينكر كل شيء بنائى فى يوغوسلافيا ، هو الطريق لخلق الثقة والصداقة . بل ينبغى أن تقوم العلاقات الطيبة على الاخلاص ، والثقة ، ولا يمكن خداعنا بالكلمات التى لا تتفق مع التطبيق .

اننا نطلب أن يكتب ، ويقال عنا ، صدقا ، ولا تخفى الحقائق الايجابية ، وتستغل الاشياء السلبية ، وأظن أن هذا هو أغلى ماتطلبه من رفاقنا فى البلاد الديموقراطية الشعبية ، والاشتراكية ، والبلاد الاخرى أيضا .

وما على هؤلاء الذين يتصدون للنظام الاشتراكى فى يوغوسلافيا بالنقد الا أن يجيئوا الى المصانع اليوغوسلافية ، وأن يتحدثوا مع العمال ، ثم يحاولوا أن يفهموا أين تقع أسس الديموقراطية الحقيقية ، هل هى فى اعطاء الحق الشرعى لكل رأسمالى ليستغل عمل الآخرين، ويثرى هو ، أو حيث توضع وسائل الانتاج تحت تصرف المنتجين أنفسهم ، وتشترك الاغلبية الساحقة من الشعب فى ادارة الاقتصاد، وحكم كل حقل آخر فى الحياة الاجتماعية .

لقد قضت ادارة المنتجين المباشرين للمصانع على البقية الباقية من نظام الادارة الاشتراكية المباشر فى الاقتصاد قد عجل بالقضاء على التناقض الاجتماعى فى العالم الحالى ، وهو التناقض بين المصالح العامة والخاصة ، والتناقض بين العمل الثقافى واليدوى • فقامت الوحدة بين العمل الانتاجى والعمل الذهنى فى الادارة • وبفضل مجالس العمال أصبح لا غناء عن العلاقات الاجتماعية الاشتراكية للطبقة العاملة •

وليس أدل على نجاح هذا النظام من النهضة الاقتصادية الكبيرة خلال السبعة أعوام الماضية • فقد بلغ متوسط الزيادة السنوية فى الانتاج الصناعى ١٢ فى المائة ، وزادت قيمة الدخل القومى خلال أربعة أعوام بنسبة ٥٧ فى المائة ، وزادت سلع الاستهلاك فى نفس المدة بنسبة ٨١ فى المائة ، وكذلك الحال فى شتى فروع الاقتصاد • وقد أثبتت التجربة على انه فى استطاعة الطبقة العاملة فى البلاد المتخلفة أن تحل بنجاح محل كلا من الرأسماليين ، وجهاز الدولة •

لقد أصبح من الضرورى أن يعطى المنتجون ــ العمال ــ حريات أكثر للتصرف فى أموالهم، اذ انه أصبح من الضرورى لاضطرادالتقدم زيادة استقلال المؤسسة ، وأن يتحول نظام الاجور الى نظام الارباح•

كيف تحكم يوغوسلافيا

يقوم نظام الدولة فى يوغوسلافيا على أساس مواد القانون الدستورى الصادر فى سنة ١٩٥٣ ، وهو الذى هذب أكثر مواد الدستور الاول ، الذى وضع بعد الحرب مباشرة ، على ضوء التقدم السياسى والاجتماعى للبلاد ٠

وكل أجهزة سلطة الدولة فى يوغوسلافيا ذات طابع مشترك ، ابتداء من مجلس الشعب الاتحادى (البرلمان) ومجالس الشعب فى الست جمهوريات ، الى لجان الشعب فى الاحياء والجماعات ٠ فهى هيئات تمثيلية تتكون من مجلسين ، يتوليان تقرير كل الاشياء الهامة على أساس من المساواة ، فهناك مجلس يمثل فيه الشعب على أساس اقليمى ، ومجلس للمنتجين ، وهو نوع فريد من الهيئات التمثيلية لايوجد الا فى يوغوسلافيا ، ويعطى للطبقات العاملة دورا حاسما فى حل المشاكل العامة ، وبخاصة الاقتصادية ٠ ويقوم بالانتخاب لهذه الهيئة الاخيرة جماعات المنتجين ، فى الصناعة ، والزراعة ، والتجارة ، والفنون ، والاعمال اليدوية ٠ ويحدد عدد الممثلين فى كل جماعة وفقا للحد الذى تشترك فيه الجماعة فى خلق مجموع الانتاج الاشتراكى ٠

أعلا الهيئات التمثيلية ذات السيادة

أعلا هيئة تمثل سلطة الدولة للاتحاد ، وممثلة السيادة الشعبية ، هى (البرلمان) المجلس الاتحادى الشعبى ٠ ويشمل اختصاصه

تعديل الدستور ، وانتخاب ، وعزل رئيس الجمهورية ، وأعضاء المجلس الاتحادى التنفيذى ، وقضاة المحكمة العليا،واصدار التشريعات العامة والاساسية ، واقامة المشروع الاتحادى الاقتصادى ، والميزانية، وتقرير سياسة البلد الداخلية والخارجية ، واعلان حالة الحرب ، وتقرير السلم ، والتصديق على المعاهدات الدولية الهامة ٠

ويصدر مجلس الشعب الاتحادى البيانات والقرارات فى المسائل الاخرى أيضا ، ذات المصلحة المشتركة ، ويصدر التوصيات الخاصة بعمل أجهزة الدولة ، والمؤسسات والشركات الاقتصادية المستقلة ذاتيا ٠

وينتخب مجلس الشعب الاتحادى لمدة أربعة أعوام ، ويتألف من مجلسين : المجلس الاتحادى وعدد أعضائه ٣٥٢ نائبا ، ومجلس المنتجين وعدد أعضائه ٢٠٢ نائبا ٠ ويقوم المواطنون بانتخاب أعضاء المجلس الاتحادى فى الدوائر الانتخابية على أساس الانتخاب العام ، المباشر ، المتساوى ، ويجري الاقتراع سرا ، وينتخب نائب واحد لكل ٦٠٫٠٠٠ مواطن ، وتقوم بانتخاب أعضاء المجلس الثانى ـ مجلس المنتجين ـ الهيئات الانتخابية المؤلفة من أعضاء مجالس المنتجين فى اللجان الشعبية ، من الدوائر الانتخابية الاقليمية ٠

ويباشر مجلس الشعب الاتحادى حقوقه عن طريق رئيس الجمهورية ، ورئيس المجلس الاتحادى التنفيذى ، الذى يراقب تنفيذ القوانين ، ويقدم مسودات التشريعات للجمعية ، ويحدد اتجاهات العمل للاجهزة الاتحادية للادارة ، ويؤدى واجبات أخرى ، وفقا لاحكام الدستور ٠

الغاء مجلس الوزراء والوزارات

وقد ألغى مجلس الوزراء وحل محله المجلس التنفيذى الاتحادى ،

ومهمته الاشراف السياسى العام على الجهاز الادارى للدولة ، وأنشئت الى جانبه وحدات ادارية أخرى مستقلة أطلق عليها اسم « سكرتيرية الدولة » بدلا من الوزارة •• فيقال سكرتيرية الدولة للشئون الخارجية ، بدلا من وزارة الخارجية وهكذا •

ولاعضاء البرلمان حق استجواب أعضاء المجلس التنفيذى الاتحادى، كل فى ميادين اختصاصه ، كما أن من حق أعضاء جمعيات الناخبين استجواب النواب عن نشاطهم ، ويقضى القانون بأن يقدم النائب ، حسابا لناخبيه عن نشاطه ، وكذلك الحال مع أعضاء المجلس واللجان الاخرى ، ومن حق المواطنين ابطال تمثيل النواب لهم •

لجان الشعب

وثمة جهاز آخر هام هو لجان الشعب ، وينتخب أعضاؤها انتخابا مباشرا ، وتتفرع منها خمسة مجالس : الاقتصاد ، والمنافع العامة ، والتربية والتعليم ، والصحة والرعاية الاجتماعية ، والشئون الداخلية •

وتتمتع لجان الشعب بأوسع السلطات • وتتولى الانفاق من الحصيلة المتجمعة لها على خدمات التعليم والصحة والتأمينات الاجتماعية ، وتشرف المجالس المتفرعة منها على نظافة كل حى ، وحدائقه ومواصلاته ، وهكذا يتولى الاهالى أمورهم بأنفسهم ، ويبلغ عدد لجان الشعب فى الاحياء ١٠٧ لجنة • وتتألف من مجلسين ، ولا يتقاضى الاعضاء أى أجر على عضويتهم لها ، ولكن لهم الحق فى صرف ما ينفقونه عن تأدية واجباتهم ، وتعويضهم عما يفقدوه من أرباح عملهم أثناء تأدية مثل هذا الواجب • ويوجد فى يوغوسلافيا الآن ١٤٧١ مجتمع ، منها ٥٦٣ مجتمع يتراوح سكان كل واحد من ٥٠٠٠

الى ١٠٠٠٠ ساكن . وهناك ١٠٧ أحياء ، يتراوح سكان بعضها بين ٠٠٠ر١٠٠ر٠٠٠ر٢٠٠ ساكن .

وبيلغ عدد المجالس البلدية فى يوغوسلافيا ١٤٧١ مجلس ، وعدد الامضاء فى المجالس المتفرعة منهـا كما يلى : مجـالس الاقتصـاد : ٦٦٥ر١٤ ، مجالس السياسة الاجتماعية والصحية العامة ٣٦٧ر١٤ ، مجالس التعليم ٢٤٦ر١٢ ، مجالس الاسكان والاشغال المحلية ١٠٦ر٨ ، مجالس الادارة العامة ٩٧٥ر٩ ، مجالس علاقات العمل ٤١٠ر٢ .

نظام الحكم الذاتى :

هو نتيجة التطورات الاجتماعية والسياسية العامة فى يوغوسلافيا، وبخاصة منذ سنة ١٩٥٠ ، ويقوم على أسس الملكية الاشـتراكية لوسائل الانتاج ، والحكم الذاتى للمنتجين فى ميدان الاقتصاد وتعميم نظام الادارة الاشتراكية فى كل نواحى الحياة .

والحكم الذاتى المحلى هو تأكيد وضمان لاجراءين هامين فى نظام الحكم ، وهى حل المركزية ، والتخلص من سيطرة الدولة المطلقة .

ولا تقتصر مظاهر الحكم الذاتى على لجـان الشعب ، ومجالسها ، فهناك أيضا مجالس العمال التى تدير المصانع ، وهناك الحكم الذاتى للمؤسسات الاقتصادية المستقلة .. الخ . وكل ذلك يهيىء الفرص الكافية لاشراف الاهالى على الاجهزة التنفيذية واشراكهم فى ادارتها ، وتوجيه نشاطها ، والقضاء على المركزية والبيروقراطية ، فالمستشفى فى أحياء المدينة لايخضع لرقابة وزارة الصحة ، وانمـا لرقابة لجنـة الشعب فى الحى ، وأعضاء هذه اللجنة خاضـعين لرقابة المواطنـين المباشرة .

الإدارة فى يد المنتجين بعــــد تولى العمال ادارة المصانع

أمثلة من التطبيق العمالى لهذا النظام

رسم القانون الخاص بادارة مؤسسات الدولة الاقتصادية بواسطة مجموعات العمال منذ سنة ١٩٥٠ ، أسس الحكم الذاتى للمنتجين المباشرين ، وقد قدر الرئيس تيتو أهمية هذا العمل ، فصرح بأن سن هذا القانون هو أهم حدث تاريخى قام به مجلس الشعب بعد تشريع القانون الخاص بتأميم وسائل الانتاج ٠

ومنذ ذلك الوقت اتبع فى يوغوسلافيا المبدأ القائل بأن مشاكل الاقتصاد الرئيسية يجب أن تعالج بواسطة المنتجين المباشرين أنفسهم الذين يحققون هـذا المبـدأ لا عن طريق مجالس العمال ، ومجالس الادارة للمؤسسات فقط ، بل عن طريق ممثليهم فى مجالس المنتجين فى كل أجهزة السلطة ٠

وقد جاء نشاط مجالس العمال ، ومجالس الادارة حاليا ، مؤيدا للمبررات السياسية والاقتصادية للأخذ بنظام الحكم الذاتى للعمال٠ فقد كشفت المجالس الاولى للعمال ، ومجالس الادارة عن اهتمام كبير بكل المشاكل الرئيسية لمؤسســاتهم ٠ ومن الطبيعى أنهم كانوا فى البداية أكثر توجيها الى المهام التى كانت ألصق بالعمال وأقرب الى أفهامهم٠ وكان من دواعى الفخر ما أبدوه من محاولات لزيادة الانتاج، وزيادة القوى الانتاجية والنهوض بالتنظيم ، ورفع مستوى العمل ،

ومستوى المعيشة للعمال ٠

وبفضل اهتمام العمال الحيوى بالحكم الذاتى ، ونقول بفضل ذلك مرة أخرى ، أخذت مجالس العمال توسع باستمرار من عام الى آخر ميدان أعمالها ، وتتغلغل باضطراد فى أعقد مشاكل المؤسسات ، وتحسن باستمرار فى طرق أعمالها ، وتكافح فى سبيل جمع أوسع قطاعات للعمال لحل كل المشاكل ، حتى أصعبها تعقيدا ٠

وتدل مضابط الدورات السابقة على أن أجهزة الحكم الذاتى للعمال كانت نشيطة جدا فى العام الماضى ٠ وقد استرعت الأسئلة المتعلقة بمشروعات المؤسسات ، وبيانات حساباتها ، اهتمام ٩٨ ٠/٠ من أعضاء مجلس العمال أثناء اجتماعاتهم ، وتركز اهتمام كل المؤسسات فى جداول الأجور والمرتبات ، ونشاط مجالس الادارة ، وتكاليف الانتاج ، وكميات العمل ، وخواص وتصميم السلع ٠ ولوحظ أن حوالى ٨٠ ٠/٠ من مجالس العمال قد عالج فى دوراتهم (اجتماعاتهم) علاقات العمل ، والنظام ، وتوزيع الأرباح ، وعالج ٦٣ ٠/٠ منهم مسائل التأمين الاجتماعى والصحى ٠ وأهتم أكثر من ثلثى مجالس العمال بالأسئلة الخاصة بتدريب الموظفين ، بينما اهتم ٤٥ ٠/٠ منهم فقط فى هذه الاجتماعات بمشاكل الجماعات فى الاحياء التى يقيمون فيها ٠

وبلغ عدد أعضاء مجالس الادارة فى سنة ١٩٥٥ ٥٤٫٤٦٢ بنسبة ١٠٠ ٠/٠ منهم ٤١٫٧١٧ المستخدمون مباشرة فى الانتاج بنسبة ٧٦٫٦ ، و٣٫٥٩٢ من النساء بنسبة ٩٫٩ ، و٣٫٣٨١ من الشبان بنسبة ٦٫٢ ٠

وتدل هذه الاحصاءات القليلة على أن أجهزة الحكم الذاتى فى فروع

الاقتصاد قد عالجت ، كثيرا أو قليلا ، كل المشاكل التى يتعرض لها العمل فى المؤسسات .

مثل عمل على تطبيق نظام الادارة الذاتية للعمال

يعتبر مصنع « راديه كونشار » فى مدينة زغرب والذى نفذ فيه عمل أجهزة الحكم الذاتى للعمال ، من أحدث مؤسسات صناعة المعادن فى يوغوسلافيا .

ويدير هذا المصنع ، مثل بقية المؤسسات اليوغوسلافية ، العمال المنتجون أنفسهم .

عضوية العمال فى اللجان

وتضم أجهزة الحكم الذاتى لمصنع « راديه كونشار » اليوم أكثر من ٤٠٠ عاملا وموظفا ، يشتركون بصفة مباشرة فى ادارة المصنع . وبالاضافة الى مجلس العمال المركزى ، والذى يضم ٦١ عضوا ، فهناك احدى عشر مجلس ، انتخبت لاقسام المصنع المختلفة ، وتضم ٢٤٠ عضوا ، ويشمل مجلس العمال أيضا سبع لجان ، تضم عددا لا بأس به من العمال ، وتختص هذه اللجان بالمسائل الشخصية المتعلقة بالثقافة العامة ، والالتماسات والاستئنافات ، والأجور والمرتبات ، وتنسيق العمل مع المجالس الفرعية للمؤسسة ، وحماية الصحة . وتكونت فى المجالس الفرعية عدة لجان أيضا ، حتى وصل الأمر فى مصنع « راديه كونشار » الذى يبلغ عدد عماله ٤٠٠٠ عامل — الى أن من بين كل تسعة عمال يوجد عامل يشترك فى أحد أجهزة الحكم الذاتى للعمال .

وتختص هذه الاجهزة الادارية بتحضير الاجتماعات، واطلاع العمال على مشاكل المصنع • وتعقد اجتماعات المجلس المركزى للعمال مرتين فى الشهر ، ويعقد مجلس الادارة اجتماعا أسبوعيا (وهــو الجهاز التنفيذى لمجلس العمال) •

ويطلع أعضاء مجلس العمال بأنفسهم قبل ذلك على كل مسألة ستناقش فى الاجتماع ، حتى يسهل عرضها باختصار ، ويبدون فيها رأيهم ، ويحرص الاعضاء على حضور اجتماعاتهم •

وفى كل ثلاثة شــهور يحلل مجلس العــمال نتيجة تأدية برنامج الانتاج فى المدة السابقة • ولكى يتاح للاعضاء متابعة تنفيذ البرنامج توزع عليهم نشرة اخبارية كل شهر ، كما يوزع عليهم تقرير مفصل، يحمل الشرح الكافى والبيانات اللازمة ، ثم مسودة برنامج التنفيذ ، والخطط التى يجب اتباعها مستقبلا لتكفل النجاح •

ويعقد أعضاء مجلس العمال ، عقب كل دورة مماثلة ، اجتماعات للعمال الذين انتخبوهم ، لاطلاعهم على النتائج ، ويطلب من ممثــلى مجالس المصالح حضور دورات مجلس العمال ليلموا بنشاط الجهاز الرئيسى ، ويعقدون دورات لهم كل شهر •

وتتميز اجتماعات العمال بالمناقشات الحيوية، ويناضل المشتركون فيها دفاعا عن آرائهم ، ولكن الأمر ينتهى دائما الى اتفاق فى النهاية على رأى الاغلبية •

ادارة العمال للمصانع فى يوغوسلافيا
أمثلة من التطبيق العملى

« المصانع للعمال ، هل يعنى ذلك أن تصبح المصانع ملكا للعمال ؟»

أسيء فهم هذا المعنى ، وبخاصة عند الزوار الاجانب ، اذ لم يفهموا أن المصانع للعمال ، تعنى « ادارة العمال للمصانع » فلو أعطيت ملكيات المؤسسات للعمال الذين يعملون فيها لكانت خطوة رجعية ، ولادت الى تفتيت الملكية الاشتراكية ، هذا الى أن الصناعة الحديثة المعاصرة ، والزراعة الحديثة والنقل ، تتطلب تركيز مقومات وموجودات الصناعة لا بعثرتها ، وتتطلب تضامن رأس المال والموارد على أساس كبير ، وجعل الانتاج اشتراكى •

والحكومة الذاتية للعمال هى اعطاء المنتجين المباشرين حق ادارة هذا القسم من الملكية الاشتراكية الذى أعطى لهم لاستعماله ، وليس كملكية خاصة بهم وبهذا الوصف فقط تصبح نظاما تقدميا •

ما هى حقوق الاجهزة الادارية فى المؤسسات ؟

تتمتع الاجهزة الادارية للمؤسسة بكامل الحقوق فى الادارة واتخاذ القرارات • وقد حدد القانون حقوق واختصاصات مجالس العمال • ومجالس الادارة ، والمديرون • مثال ذلك ، ان مجالس العمال تتولى :

ـ الموافقة على مشروعات وحسابات المؤسسة

ـ تضع نتائج ادارة المؤسسة

ـ انتخاب ، وعزل ، واستبدال مجلس ادارة المؤسسة ، أو الاعضاء الفرديين ٠

ـ اصدار اللوائح المنظمة للمؤسسة ٠

ـ توزيع ما تبقى من الارباح تحت تصرف المؤسسة ، وجماعة العمال ٠

على أن مجلس العمال لا يقتصر على هذه الحقوق ، بل يتعداها الى الرقابة الكاملة ، ويجتمع فى فترات ، أقصاها ست أسابيع ٠

أما مجلس الادارة فهو جهاز تنفيذى جماعى ، ويجتمع أكثر من مرة فى الاسبوع ، ليتخذ قرارات فى أهم الواجبات الحالية ، ولينفذ النتائج التى يضعها مجلس العمال ، ولذلك فان تبعاته كثيرة ، فهو الذى يحضر مسودة المشروعات الاساسية للمؤسسة ، ويحضر المقترحات للمنظمة الداخلية المؤسسة ، واجتماعات ، واطلاع العمال على مشاكل المصنع ، وما الى ذلك من شئون المؤسسة ٠

أما مدير المؤسسة الذى هو بحكم وظيفته عضو فى مجلس الادارة، فانه يتمتع بسلطات فنية ، وعملية ، فهو الذى يشرف على سير الانتاج٠وقد دلت التجربة على أن الادارة العمالية هى خير معين للمدير على القيام بمهام أعماله ، كما ثبت بالتطبيق على أن العلاقات الداخلية فى المصنع تساعد كثيرا على تنسيق العمل بين الاجهزة ٠

اتحادات النقابات والحكم الذاتى للعمال

أدى نظام الحكم الذاتى للعمال ، وانشاء مجالس المنتجين فى كل الهيئات التمثيلية للحكومة الشعبية اليوغوسلافية ، الى تمكين العمال من تقرير وضعهم الاقتصادى مباشرة • فالعمال فى يوغوسلافيا اليوم يديرون المؤسسات ، ويقررون توزيع الربح الزائد للمؤسسات ، ولم يعودوا يلقون معارضة من الموظفين ، أو الرأسماليين ، أو الدولة • بل انهم يقررون — بحرية — كل المسائل المتعلقة بالانتاج ، وتوزيع ثمار العمل فى المؤسسات ، فى حدود مواد المشروع الاقتصادى التى توافق عليه الهيئة التمثيلية ، التى من فروعها مجلس المنتجين ، ويمثل فيه المنتجون المباشرون • وبذلك يتلاشى بالتدريج دور اتحاد النقابات فى حماية المصالح الاقتصادية للعمال ، ولم تصبح اتحادات النقابات حامية العمال ، لان العمال يقررون بأنفسهم مركزهم المادى • وتحولت علاقات العامل وصاحب العمل السابقة ، الى علاقات داخلية للعمال أنفسهم ، والى علاقات بين العمال أنفسهم • وعلى ذلك أصبح دور اتحادات النقابات هو رقابة العمال الجماعية للشئون الاقتصادية ، لتساعد على القضاء على ضعف ، وفشل أجهزة الحكومة الذاتية • فعلى الطبقة العاملة أن تقضى على ضعفها ، أى ضعف وفشل الاجهزة التى تنتخبها من بين صفوفها ، وكذلك فانها تقضى على النقص فى العمل ، والتشريعات الاقتصادية التى تشترك فى الموافقة عليها عن طريق مجالس المنتجين فى كل الهيئات التمثيلية ، من البلدية الى البرلمان •

ولم تعد مهمة اتحادات النقابات الضغط ، بل التعاون مع أجهزة الادارة العمالية ، ومجالس المنتجين ، بتقديم الاقتراحات ، والنقد ،



الرئيس تيتو مع رجال المستقبل

والواجب الاساسى لاتحادات النقابات هو الدفاع عن مصالح الطبقة العمالية كمجموعة والمصالح الفردية للعمال ٠

وقد خلق نظام الحكم الذاتى للعمال الظروف للعمال لكى تلعب دورا حاسما في ميادين الانتاج ، والصحة العامة ، والتأمين الاجتماعى ، والتعليم ، والثقافة ٠

وأصبح الواجب الاساسى لاتحاد النقابات هو تدريب العمال ، وتمكينهم من مباشرة ادارة الانتاج ، وأعمالا أخرى فى الحياة الاجتماعية ٠ وقد كونت اتحادات النقابات ١١٠٠ جمعية ثقافية وفنية ، تضم ١٣٠ر٠٠٠ عضو عامل ؛ و ٢٣٦١ معهدا ثقافيا وفنيا تضم ٢١٠ر٠٠٠ عضو ٠

وتنشر الاتحادات ٢٨ صحيفة ، توزع ٣٣٠ر٠٠٠ نسخة ٠ وكان أعضاء اتحادات العمال فى سنة ١٩٥٥ ، ١ر٥٧٠ر٠٠٠ عامل ، أى ٨٠ ٠/٠ من مجموع العمال وموظفى المكاتب ٠ ومن هذه الاتحادات ٣٣ اتحادا مقيدا في الاتحاد العام لنقابات العمال ٠

العلاقات السياسية الدولية

التوتر والمتناقضات فى العلاقات الدولية المعاصرة

عالم اليوم غيره بالامس ، فقد حدثت تغييرات جوهرية فى العلاقات الدولية بعد الحرب العالمية الثانية ، وتغير ميزان القوى السياسية ، والاجتماعية فى العالم ، وضاق مجال الاستعمار بنسبة كبيرة ، فى حين اتسع المجال أمام القوى الاشتراكية ، والقوى المحبة للسلام • وخر النظام الاستعماری فی مناطق شاسعة من العالم •. وفازت شعوب كثيرة باستقلالها ، بل استقلت قارات بأسرها ، كانت لوقت طويل نهبا للاستعمار ، وبقرة حلوب للاستغلال • فأصبحت اليوم من العوامل النشيطة فى العلاقات الدولية المعاصرة ، ومنيت الفاشية بأكبر فشل ، وكانت تمثل أقسى قوى للرجعية فى هذا العصر ، وباتت الانسانية ، بعدما قاست من آلام ، وأهوال الحربين العالميتين ، أكثر تصميما اليوم ، عن أى وقت مضى ، على مقاومة تلك الاتجاهات ، والقوى التى تقودها الى كوارث جديدة •

وما زال الصراع فى سبيل السيطرة يشكل تهديدا جديا لعالم اليوم ، وما زالت هناك علاقات غير متكافئة بين الدول والشعوب ، وها هو التخلف الاقتصادى يشيع فى مناطق كثيرة من العالم ، بل انه ليزداد وضوحا ، وهو أيضا من نتائج عدم التكافؤ السياسى • وبالرغم من انهيار الشكل القديم للنظام الاستعمارى لاقتصاديات العالم ، الا أن الاستعمار قائم بأشكال جديدة ، وهو يقسم العالم

الآن الى دول متقدمة صناعيا ، ودول متخلفة اقتصاديا ، ويقتصر دور هذه على توريد المواد الخام • ولم تهن محاولات الدول الكبيرة للتوسع الاقتصادى ، وزيادة ثرواتها،عن طريق السيطرة الاقتصادية، والسياسية ، وضم مناطق كبيرة من العالم •

وتولدت من أنقاض الاستعمار الكلاسيكى القديم ، أشكال جديدة « للاستعمار الجديد » •

ويهدف الاستعمار الجديد الى استغلال التخلف الاقتصادى ، والفقر ، ومتاعب بعض البلاد ، وبخاصة تلك التى تعانى أشد المتاعب الداخلية على اثر تخلصها من الاستعمار ، ليدخلها تحت طراز جديد من التبعية الاقتصادية والسياسية • والشكل الجديد لهذا النوع من الاستعمار هو أن تتلقى البلاد مساعدات من الدول الكبرى ، وتظل تابعة لها • وعلى هذا الاساس ظلت سيطرة الدول الكبيرة قائمة فى العالم ، بعد أن اتخذت شكلا جديدا • ويساير الكفاح لهذا الطراز من السيادة الظروف الدولية المعاصرة ، وغالبا ما يغلف بعبارات براقة عن الانسانية ، والاهتمام بالمناطق المتخلفة ، والمساعدات الخالية من الانانية •• الخ •

وليس الكفاح ضد الاشكال الجديدة للاستعمار ، والسيادة ، بأقل ضرورة الآن مما كان عليه الكفاح ضد الاستعمار الكلاسيكى القديم •

وقد خلفت الحرب العالمية الثانية كثيرا من المشاكل بغير حل ، وكانت حلولها تتأخر دائما • وسممت سياسة المصالح الشخصية العلاقات الدولية ، وما زالت تسممها •

وفى المانيا ، وكوريا ، وفيتنام ، تعيش الشعوب منقسمة ؛ فى

دول مختلفة النظم الاجتماعية ، تقسمها حدود صناعية ، ويسودها النزاع والخصام ٠

ولهذه العوامل مجتمعة ، لا يمكن القول بأن العالم مستقر ، بل انه يعيش منذ نهاية الحرب العالمية الثانية فى جو من القلق والتوتر ، أما لماذا لا يمكن للعلاقات الدولية أن تستقر على أسس أشد صلابة ، فيرجع أولا الى أن حدة المتناقضات الحالية ما زالت تفرض فى مجال العلاقات الدولية سياسة الارتكاز على دولة كبيرة ، أو معسكر ٠ ولما كانت مثل هذه السياسة تشجع تجار الحروب ، وتحفز على التسلح ، وتؤدى الى تكتيل البلاد ، وزيادة الكتل العسكرية ، والاحلاف العسكرية والاقتصادية ، واقامة القواعد العسكرية ، وحشد الفرق الاجنبية على حدود البلاد الاخرى ، ونمو الميزانيات العسكرية ، والى تحميل الطبقة العاملة العبء الثقيل الذى توجبه النفقات العسكرية ، وغيرها من النفقات غير المثمرة ٠

تقسيم العالم الى كتل عسكرية ـ سياسية متنازعة ونتائج ذلك

يرجع قيام الكتل العسكرية ـ السياسية فى عالم اليوم ـ بالاضافة الى الاسباب الاجتماعية والسياسية ـ الى الطريقة التى حلت بها مشاكل العالم خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها ٠ والتى بدأت بتقسيم العالم الى مناطق نفوذ ، وما شابه ذلك من الاشكال السياسية، فى المؤتمرات التى عقدها زعماء الدول الحليفة فى طهران ، ويالتا ، وبوتسدام ، وكان هذا تعبيرا عن سياسة القوة ، والصراع فى سبيل السيطرة ، وأهملت مصالح العالم ، والتقدم الاشتراكى للمجتمع ٠ وأدى الخوف من أن يخل أى تغيير فى الاوضاع القائمة ، بميزان القوى ، الى الحيلولة دون حل أى مشكلة من المشاكل القائمة ٠ وكانت النتيجة

المنطقية لتلك السياسة هى توتر العلاقات الدولية وانشاء الكتل العسكرية ـ السياسية ، والتسابق فى التسلح ٠

وأدى تقسيم العالم الى كتل عسكرية ـ سياسية متنازعة أيضا الى تقسيم العالم اقتصاديا ، مما زاد فى حدة المتناقضات السياسية فى العلاقات الدولية ٠

وأعاق تقسيم العالم الى كتل تحقيق فكرة التعايش السلمى ، بما تحمله من احترام استقلال الشعوب وسيادتها ٠

كما عرقل هذا التقسيم التوسع فى التعاون الثقافى وشتى ألوان التعاون بين الشعوب ، التى ظلت تجهل المعلومات عن بعضها ، مما أشاع عدم الثقة ٠

وهيأ قيام الكتل الظروف للقوى الرجعية لاخماد التقدم الداخلى فى البلاد الفردية بحجة وجود خطر خارجى ٠

وتعارض يوغوسلافيا الاشتراكية تقسيم العالم الى كتل ، لان هذه الكتل تحول دون انشاء صلات سياسية ، واقتصادية ، وثقافية حرة ، معقولة ، بين الشعوب ، الامر الذى يعوق التقدم الاشتراكى للعالم ٠

وتعتمد يوغوسلافيا الاشتراكية فى سياستها المستقلة أيضا على تجاربها التاريخية ، فقد كانت سياسة تقسيم العالم الى مناطق مصلحية ، تستهدف دائما فرض السيادة ، أو الحكم الاستعمارى على الشعوب الصغيرة ٠ ولم تجلب هذه السياسة السلام. ولكنها كانت غالبا ما تمهد لنزاع جديد ٠ ومن الطبيعى أن توجه يوغوسلافيا الاشتراكية كل جهودها للتقدم الداخلى ، الحر من أى ضغط خارجى ٠

المغزى التاريخى للكفاح فى سبيل الاستقلال القومى

لا يتعارض الكفاح فى سبيل توطيد استقلال البلاد الفردية مع تقدم التعاون الدولى على أوسع نطاق ، ولكن ذلك فى الحقيقة نقطه البداية لزيادة التقارب بين الشعوب ، ومواصلة التقدم الديموقراطى ، وتفاهم العالم فى الميادين الاقتصادية ، والسياسية ، والثقافية • ولا يمكن أن يتحقق التعاون ، والتفاهم التام الا بين شعوب مستقلة ، متكافئة •

ومفهوم الاستقلال السياسى والاقتصادى عند الشيوعيين اليوغوسلافيين هو أن تقبل الشعوب ، أو الدول المستقلة اختياريا وعلى أساس المساواة ـ الالتزامات الدولية التى تلائم مصالحها الخاصة ، ومصالح الشعوب الاخرى • وكذلك عدم فرض ارادة دولة على أخرى • وعلى ذلك فان كفاح الشعوب فى سبيل الاستقلال السياسى والاقتصادى فى الظروف الحالية ، لا يعنى الانسحاب الى نطاق حدودها ، بل انه يعنى على النقيض اتحاد الشعوب ، وتقاربها ، ثم ارتباطها فى عالم واحد على أسس المساواة الكاملة ، مع المحافظة على مصالحها الخاصة •

ولا يعنى كفاح شيوعى يوغوسلافيا للمحافظة على استقلال بلادهم عزلتهم عن بقية العالم •

ولم يكن النزاع الذى نشأ فى ١٩٤٨ ، بسبب مقاومة الحزب الشيوعى اليوغوسلافى لسياسة ستالين، تعبيرا عن أى رغبة للانسحاب، والعزلة ، بل كان تعبيرا عن مقاومة سياسة خاطئة ، من شأنها الاضرار بالتقدم الاشتراكى • وكان قرار الكومنفورم يهدف الى تسويغ عدم المساواة فى العلاقات بين الدول الاشتراكية ، واعطاءها قوة القانون • ولم يكن القرار فى الواقع الا قضاء على استقلال الشعوب ، وحرياتها فى النهوض بالعلاقات الاشتراكية •

لقد كان ما حدث فى ١٩٤٨ ، نقضا للمبادىء الاشتراكية والديموقراطية التى ينبغى أن تطبق بين بلدين اشتراكيين . وقد دلت تجارب الاعوام الماضية على أن تقدم العلاقات بين البلاد الاشتراكية ينبغى أن يتخذ مثالا للعلاقات القادمة بين الدول . ويجب أن تقوم هذه العلاقات على مبادىء الاستقلال ، والمساواة التامة ، والاحترام لكل بلد . أما اقامة أى نوع من السيطرة فى هذه العلاقات باسم الاشتراكية ، أو البروليتاريا الدولية ، فانها تعوق تقدم البلاد الاشتراكية ، والاشتراكية على وجه عام ، وكذلك البروليتاريا الدولية الحقيقية . ودلت التجربة على أنه لا يمكن لبلد اشتراكى أن يحتفظ بعلاقات غير متكافئة مع بلد اشتراكى آخر ، أو أكثر ، لانه يتمتع بوضع سياسى دولى قوى ، ولانه على مستوى اقتصادى عال .

ولا شك أن الموقف الدولى فى ذلك الوقت كان مسئولا جزئيا ، أيضا ، عن قيام علاقات غير متساوية .

وقد كشفت المقاومة للاخطاء التى حدثت فى العلاقات بين البلاد الاشتراكية عن الامانى التقدمية لشعوب البلاد الاشتراكية ، لبناء اشتراكية تتفق وظروفهم الخاصة ، مع حساب مصالح الاشتراكية فى مجموعها . أما تسمية هذه السياسة بالشيوعية الاهلية ، فليس الا جمودا فى التفكير ، أو نتيجة لانانية فى عقيدة الدولة ، أو دسائس البورجوازية .

ونحن نعتقد بأن العلاقات بين الدول الاشتراكية يجب أن تجرد من تلك الظواهر التى أدخلتها الرأسمالية فى العلاقات بين الكبير والصغير ، وبين القوى والضعيف ، وبين المتقدم والمتخلف ، وبين الابيض والملون ، أو بأسلوب مهذب ، بين المتقدم والاقل تقدما من البلاد والشعوب .

مشاكل الكفاح فى سبيل السلام

أظهر التقدم الذى أحرزه العالم أنه يمكن تجنب كارثة وقوع حرب عالمية جديدة ، وذلك بفضل يقظة مئات الملايين من الطبقة العاملة ، الذين لا يرون سببا لاقحامهم فى مثل هذه الحرب • وكذلك الشعوب التى نالت استقلالها حديثا ، وأنشأت دولا جديدة ، فانها تمثل قوى ايجابية فى العلاقات الدوليــة الحاليــة • ونضجت فكرة التعايش السلمى بين الدول ، ذات النظم المختلفة ، وهناك امكانيات واقعية أمام هيئة الامم المتحدة لتزيد من دورها ، وسلطانها ، لحسم الخلافات الدولية ، والمحافظة على السلام • فبالرغم من تراخى هــذه الهيئة ــ نتيجة لتأثير المتناقضات الدولية ــ فانها تستطيع أن تصبح نواة لجهاز ديموقراطى لا يقتصر دوره على الغاء الحرب، بل تشجيع التعاون المثمر ، والصلات الطيبة بين الشعوب ، وبالتالى دعم الجهود المبذولة لتحقيق وحدة العالم •

كل هذه العوامل ساعدت على ازدياد الشعور فى الاعوام الماضية بأن الحرب لم تصبح مستعصية الالغاء • وليس معنى هذا تفنيــد النظرية الماركسية القائلة بأن الاستعمار يولد الازمات والحرب • ولكنه يعنى قبل كل شىء ضعف العوامل الرأسمالية من حيث الدور الذى تلعبه ، والقوى التى تمارسها ، وبخاصــة اذا ما قورنت بنمو القوى الاشتراكية ، والمعادية للاستعمار •

ويشكل استمرار سباق التسلح ، واســتعداد الدول العسكرى الفائق ، خطرا جديا على الســلام العــالمى اليوم ، ويهيىء الفرص لاستعمال القوة لحل الخلافات الدولية ، وزيادة ضغط الدول الكبيرة على البلاد الاخرى ، واشتداد النزاع العالمى ، واشاعة عــدم الثقة ، والقلق ، والخوف من وقوع حرب •

أما سياسة توازن القوى عن طريق التسلح ، فانهـا تؤدى الى التوازن الايجابى الذى ينشده العالم لاستقرار العلاقات الدوليـة ، ولكنه يجر الانسانية الى حرب جديدة •

ويواجه رؤساء الدول الذين يملكون حق تقرير اسـتعمال الطاقة الذرية فى المستقبل ، مسؤولية لم يواجهها أحد فى الماضى ، فان أقل استعمال للاسلحة الذرية يصيب الانسانية بأفظع الكوارث • ولهذا السبب كان الطريق الوحيد لنجاة الانسانية من الموقف الخطير الحالى هو نزع السلاح ، والابقاء على السلام ، وتدعيمه •

ومن رأى شيوعيى يوغوسلافيا ان الحاجة ماسة اليوم ، أكثر من أى يوم مضى ، لحماية السلام ، ونزع السلاح بصفة عامة • ولا بد من أن تتضافر فى هذا الميدان جهود كل الاحزاب، والمنظمات العمالية والاشخاص التقدميين ، وزجال الدين ، وأعضاء الطوائف والهيئات المختلفة • والسلام ، فى الظروف الحالية، معناه أولا التعايش السلمى بين الشعوب ، والدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة • ولا ينبغى أن يكون هذا التعايش سلبيا ، بعيدا عن الـكتل ، يجب أن يكون التعايش ايجابيا، وان يهدف الى تحقيق التعاون الشامل بين الشعوب• وينبغى ، قبل كل شيء ، أن يستهدف تهيئة الظروف اللازمة لحـل المشاكل العالمية ، تدريجيا ، ونزع السلاح ، وتحويل المبالغ الضخمة التى تصرف على التسليح ، الى ميادين الاقتصاد والثقافة والعـلم ، لخير العالم كله ، ومساعدة البلاد المتخلفة ، والتنافس الانشـائى ، والسلمى ، بين الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة ، والنهوض بالقوى الانتاجية للمجتمع الى مستوى أعلا •

التعايش الايجابى

يجب أن تقوم سياسة التعايش الايجـابى على أسـاس احترام

الاستقلال ، والسيادة ، والمساواة ، للبلاد الاخرى ، وعدم التدخل فى شؤونها الداخلية .

ويجب أن يطبق التعايش الايجابى فى العلاقات بين الدول والشعوب ، وليس فى العلاقات بين الكتل ولو قام بينها لما امكنه أن يدوم ، لان ذلك لا يكون تعايشا البتة ، بل هو هدنة مؤقتة ، تخفى خطر نزاعات جديدة .

وسياسة التعايش الايجابى هى أيضا تعبير عن التقدم القوى للقوى المنتجة ، لانها تبين حاجة عالم اليوم لاوسع نطاق من التعاون فى ميادين الاقتصاد ، والثقافة ، والعلوم . وتهيىء سياسة التعايش الايجابى أيضا الظروف اللازمة للتكامل الاقتصادى للعالم . والوحدة الاقتصادية للعالم هى من الاهداف الاولى للاشتراكية .

وهكذا يتبين أن سياسة التعايش الايجابى ، عن طريق التعاون الدولى ، وتوطيد السلام ، لا تساعد فقط على استئصال خطر الحرب ، ولكنها تهىء الظروف فى نفس الوقت لاسرع تقدم للاشتراكية . وتؤدى سياسة التعايش الايجابى فى كل بلد الى القضاء على تلك القوى التى تعوق التقدم ، والتى تمثل خطر حرب عالمية جديدة ، وهى توسع من قواعد الكفاح ضد الاستعمار ، وتنقص من الامكانيات التى تؤدى إلى سياسة السيطرة ، وتطيح بالاسس التى تقوم عليها البيروقراطية ، وتعاون على التقدم السريع للبلاد الاشتراكية . وتبعا لذلك ، فان تلك السياسة لا تخلد الاوضاع الاجتماعية الحالية ، ولكنها على النقيض ، تعمل على تغييرها ، بأسرع وقت .

ويتطلب توطيد السلام ، والتقدم الاشتراكى أن تتضافر القوى الاشتراكية فى الكفاح مع كل القوى المحبة للسلام ، فى سبيل

انتصار سياسة السلام ، والتعايش الايجابى • فالعالم فى حاجة اليوم الى جهود كل القوى المحبة للسلام ، وكل رؤساء الدول ، ورجالها المسؤولين ، لتحقيق التعاون بين الشرق والغرب • وفى استطاعة الدول التى لا تنتسب الى أى كتلة أن تساهم بقسط كبير فى هذا الميدان •

وستعمل السياسة الخارجية ليوغوسلافيا على تحقيق هذه الاهداف •

التعاون الاقتصادى الدولى

وصل الانتاج ، والقوى المنتجة ، فى هذا العصر ، الى مستوى من الفن ، والتقدم ، يتطلب قيام صلات ثابتة بين الاقتصاد القومى ، والإقتصاد العالمي • ويتوقف التقدم العام للبلاد المنفردة ــ وبخاصة اليوم ــ على الإقتصاد الدولى الحر ، والصلات الفنية ، والعلمية ، والتعاون • بعكس ما يضربه الانزواء داخل الحدود القومية ، وقيام حكومة الفرد ، والتمييز ، الذى توحى به الدوافع المذهبية ، أو السياسية ، فإن كل ذلك لا يتفق مع حاجات التقدم الاقتصادى للعالم ، ولا يقتصر ضرره على البلاد الفردية ، بل يشمل العالم كله •

ولهذه الاسباب ، فإن الاتحادات العامة ، أو الاقليمية ، التى تقوم فى المجال الاقتصادى ، وفقا للحاجة الاقتصادية الخاصة ، وتم تكوينها عن طريق تقدم التعاون الاقتصادى العالمى ، على أساس المساواة ، قد تساهم ، للتو ، أو فى المستقبل ، فى منهاج توحيد العالم الاقتصادى ، والمعونة المتبادلة للشعوب ، للنهوض بقواها المنتجة • وكذلك فى تنسيقها النهائى • وفى هذه الحالة فان التكامل الاقليمى قد يكون الخطوات الأولى فى طريق وحدة العالم الاقتصادية على أساس اشمل •

ومع ذلك فان بعض أشكال التكامل الاقليمي الحالية ، تشمل عوامل سلبية ، اضطرها اليها تقسيم العالم الى كتل ، وكذلك بتأثير الاستعمار ، والسيطرة ، وتخولها مثل هذه التأثيرات عادة الى آلات في ايدى الكتل ، تساعد على بقائها ، وتضع بعض اللاد الاخرى في وضع مماثل . ولكي ينهض التكامل الاقتصادى ، سواء أكان عاما ، أو اقليميا ، لا بد للقوى التقدمية من أن تجارى الكفاح ضد مثل هذا النفوذ السلبى المضاد للتكامل .

ولما كانت يوغوسلافيا الاشتراكية تدرك الموقف الحالى فى العالم ، والمؤثرات السلبية المختلفة فى الاشكال الحالية للتكامل الاقليمى ، فانها لم تنضم الى أى نظام للتكامل الاقتصادى الاقليمى . ولكنها تقدر أهمية تقدم التعاون الاقتصادى الدولى ، والمظاهر الايجابية للعناصر الجديدة ، ولذلك فهى تعمل على ازدياد تعاونها مع عدة منظمات اقتصادية ، أوربية ، اقليمية ، على أساس المساواة ، ومن زاوية تبادل المنفعة .

النهوض بالبلاد المتخلفة

ظهر فى العالم ، عقب الحرب العالمية الثانية ، عدد من الدول الجديدة ، المستقلة ، وقد بدأت هذه البلاد بالنهوض باقتصادياتها فى وقت أظهرت فيه الرأسمالية اتجاهات قوية نحو رأسمالية الدولة . وكان عليها لكى ترسى الاسس الاقتصادية اللازمة لاستقلالها السياسى الحديث ، أن تسرع فى نهضتها الاقتصادية ، الامر الذى جعلها تضطر الى اخضاع حياتها الاقتصادية للدولة .

وتشمل البلاد المتخلفة اقتصاديا فى عالم اليوم ، الاغلبية الساحقة من البشرية وتملك هذه البلاد طاقات ، وموارد طبيعية شاسعة .

ويشكل التقدم الاقتصادى لهذه البلاد الاسس لاستقلالها السياسى ، وهو الشرط المادى لمساواتها فى العلاقات الدولية ، الاقتصادية والسياسية ، والتى تكون احدى دعامات الاستقرار والتقدم فى اقتصاد العالم ٠

وعلى ذلك فان المعونة الدولية التى تقدم للبلاد المتخلفة بغرض انهاضها اقتصاديا ، هى أيضا من مصلحة الاقتصاد العالمى، كمجموع ٠ ومن الممكن أن تساهم المعونة الدولية فى التقدم التاريخى ، فى حالة واحدة ، وهى اذا أعطيت بغير شروط عسكرية أو سياسية ، وعلى أسس العلاقات الديموقراطية بين البلاد ، وهنا تكمن الاهمية التقدمية العظيمة للمعونة الاقتصادية الدولية عن طريق الاعمال الدولية الجماعية القائمة على احترام استقلال الشعوب التى تشملها المعونة ، وحقوق سيادتها ٠ وستدخل مثل هذه المعونة عنصرا جديدا فى العلاقات الاقتصادية الدولية ٠ هذا الى انها تمثل فى ظروفنا الحالية، أحد العناصر الاقتصادية الزائدة الاهمية ، المضادة للاستعمار ، والسيطرة ، والحرب ٠

وتهتم القوى الاشتراكية بتوطيد مثل هذا العمل الدولى ، وبسطه الى أبعد حد ممكن ٠

وتبذل يوغوسلافيا الاشتراكية جهودا جبارة لكى تنال الدول المتخلفة معونة دولية ، وبخاصة فى نطاق اختصاص هيئة الامم المتحدة ٠ ولكنها تعارض كل محاولة لاستعمال المعونة الاقتصادية الدولية كوسيلة لتحقيق أهداف سياسية ، أو عسكرية ٠ ولهذا السبب تصر يوغوسلافيا الاشتراكية فى سياستها الخارجية على المبدأ القائل بوجوب تقديم المعونة الاقتصادية الدولية بغير شروط ٠

وتقدر يوغوسلافيا الاشتراكية ان الاولوية يجب ان تعطى للعمل الدولى الجماعى ، ولكنها تقف موقفا ايجابيا ـ أيضا ـ من البرامج الثنائية للمعونة الاقتصادية ، ما دامت لا تهدد سيادة البلاد التى تتلقى المعونة ، ولا تغلها بقيود سياسية ٠

سياسة يوغوسلافيا الخارجية

تقوم السياسة الخارجية ليوغوسلافيا الاشتراكية على أساس التجارب التاريخية للشعوب اليوغوسلافية ، وتصميمها على حماية استقلالها ، وسيادتها بأى ثمن ، والعمل على التقدم الاشتراكى الحر للبلاد ، والمساهمة فى قيام تعاون شامل بين الشعوب ٠

وللقيام بهذه المهام ، تتبع يوغوسلافيا الاشتراكية فى سياستها الخارجية مبادىء التعايش السلمى ، والعمل الصريح المكشوف ، والاستقلال فى الرأى والمواقف ٠

واستقلال سياسة يوغوسلافيا الخارجية هو عكس الانانية، وضيق الافق ، والانزواء الداخلى ، والاقتصار على القومية ، فيوغوسلافياجزء من المجتمع الاوروبى ، والعالمى ، وهى كبلد اشتراكى ، جزء من العالم الاشتراكى ، أى من القوى الاشتراكية ، والتقدمية ، فى البشرية المعاصرة ٠ ومن رأينا ان مسألة الاستقلال القومى فى فترة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، هى قبل كل شىء ، مسألة تأمين التقدم الحر ، غير المفروض ، لكل اشكال الحركات نحو الاشتراكية ، وكذلك مسألة الامن من كل مخلفات السيطرة،ومكافحة عدم المساواة الاقتصادية ، والسياسية ٠ والكفاح فى سبيل الاستقلال القومى ـ على هذا النحو ـ هو أيضا كفاح لخلق الظروف السياسية والاقتصادية للدولية الاشتراكية الحقيقية فى العلاقات بين البلاد الاشتراكية ، وهى على ذلك ، نقطة البداية لتقريب ، وتوحيد الشعوب على اسس تستوحى مصالحها المشتركة ٠

وتمشيا مع المبادىء العامة لسياستها الخارجية ، فان يوغوسلافيا الاشتراكية تتابع جهودها للنهوض بالتعاون ، وعلاقات حسن الجوار مع كل البلاد المتاخمة ، بغض النظر عن الخلافات السياسية ، والاجتماعية بين يوغوسلافيا وتلك البلاد ، والخلافات فى علاقاتها مع الكتل القائمة • وتتفق هذه السياسة مع مصالح الشعوب الكائنة فى هذه البقعة من العالم ، وهى تؤدى الى أمن العالم وسلامه •

وان يوغوسلافيا الاشتراكية التى ولدت فى أتون حرب التحرير الشعبية والثورة الاشتراكية ، تناصر ضمان الحقوق الديموقراطية ، والثقافية ، والاقتصادية ، المتكافئة للاقليات التى تعيش فى بلادها، وكذلك الاقليات اليوغوسلافية فى البلاد الاخرى •

وترى يوغوسلافيا انه يمكن ان تصبح هيئة الامم ، عن طريق الجهود التى يبذلها محبو السلام ، والقوى الديموقراطية ، والمعادية للاستعمار ، أداة للسلام ، والتقارب ، والتعاون ، وتبادل المعونة بين الشعوب • ولذلك فاننا ندعم كل شكل من أشكال النشاط عن طريق منظمة الامم المتحدة ، فى مجال كفاحنا لنشر سياسة التعايش الايجابى ، ورفض الكتل التى تتنازع العالم •

وسيتابع شيوعيو يوغوسلافيا هذا الخط الذى رسمته السياسة الخارجية ليوغوسلافيا ، وسيبذلون قصارى الجهد للتعاون مع الاحزاب والمنظمات العمالية ، والحركات الديموقراطية ، والمعادية للاستعمار ، والقومية التحريرية ، وتساهم مع كل شعوب العالم فى جهودها لمنع أى حرب جديدة •

ولم يكن مصير شعوبنا ، ومستقبل تقدمنا الاشتراكى ، مرتبطا بمصير الشعوب الاخرى ، وبنجاح التقدم الاشتراكى فى البلاد الاخرى كما هو مرتبط اليوم •

جمهورية العراق الجديدة

« ما كدنا نفرغ من اعداد هذا الكتاب حتى جاءت الانباء السارة بتحرر العراق من النظام البائد ، وكان ذلك مصادفة سعيدة لان نختتم فصل العلاقات السياسية الدولية بنص برقية الاعتراف بالجمهورية العربية الجديدة الذى أرسلها الرئيس تيتو الى الزعيم الركن عبدالكريم قاسم رئيس الوزارة العراقية » .

«وفقا للمبدأ القائل بأن لكل شعب الحق فى أن يقرر نظامه الخاص فى الحياة ، واقتناعا منى بأن قيام جمهورية العراق يتفق مع ارادة الشعب العراقى فى تعزيز استقلاله، فان حكومة جمهورية يوغوسلافيا الاتحادية الشعبية ، سعيدة بأن تعترف بجمهورية العـراق ، وان تقترح اقامة علاقات ديبلوماسية معها . وتغتبط الحكومة اليوغوسلافية وهى تتخذ هذا القرار ، أعظم الاغتباط ، اذ لم تكن هناك فرصـة لاقامة العلاقات الديبلوماسية بين بلدينا فى الماضى .

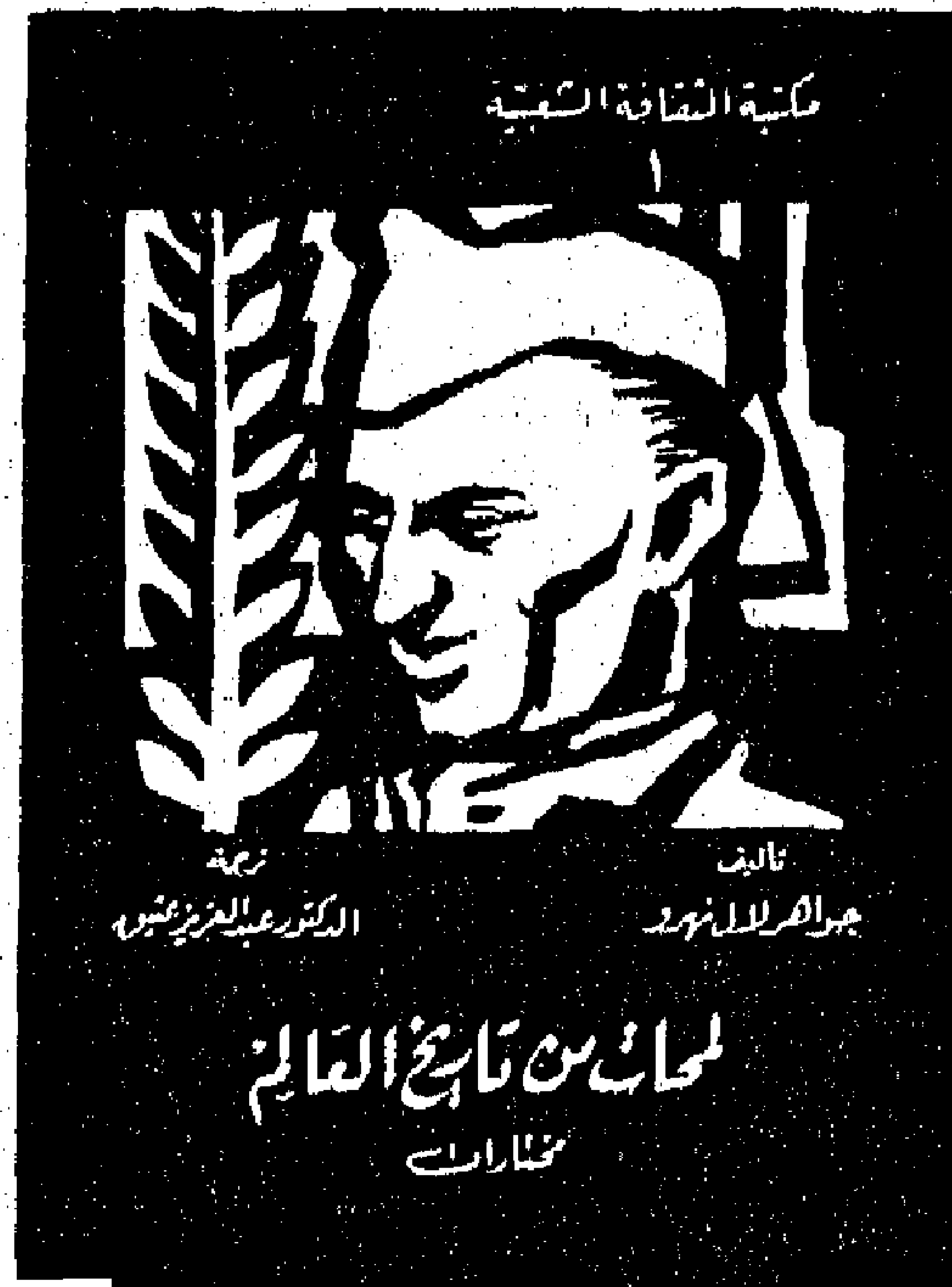
وانني اذ أنقل اليكم قرار الحكومة اليوغوسلافية هذا ، أود أن أعبر للسيد رئيس الوزارة عن أطيب تمنياتى بالتوفيق للجمهورية العراقية فى كل الميادين . وانى لمقتنع أن هذه الخطوة ستكون بداية سعيدة للتقدم المثمر فى العلاقات المتبادلة ، لصالح شعوبنا، ولصالح السلام فى العالم » .

فهرست المواضيع

صفحة

مكتبة الثقافة الشعبية

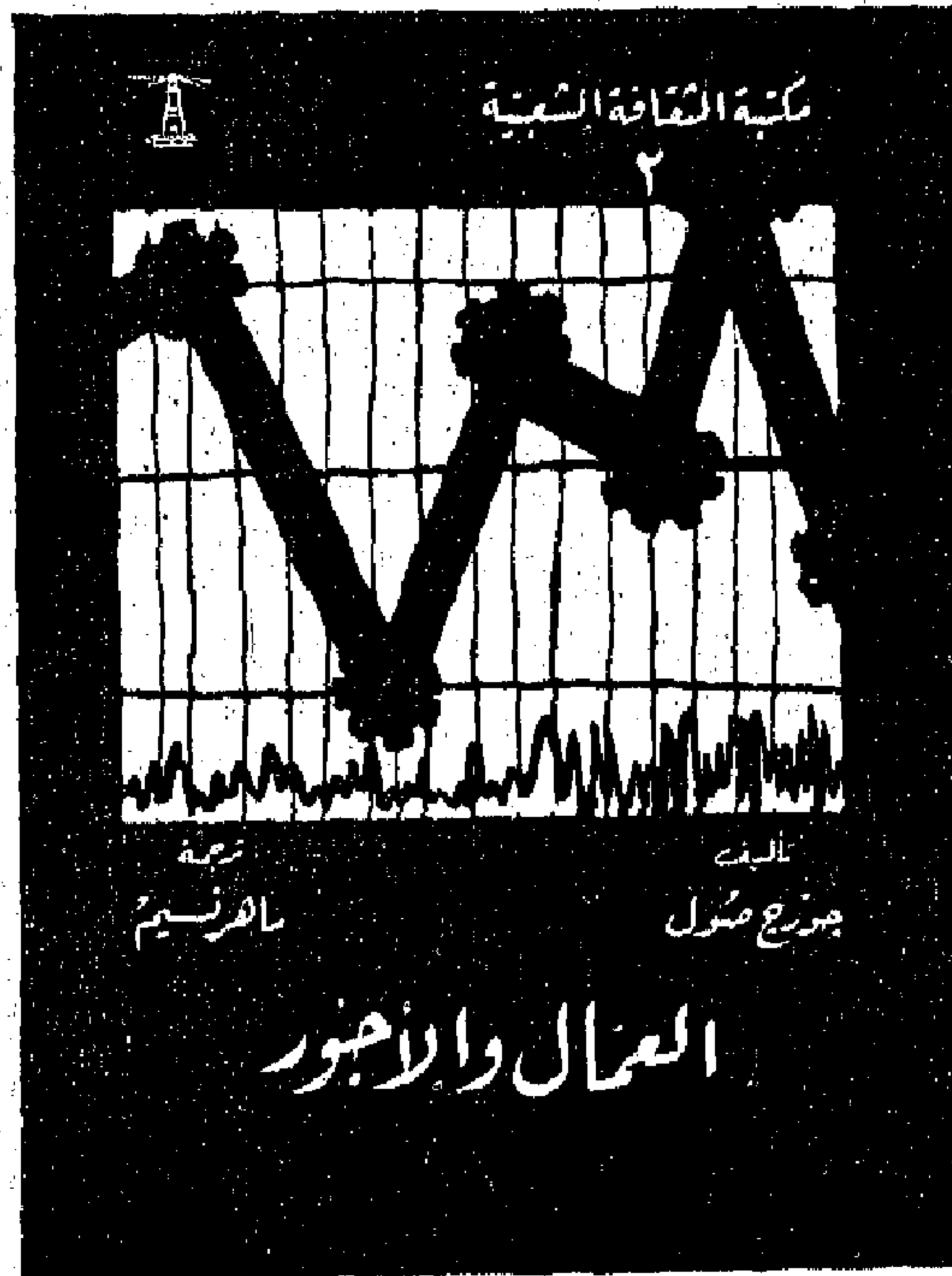
الكتاب الأول



مجموعة من الرسائل بعث بها زعيم الهند جواهر لال نهرو الى ابنته أيام كان مغيبا وراء قضبان السجن ، عرض لها فيها تاريخ العالم موشحا بنظرات صائبة فى السياسة والاجتماع والعلم جلت لها أحداث التاريخ وحوادثه جلوة صحيحة جميلة

مكتبة الثقافة الشعبية

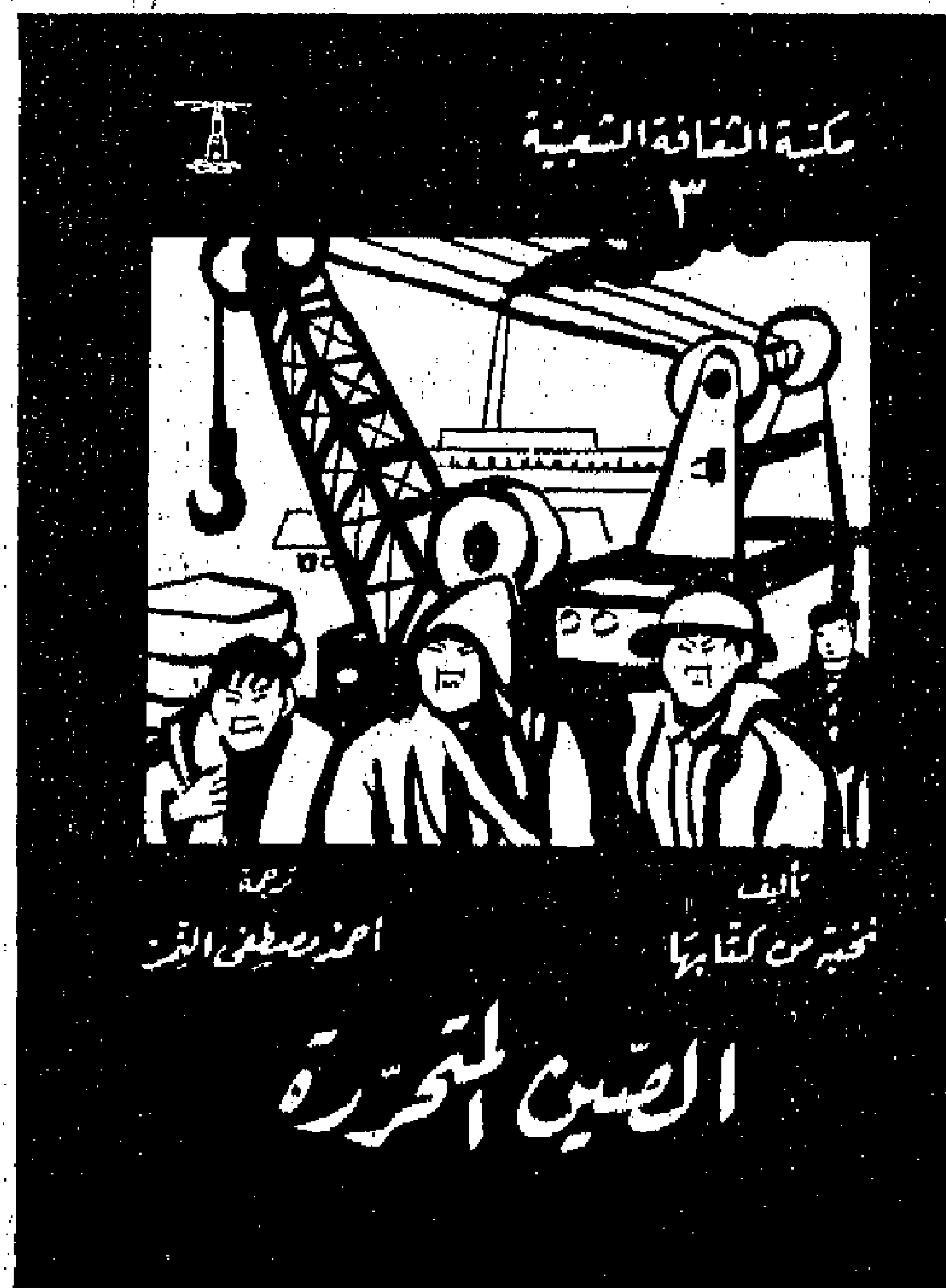
الكتاب الثانى



ان موضوع العمال والأجور من الموضوعات التي تكفل الاقتصاد السياسي بمعالجتها على أحسن الوجوه ، ومؤلف هذا الكتاب أحد الأساتذة أصحاب الباع الطويلة فى هذا المضمار والمشهود لهم بالكفاية فيه فقد عالج الموضوع فى كتابه هذا معالجة الخبير القدير وقدم للعامل ولصاحب العمل زبدة آرائه وتجاربه فى هذا الباب

مكتبة الثقافة الشعبية

الكتاب الثالث



جبال من الحضارات القديمة تشمخ بأنفها فى بلاد الصين وأثقال التقاليد والعادات تربط الصين دون الانطلاق ، وقيود من الاستعمار تحول بينها وبين التقدم والتحرر ، ولكن الصين الحديثة استطاعت أن تتغلب على الصعاب وأن تنهض الى احتلال مكانتها اللائقة بها تحت الشمس .. وفى هذا الكتاب أمثلة ملموسة من نهضتها فى شتى جوانب الحياة

مكتبة الثقافة الشعبية

الكتاب الرابع



أول كتاب من نوعه باللغة العربية يحدثنا عن يوغوسلافيا البلد الصديق ويعرض لنا كفاحه ونضاله في سبيل الحرية والاستقلال ونصيب الفنون الشعبية فيه من ذلك الكفاح والنضال ، فالرقص الشعبي والمواويل والمزمار والأزياء القومية والصناعات الشعبية كانت كلها ولا تزال تعبيرا عن الألم والأمل والجهاد

طبع بمطبعة العالم العربى بالقاهرة
٢٣ شارع الظاهر ــ ت ٤٤٧٠٦

مكتبة الثقافة الشعبية

مجموعة جديدة تقدمها دار المعارف إلى العالم العربى متوخية فيها تحقيق الأهداف الآتية :

١ - أن تجعل القارئ العربى متصلا بجميع الحضارات على اختلاف مذاهبها ومناهجها فيقف عليها و يستوعبها بما تضعه هذه المجموعة بين يديه من ترجمات دقيقة أمينة .

٢ - أن تساعد محبى الاطلاع والتوسع على تنمية ثقافتهم العامة فتزودهم بموضوعات جليلة الشأن ولكنها سهلة المأخذ تقتطفها لهم من مختلف حدائق الفكر .

٣ - أن توفر للراغب فى التخصص موضوعات تكون له بمثابة المدخل إلى كتب التخصص .

ظهر منها :

١ - لمحات من تاريخ العالم — بقلم جواهر لال نهرو
ترجمة الدكتور عبد العزيز عتيق

٢ - العمال والأجور — بقلم جورج صول
ترجمة ماهر نسيم

٣ - الصين المتحررة — بقلم نخبة من كتابها
ترجمة أحمد مصطفى

٤ - الفنون الشعبية فى يوغوسلافيا — بقلم عبد المنعم حسن

٥ - نظرات على عالم اليوم — بقلم الرئيس تيتو
ترجمة عبد المنعم حسن





دار المعارف بمصر

ملتزم التوزيع : مؤسسة المطبوعات الحديثة

١٥ ص